استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي

(القرن 3 - 7ميلادي)

إعداد

ممدوح عبد الحليم الخرابشة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعـــة الأردنيـــة

آب 2002 م

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ / /2002

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د محمد عبد القادر خريسات (مشرفـــاً) ورئيساً

أ .د صالح الدرادكـــــــــه (عضـــواً)

د. نعمان محمود جبران (عضـــواً)

د. غيداء خزنة كاتبي (عضـــواً)

الإهـــداء

إلى من لاقى وجه ربه قبل أن يقطف ثمار غرسه

إلى روح والدي و إلى والدتي أطال الله عمرها وأخي الغالي محمد

إلى الزوجة الغالية التي سهرت معي ووقفت إلى جانبي وكافحت بكل ما استطاعت

إلى عبد الحليم وعبد الله وعبد الرحيم ونور وشروق ولينا .

إلى الأخوال الأعزاء الذين قدموا لي من الدعم الشيء الكثير

إلى أصدقائي الأعزاء رائد وغسان

إلى كل من استشهد وهو يدافع عن حقوق العرب والمسلمين

الى رافع شعار الأردن أولاً

إلى جلالة القائد الأعلى عبد الله الثاني بن الحسين المفدى

إلى كل هؤلاء اهدي ثمرة جهدي كجزء من رد الجميل لهم جميعاً .

ممدوح الخرابشة

شكر وتقدير

بعد أن من الله علي بإتمام بحثي هذا أجد لزاماً علي أن أتوجه بجزيـل الـشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور : محمد عبد القادر خريسات على تفضله بالإشراف على هذه الاطروحه وتحمله أعباء قراءتها وإمدادي بكل ما توفر لديـة مـن المعلومات والنصائح التي كان لها الأثر الكبير في مساعدتي على انجاز هذه الاطروحه كمالا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل للاساتذه الافاضل اعضاء لجنة المناقشه (الاستاذ الدكتور صالح الدرادكة ، الدكتور نعمان محمود جبران ، الدكتورة غيداء خزنة كاتبي) على ما تحملوه من اعباء القراءه واسداء النصح والارشاد .

ويقتضي الاعتراف بالجميل أن اشكر الدكتور سلامة صالح النعيمات الذي كان قد بدأ رحلة الإشراف معي إلا أن ظروف العمل حالت دون إتمام الإشراف، واشكر كل من الدكتور سليمان الخرابشة على الدعم غير المحدود الذي أمدني بـه ، والأخ فـايز الخرابشة والأخ عمر عبد الحميد الخرابشة وكل من ساعد على إتمام هـذه الأطروحـة بشكلها الحالي ، وخصوصاً الأخوة في المجلس البريطاني لدراسات تاريخ بلاد الـشام والمدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية ACOR والاخوة الأعزاء في مكتبة الجامعـة الأردنية والى جميع الاخوة في مكتبة مديرية التوجيه المعنوي في القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية والى الأب الدكتور حنا كلداني الذي سارع عند علمه بموضوع بحثي بتزويدي بنسخة من كتابة الذي يحمل عنوان(المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين) لعلي أفيد منه والى الدكتور احمد الأصبحي على ما قدمه لي من النصائح قبل وخـلال كتابة الأطروحة والى الاخوة الأعزاء مركز الاخوة العلمي للكمبيـوتر اللـذين قـاموا بطباعة ومراجعة الرسالة .

ممدوح الخرابشة

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	ب
- الإهـــــــــداء	ج
- شكر وتقدير	د
- فهرس المحتويات	هـ
- الملخص	ز
- المقدمة	1
الفصل الأول : الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام	4
- الموقع	5
- الحدود	6
- الحدود الطبيعية	6
- الحدود كما وردت عند المؤرخين والجغرافيين العرب	6
- حدود بلاد الشام كما وردت عند مؤرخي وجغرافيي الدولة البيزنطية	9
- أبعاد ومساحة بلاد الشام	10
- التنظيمات الإدارية لبلاد الشام في العهد البيزنطي	11
- العلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام وأسباب خروجها من مواطنها الأصلية	14
- العلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام	14
- أسباب خروجها من مواطنها الأصلية	19
الفصل الثاني : دخول العرب إلى بلاد الشام	26
1- دخول القبائل العربية إلى بلاد الشام	27
2- مراكز تواجد العرب في بلاد الشام قبل القرن الثالث	30
3- الأماكن التي استقرت بها القبائل بعد هجرتها من مواطنها	31
4- العلاقات الخارجية للقبائل العربية بعد استقرارها في بلاد الشام	44
أ- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والإمبراطورية البيزنطية	45
ب- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والإمبراطورية الفارسية	54
جـ- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والقبائل العربية الأخرى	55
د - الألقاب والرتب التي منحت لزعماء القبائل في بلاد الشام	57

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية في بلاد الشام 62
1- الحياة الاجتماعية 63
2- الحياة الاقتصادية 83
أ- المناخ 85
ب - الزراعة 86
ج- الصناعات 92
د- التجارة 97
هـ- الشروط الواجب توفرها في طرق التجارة 102
و- أسواق العرب في بلاد الشام قبل الإسلام 104
الفصل الرابع : الحياة الدينية عند القبائل العربية في بلاد الشام 109
1 - المعتقدات الدينية للقبائل العربية قبل ظهور الديانة المسيحية 113
2- الأسباب التي دعت إلى عبادة آلهة مختلفة 114
3- عبادة الأصنام عند القبائل العربية 117
4- الطقوس الدينية عند القبائل العربية في بلاد الشام 119
5- تلبيات القبائل في الحج 122
6- أصنام القبائل العربية 123
7- ظهورالمسيحية وانتشارها في بلاد الشام 130
8- العوامل التي أدت إلى انتشار المسيحية 133
9- الأساقفة العرب المتنفذين الذين ساهموا بنشر المسيحية 136
10- الرهبان الذين قتلوا في سبيل نشر المسيحية 139
11- الأديرة التي تم بنائها في بلاد الشام 141
12- القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية 141
13- المونوفيزيقية / مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح 148
- **الخاتمة** 151
- **قائمة المصادر والمراجع** 153
- **الملاحق** 171
- **الملخص باللغة الإنجليزية / ABSTRACT** 174

الملخص

استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي

القرن (3- 7م)

إعداد

ممدوح عبد الحليم الخرابشة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

لم يأت الوجود العربي في بلاد الشام كنتيجة من نتائج الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام التي بدأت في النصف الأول للقرن السابع الميلادي ، بل لقد سبق الوجود العربي في بلاد الشام ذلك بزمن طويل بل طويل جداً فقد أطلقت أسماء كثيرة على المنطقة أو سكانها يستدل منها أن هؤلاء السكان هم من العنصر العربي فقد أطلق بروكوبيوس لفظ (saracens) أ ي سكان الخيام على العرب فقط ، كما أطلق على بلاد الشام اسم (أرابيا / arabia) ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تتبع ذلك الوجود في بلاد الشام من حيث قدمه والأسباب التي دعت إليه وطبيعة حياة القبائل العربية اجتماعيا واقتصاديا ودينياً .

تناولت هذه الدراسة المعنونة بـ [استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي القرن (3- 7م)] ، الوجود العربي في بلاد الشام قبل فترة الدراسة ، فقد تبين من خلال الدراسات والتنقيبات الأثرية التي قام بها علماء الآثار العرب وغير العرب عبر العصور المختلفة ، لقد ارجع بعض الباحثون الوجود العربي في بلاد الشام إلى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، حيث تبين من خلال النقوش الصفوية ، انه كان هنالك وجود عربي بشكل كثيف في بعض مناطق بلاد الشام قبل القرن الثالث الميلادي ، مما ساعد على

احتفاظ المنطقة بهويتها العربية على الرغم من انقضاء فترة زمنية طويلة على خروج القبائل العربية من مواطنها الأصلية ، كما ساعد ذلك على سرعة تعريب المنطقة بعد عملية الفتح ، فالمتتبع للفتوحات في بلاد الشام يجد انه لم يحدث بها ثورات ضد الفاتحين كما حدث في شمال افريقيا مثلاً .

ففي الفصل الأول تطرقت إلى الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام من حيث الموقع والحدود حسبما وردت عند المؤرخين والجغرافيين العرب وغير العرب ، ثم مساحة بلاد الشام وأبعادها والتقسيمات الإدارية لها في العهد البيزنطي ، والعلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والأسباب التي دعتها للخروج من مواطنها الأصلية ، أما في الفصل الثاني فقد تناولت دخول القبائل العربية إلى بلاد الشام والمراكز التي تواجدت فيها في بلاد الشام قبل القرن الثالث ، والعلاقات الخارجية للقبائل العربية بعد استقرارها في بلاد الشام (العلاقات بين القبائل العربية والإمبراطورية البيزنطية والعلاقات بين القبائل العربية والإمبراطورية الفارسية ثم العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والقبائل الأخرى) ثم الألقاب التي منحت لزعماء القبائل أو تلقبوا بها والأسباب التي دعت لذلك ، وفي الفصل الثالث فقد تناولت الحياة الاجتماعية للقبائل العربية في بلاد الشام من حيث (العادات الاجتماعية التي كانت سائدة بين القبائل في بلاد الشام) ، ثم الحياة الاقتصادية للقبائل من حيث (الأسباب التي دعت العرب للاهتمام بالتجارة ، مناخ بلاد الشام ، أهم الزراعات في بلاد الشام ، أصناف الزراعات في بلاد الشام ، الصناعات الغذائية والصناعات الأخرى ، التجارة والعوامل التي ساهمت في ازدهارها في بلاد الشام ، أسواق العرب في بلاد الشام قبل الإسلام ، وتناول الفصل الرابع الحياة الدينية للقبائل العربية في بلاد الشام من جوانب مختلفة مثل (أسباب تعدد الآلهة عند القبائل العربية قبل ظهور المسيحية ، عبادة الأصنام عند القبائل ،

الطقوس الدينية للقبائل ، تلبيا القبائل ، أصنام القبائل العربية ، ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد الشام ، العوامل التي أدت إلى انتشار المسيحية ، الأساقفة العرب الذين ساهموا في نشر المسيحية ، الرهبان الذين قتلوا في سبيل نشر المسيحية ، الأديرة التي بنيت في بلاد الشام ، القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية ، المونوفيزيقية أو مذهب الطبيعة الواحدة) .

وقد تميزت المصادر التي تحدثت عن فترة الدراسة بكثرتها وتنوعها فكان منها كتب الأنساب ، والفتوح ، وكتب التاريخ العام ، وتاريخ البلدان ، وكتب الرحلات ، والتراجم إضافة إلى كتب الأدب والشعر والإدارة والمعاجم التي لها علاقة بالموضوع باللغتين العربية والإنجليزية ، والكثير من البحوث المنشورة في مجلات عربية وغير عربية .

المقدمـــة

1- أهمية البحث :

إن المتتبع لموضوع استقرار القبائل العربية في بلاد الشام يجد أن هذا الموضوع لم يتم تناوله بشكل مفصل بل لقد جاءت مواده منتشرة في بطون كتب التاريخ والجغرافيا والمعاجم والموسوعات والمجلات المختلفة ومواقع شبكة المعلومات الدولية ذات العلاقة بموضوع الدراسة .

وقد جاء تحديد فترة الرسالة أبتدأ من القرن الثالث الميلادي وحتى بداية القرن السابع بسبب أن بداية الوجود العربي في بلاد الشام قد جاء منذ بداية القرن الثالث وحتى بداية الفتح الإسلامي في بداية القرن السابع الميلادي ،وتعطي هذه الرسالة في ضوء ما توفر من مصادر ومراجع تصوراً عاما عن استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي فقد تناولت هذه الدراسة الوجود العربي في بلاد الشام قبل فترة الدراسة ، حيث تبين من خلال الدراسات والتنقيبات الأثرية انه كان هنالك وجود عربي بشكل كثيف في بعض مناطق بلاد الشام قبل القرن الثالث الميلادي مما ساعد على احتفاظ المنطقة بهويتها العربية على الرغم من انقضاء فترة زمنية طويلة على خروج القبائل العربية من مواطنها الأصلية كما ساعد ذلك على سرعة تعريب المنطقة بعد عملية الفتح ، فالمتتبع للفتوحات في بلاد الشام يجد انه لم يحدث بها من الثورات ضد الفاتحين كما حدث في شمال إفريقيا مثلاً .

ففي الفصل الأول تطرقت إلى الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام من حيث الموقع والحدود حسبما وردت عند المؤرخين والجغرافيين العرب وغير العرب ثم مساحة بلاد الشام وأبعادها والتقسيمات الإدارية لها في العهد البيزنطي ، والعلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام والأسباب التي دعتها للخروج من مواطنها الأصلية ، أما في الفصل الثاني فقد تناولت دخول

القبائل العربية إلى بلاد الشام والمراكز التي تواجدت فيها في بلاد الشام قبل القرن الثالث ، والعلاقات الخارجية للقبائل العربية بعد استقرارها في بلاد الشام (العلاقات بين القبائل العربية والإمبراطورية البيزنطية والعلاقات بين القبائل العربية والإمبراطورية الفارسية ثم العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والقبائل الأخرى) ثم الألقاب التي منحت لزعماء القبائل أو تلقبوا بها والأسباب التي دعت لذلك ، وفي الفصل الثالث فقد تناولت الحياة الاجتماعية للقبائل العربية في بلاد الشام من حيث (العادات التي كانت سائدة بين القبائل في بلاد الشام) ، ثم الحياة الاقتصادية للقبائل من حيث (الأسباب التي دعت العرب للاهتمام بالتجارة ، مناخ بلاد الشام ، أهم الزراعات في بلاد الشام ، أصناف الزراعات في بلاد الشام ، الصناعات الغذائية والصناعات الأخرى ، التجارة والعوامل التي ساهمت في ازدهارها في بلاد الشام ، أسواق العرب في بلاد الشام قبل الإسلام ، وتناول الفصل الرابع الحياة الدينية للقبائل العربية في بلاد الشام من جوانب مختلفة مثل (أسباب تعدد الآلهة عند القبائل العربية قبل ظهور المسيحية ، عبادة الأصنام عند القبائل ،الطقوس الدينية للقبائل ، تلبيات القبائل ، أصنام القبائل العربية ، ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد الشام ، العوامل التي أدت إلى انتشار المسيحية ، الأساقفة العرب الذين ساهموا في نشر المسيحية ، الرهبان الذين قتلوا في سبيل نشر المسيحية ، الأديرة التي بنيت في بلاد الشام ، القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية ، المونوفيزيقية أو مذهب الطبيعة الواحدة) .

وقد تميزت المصادر التي تحدثت عن فترة الدراسة بكثرتها وتنوعها فكان منها كتب الأنساب والفتوح وكتب التاريخ العام وتاريخ البلدان وكتب الرحلات والتراجم وكتب التاريخ الديني إضافة إلى كتب الأدب والشعر والإدارة والمعاجم التي لها علاقة بالموضوع باللغتين العربية والإنجليزية والكثير من البحوث المنشورة في مجلات عربية وغير عربية وتعتبر

كتابات المؤرخ عرفان شهيد من أهمها وذلك لاطلاعه على الكثير من المخطوطات اللاتينية وخصوصا في الفصل الثاني من الدراسة الذي تحدثت فيه عن هجرة القبائل من مواطنها الأصلية وأماكن استقرارها في بلاد الشام ،وكذلك البحوث المنشورة في مجلدات المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام على اختلاف سنوات انعقادها ، كذلك فقد استعنت بشبكة المعلومات الدولية التي زودتني ببعض الصور والخرائط التي تتحدث عن فترة الدراسة إضافة إلى الاستعانة ببعض الأقراص المدمجة التي يوجد عليها الكثير من كتب التاريخ المختلفة والتي كانت تؤمن لي سرعة الوصول إلى المعلومة في أي كتاب كانت .

وقد واجهت الباحث العديد من الصعوبات والتي تمثلت بكثرة المصادر والمراجع والمقالات التي تحدثت عن فترة الدراسة وخصوصاً المصادر الصادرة باللغتين الإنجليزية والتي تطلبت وقتاً للترجمة خصوصاً وأن البعض منها لم يكن متوفراً في مكتبة الجامعة مما اضطر الباحث إلى البحث عنها في مكتبات المراكز العلمية صاحبة العلاقة لتصويرها أو الأخذ منها في مواقعها .

وقد الحق بهذه الدراسة بعض الملاحق التوضيحية ، راجياً أن أكون قد وفقت في طرح الموضوع بشكل لائق وذلك في ضوء ما توفر لي من مصادر ومراجع .

" وما أتيت من العلم إلا قليلا " والكمال لله وحده .

الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام

بـــلاد الشـــام

أ- الموقـــع : بين الصحراء العربية والشاطئ الشرقي للبحر المتوسط تمتد بقعة من الارض الخصبة تتفاوت ابعادها بين (70-100) ميل عرضاً ويقدر طولها من الشمال الـــى الجنـــوب بحوالي (400) ميل ،ويتخللها سلاسل جبلية [1] .

تقع بلاد الشام في الجزء الأوسط من منطقة غرب قارة آسيا ، وتمثل الجزئين الأوســـط والغربي من منطقة الهلال الخصيب ، والتي تتكون من كل من (الأردن ، لبنـــان ، ســـوريا ، فلسطين) ، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي (307134) كم2[2]، وتطل على الـــساحل الـــشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، وتقع بين خطي الطول (34,11-42.44) شـــرقاً وخطـــي العـــرض (2908-37.20) شمالاً[3].

تعتبر بلاد الشام نقطة وصل بين شبه الجزيرة العربية في الجنوب وبلاد الأناضول في الشمال وبين العراق وبلاد فارس في الشرق والسواحل الشرقية للبحر المتوسط في الغرب ، كما يعتبر الجزء الجنوبي الغربي منها معبراً برياً وحيداً فيما يخص مصر وشمال إفريقيا ، وذلـــك عبر شبه جزيرة سيناء للقادم من منطقة غرب آسيا ، وكذلك الأمر للقادم من مـــصر وشـــمال إفريقيا .

لقد كان من الصعب في الفترة السابقة للفتح الإسلامي تحديد الحدود الجغرافيـــة لـــبلاد الشام بشكل دقيق ، ومرد ذلك إلى الحركات غير المستقرة للقبائل في تلك الفترة إضـــافةً إلـــى الصراعات التي كانت تنشب من حينٍ لآخر بين القبائل بعضها مع بعض ، أو الـــصراع الـــذي كان ينشب بين أكبر قوتين في المنطقة في ذلك الوقت (البيزنطيين في الغـــرب والفـــرس فـــي الشرق) والذي في أغلب الأحيان تكون بلاد الشام هي ساحة الصراع ، الأمر الذي كان يـــؤثر على مساحة بلاد الشام وحدودها ضيقاً أو اتساعاً .

---

(1) Smith, George Adam ,The Historical Geography Of The Holy Land Fontana Library Edition. 1966 ,P(27)

(2) Microsoft Corporation, Microsoft Encarta World Atlas 2000

(3) انظر خارطة بلاد الشام الموقع والحدود ، شارل جورج بدران ، أطلس العالم .

ب- الحـــــدود : نظراً للصعوبة في تحديد بلاد الشام بشكلٍ دقيق فإنه سيتم التطرق لحـــدودها من ثلاثة جوانب :

1- الحدود الطبيعية .

2- الحدود كما وردت عند الجغرافيين والمؤرخين العرب .

3- الحدود كما وردت عند الجغرافيين والمؤرخين البيزنطيين .

(1) الحدود الطبيعية : البحر من الغرب ، جبال طوروس من الشمال ، الصحراء من الجنـوب والشرق مما اكسبها وحدة وعزلها عن بقية العالم [1] ، أما الحدود السياسية للدول التي تتـألف منها بلاد الشام وهي كما يلي :

أ- الحدود الشمالية : وتتمثل في جبال طوروس التي تفصلها عن تركيا والتي يتخللهـا بعـض المعابر الطبيعية مثل (ممر باب الهواء).

ب- الحدود الشرقية : وتتمثل في بادية الشام التي تحدها من الجنوب والشرق إضافة الى نهـر الفرات الذي يفصلها عن بلاد الرافدين .

ج- الحدود الجنوبية : وتتمثل في بادية الشام أما من الجهة الجنوبية الغربية فتحدها شبه جزيرة سيناء التي تفصلها عن شمال افريقيا .

د- الحدود الغربية : يعتبر البحر الأبيض المتوسط ، الحد الجغرافي الطبيعي الذي بقي ثابتاً على مر العصور[2].

(2) الحدود كما وردت عند المؤرخين والجغرافيين العرب :

لم يتطرق المؤرخون والجغرافيون العرب في معظمهم إلى الحدود الجغرافية لبلاد الشام بشكلٍ واضح ، ولكنهم عبَّروا عنها فيما يمكن استنتاجه من خلال حديثهم عن التقسيمات الإدارية لها مثل : (الأجناد ، الكوّر ، الأقاليم)، أو حديثهم عن طرق التجارة والمدن الهامـة ومـساكن

---

(1) Smitth,The Historical Geography Of The Holy Land , P(27)

(2) Microsoft Corporation, Microsoft Encarta World Atlas 2000

القبائل أو الحروب خلالها . وقد كانت كل هذه الأحاديث في فتراتٍ متأخرة عن فترة الدراسة الأمر الذي يجعلنا نتعامل بحذرٍ شديد مع المعلومات التي أوردها أولئك المؤرخون[1]. فمنهم من تحدَّث عن بلاد الشام من حيث المدن فقط دون حدودها كابن خرداذبه[2]، ومنهم من قسمها إلى كُوَر كاليعقوبي[3] ويذكر الإصطخري في كتابه المسالك والممالك حدود بلاد الشام حيث يقول : " وأما الشام فإن غربيها بحر الروم وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ومما يلي الروم الثغور وهي (ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنسية وعين زربه والمصيصة وأذنه وطرسوس)"[4].

أما ابن حوقل فقد حدَّد بلاد الشام بشكل مفصل تماماً من خلال الخريطة التي رسمها لها وقد جاء هذا التحديد مطابقاً ويزيد عن تحديد الإصطخري[5] ألا أن المقدسي قد اختلف في تحديده لبلاد الشام والحديث عنها فقد قام بتقسيمها إلى كوَر ، ومن خلال حديثه عن تلك الكور يمكن استنتاج حدودها وأهم المدن فيها[6] وقد فعل الهمذاني ما فعله المقدسي حيث قسم العالم إلى أقاليم وجعل بلاد الشام ضمن الإقليم الرابع[7] الذي قسمه المقدسي إلى أربعة صفوف – يشكل الحد الغربي للصف الأول حد بلاد الشام من الغرب والحد الشمالي للصفوف الأربعة مجتمعة حد بلاد الشام من الشمال وكذلك الحال بالنسبة للصفوف من جهة الشرق والجنوب – وفي ذلك يقول المقدسي : " <u>الصف الأول :</u> وهو الذي يلي البحر (بحر الروم) وهو السهل الساحلي ويقع فيه من البلدان (الرملة ، جميع مدن الساحل).

<u>الصف الثاني :</u> وهو الجبل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع ، يقع فيه من البلدان (بيت جبريل ، إيليا ، نابلس ، اللجون ، كابل ، القدس ، البقاع ، أنطاكية).

---

(1) أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص (176) .
(2) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص (74 – 80) .
(3) اليعقوبي ، البلدان ، ص (82-85) .
(4) الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص (43) .
(5) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص (165) ؛ والملحق رقم (1) المرفق يبين تحديد ابن حوقل لبلاد الشام .
(6) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص (186) ، عباس ، مدن بلاد الشام ، ص (7) .
(7) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص (9) .

الأغوار : وهي ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع ونيل ويقع فيه من البلدان (أيله ، تبوك ، صَغر أريحا ، بيسان ، طبرية ، بانياس).

الصف الرابع : وهو يتمثل في سيف البادية وهي عبارة عن جبالٍ عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار ، يقع فيه من البلدان (مآب ، عمان ، أذرعات ، دمشق ، حمص ، تدمر ، حلب) وتقع فيه الجبال الفاضلة مثل جبل (زيتا ، صديقا ، لبنان ، اللكام)"[1].

وقد حدَّد محمد كرد علي بلاد الشام على النحو التالي : "

أ- حدها من الغرب : البحر المتوسط أو بحر الروم أو بحر الملح أو بحر الشام .

ب- حدها من الشرق : البادية من أيله (بالقرب من العقبة اليوم) إلى الفرات ، ومن الفرات إلى حد الروم أو آسيا الصغرى.

ج- حدها من الشمال : بلاد الروم (كانت هذه المناطق مفتوحة على أراضي الدولة البيزنطية ، حيث أن هذه المنطقة كانت خلال فترة الدراسة ضمن الأراضي البيزنطية).

د- حدها من الجنوب : مصر وتيه بني إسرائيل .

ويذكر كرد علي أنه يمكن تحديد بلاد الشام كذلك على النحو التالي : " يحيط ببلاد الشام من جهة الجنوب حدّ يمتد من رفح إلى تيه بني إسرائيل إلى ما بين الشوبك وأيله إلى البلقاء ويحيط به من الشرق حدّ يمتد من البلقاء إلى مشاريق صرخد آخذاً على أطراف الغوطة إلى سلمية إلى مشاريق حلب إلى بالس ويحيط به من جهة الشمال حدّ يمتد من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم إلى البيرة إلى قلعة الروم إلى سميساط إلى حمص منصور إلى بهنس إلى مرعش إلى سيس إلى طرسوس[2].

من كل ما سبق نستنتج أن حدود بلاد الشام قد جاءت متشابهة عند الجغرافيين والمؤرخين العرب والمسلمين وإن اختلفت الطريقة التي حدّدت بها .

---

(1) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص (186) .

(2) كرد علي ، خطط الشام ، ج1، ص (9) .

(3) حدود بلاد الشام كما وردت عند مؤرخي وجغرافيي الدولة البيزنطية :

على الرغم من التشابه في التحديد لبلاد الشام بين العرب والبيزنطيين فقد كان هنالك اختلافٌ في التسميات بين الطرفين ، فنجد أن البعض قد أطلق عليها اسم (سوريا/Syria)[1] وهو اسم يوناني الاصل [2] ، والبعض أسماها (العربية/Arabia)[3]، أو (الشام/Sham)[4]، (المقاطعة الرومانية/Roman Province)[5].

وقد قام هؤلاء بتحديد بلاد الشام على " أنها المنطقة التي تمتد على طول الحدود الفارسية ، وتقع إلى الشمال الغربي من مملكة الأنباط "[6]، أو أنها منطقةٌ في الجزء الشرقي من الإمبراطورية ، يحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشمال والشرق جبال طوروس ونهر الفرات والمنطقة الصحراوية –(يمكن أن يكون المقصود بها هنا بادية الشام)– ومن الجنوب نهر العاصي ، وقد كانت أنطاكية أهم المدن فيها[7].

وقد حدَّد البعض الآخر بلاد الشام من خلال حديثه عن أهمية موقعها من الناحية الاستراتيجية : " فهي تقع بين قارتين هما آسيا وإفريقيا وبين منطقتين من مناطق الاستيطان البشري الأول هما (وادي الفرات في الشرق ووادي النيل في الغرب)، وتعتبر أيضاً بمثابة جسر يربط بين وآسيا وإفريقيا ، أحد طرفيه في الصحراء والطرف الآخر على البحر ، كما تعتبر ملجأً للموجات البشرية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية ومعبراً للتواصل بين الحضارات المحيطة بها وساحةً للمعارك بين الدول الطامعة بها[8].

---

(1) Browning. Robert, Justinian and Theodora. P(129)

(2) Smith, George Adam ,The Historical Geography Of The Holy Land Fontana Library Edition. 1966 ,P (27)

(3) Kazhdan, Alexander. The Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vol, vol.1, p (147)

(4) Smith, op.cit. P (147)

(5) Kazhdan, , op.cit, p (147)

(6) Browning, , op.cit. P(219)

(7) Kazhdan, , op.cit, p (1997)

(8) Smith, , op.cit, P (6)

ج- أبعاد ومساحة بلاد الشام :

تبلغ المساحة الإجمالية لبلاد الشام حوالي (307134) كم^2[1]، وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد أبعادها ووحدة المسافة التي استخدموها في قياساتهم ، فمنهم من جعل وحدة المسافة هي اليوم أو المرحة أو الفرسخ[2]، ومنهم من جعل الميل هو وحدة المسافة[3] وقد قدرت أبعادها انطلاقاً من مدائن (مدين) شعيب إلى الثغور الشمالية (39) يوماً[4]، أما ابن حوقل فقد قدّر طولها من حد ملطية إلى رفح بـ(25) يوماً ، أما عرضها فهو من جسر منبج إلى طرسوس (10) مراحل ومن بالس إلى أنطاكية ثم إلى الاسكندرونه ثم طرسوس (10) مراحل أيضاً ، وفي الجزء الجنوبي منها يقل العرض إلى ستة مراحل للمنطقة من يافا إلى معان[5]، في حين اكتفى بعض الجغرافيون بالإشارة إلى أن جزأها الشمالي أعرض من الجزء الجنوبي[6] أما الإصطخري فقد ذكر أن طولها من ملطية إلى رفح (25) مرحلة وعرضها في بعض المواضع أكثر من بعض وأن أعرضها طرفاها ، وأحد طرفيها من الفرات (من جسر منبج) على منبج ثم على قورس في حد قنسرين إلى أن يصل إلى طرسوس ، وبذلك يكون عرضها نحو (10) مراحل ، أما الطرف الآخر فهو حد فلسطين وهو يبدأ من يافا على البحر إلى معان شرقي جبال الشراة ويبلغ عرضها (6) مراحل وأقل عرضها هو (3) أيام في المنطقة بين طرابلس وأقصى الغوطة حتى تتصل بالبادية[7].

---

(1) Microsoft, Microsoft Encarta World Atlas 2000

(2) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص (189) .

(3)الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص(646) . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص(151) .

(4) المقدسي ،المصدر السابق ، ص(189) .

(5) ابن حوقل ،المصدر السابق ، ص(170) .

(6) المقدسي ، المصدر السابق، ص(189) .

(7) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص(48 – 49) .

د- التنظيمات الإدارية لبلاد الشام في العهد البيزنطي :

كأي ولايةٍ تابعة للإمبراطورية البيزنطية وتتمتع بمساحةٍ كبيرة ، لا بُدَّ من أسلوب يتبع لتسهيل إدارتها والتعامل معها ، فمنذ دخولها تحت السيطرة اليونانيه أيـــام الإســكندر الأكبـــر (356-335ق.م) الذي بدأ ببناء المدن حتى قيل أنه قد بنى حوالي 75 مدينة[1].

بعد ذلك وخلال حكم الدولة السلوقية الذي بدأ في القرن الرابع قبل الميلاد تمَّ تقسيم بلاد الشام إلى أربع ولايات هي :

1- أنطاكية : وقد كانت تمتد من ساحل البحر المتوسط غرباً إلى مشارف نهر الفرات شـــرقاً ، وكانت كل من (بيوريه/حلب) و(خلقيس/قنسرين) تابعةً لها .

2- أفامية : وكانت تشمل الرقعة الواقعة إلى الجنوب من ولاية أنطاكية والتي كانت تمتد جنوباً إلى مشارف البقاع . أما شرقاً فلم يكن لها حدٌ معين . وكانت المدن أو المعسكرات التابعة لهـــا هي (قلعة شيزر أو زنجار ، كاسيتا ، مغارة المعرة ، (أبولينا/الرستن الحالية) .

3- ولاية كوستيا .

4- ولاية خلديسية وهاتان الولايتان (كوستيا وخلديسيه) تقعان في أقصى شمال بلاد الشام .

أما الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام فكان هناك :

1- فينيقيا بمدنها التي كانت ذات مؤسسات خاصة وامتيازات كبيرة .

2- سورية المجوفة إلى الشرق من سورية الأولى .

3- أدوم (وهي المنطقة الجنوبية من الأردن حالياً).

4- فلسطين.

وقد كان السبب وراء هذه التقسيمات هو محاولة الإمبراطور (غلاريوس) إضعاف نفوذ حكام المقاطعات الرومانية ، بتقليص مساحة الأراضي التي يسيطروا عليها ، بحيث أصـــبحت سلطة الحاكم (حاكم الولاية) سلطةً إداريةً فقط ، في حين أصبحت السلطات العسكرية وكل مـــا يتعلق بها من اختصاص قائد عسكري معين من قبل الإمبراطور يحمل رتبة (DUX)[2]. وعندما

---

(1) زيادة ، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، ص(100 ، 111) .

(2) Bouchier, E-S, Syria as Aroman Province, p (153)

وصل بومبي إلى الحكم (64ق.م)[1] قام بثلاث خطوات لمعالجة حالة الفوضى التي كانت قد عمَّت بلاد الشام نتيجةً لضعف الدولة السلوقية وهي :

1- ترك للمدن الفينيقية والمدن اليونانية العشر ما كانت عليه من تنظيمٍ محلي .

2- حافظ على سلطة الأسر الحاكمة ضمن حدود الإمبراطورية الرومانية والسبب في ذلك مقدرة زعماء تلك الأسر على التعامل مع القبائل العربية ضمن مناطق سيطرتهم بشكلٍ أكبر من أي حاكم روماني آخر وذلك لمعرفتهم بطباعهم وعاداتهم[2].

3- لقد ابقى الامبراطور بومبي على سلطة زعماء الأسر العربية الحاكمة في الولايات التابعة كما عمل على إضعاف نفوذ تلك الأسر للدرجة التي تجعلها تابعة وباستمرار للحكومة المركزية وغير قادرة على الخروج عن سلطانها أو الثورة عليها[3].

إستمر العمل بهذه التقسيمات حتى منتصف القرن الرابع الميلادي ، مع احتفاظ أنطاكية بمركز الصدارة كأهم مدن بلاد الشام ومركزاً للحاكم الروماني في الشرق . إلى أن كان عهد الإمبراطور قسطنطين (324-337م) حيث تمَّ نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية[4] قبل نهاية القرن الرابع لم يعد النظام الإداري الروماني صالحاً لمواكبة التطورات والمشاكل الطارئة في تلك الفترة ، ولمواجهة ذلك فقد وضع الإمبراطور قسطنطين (324-337م) أسساً جديدةً لإعادة تنظيم الإمبراطورية البيزنطية ، حيث قام بإعادة تقسيم العديد من المقاطعات القديمة كل واحدة إلى مقاطعتين جديدتين مما أدَّى إلى مضاعفة أعداد المقاطعات في الإمبراطورية[5]، وقد جاءت تقسيماته على النحو التالي :

---

(1) Shahid, IRFAN. Rome and The Arabs, p (1)

(2) Bouchier, Syria as Aroman Province, p (184)

(3) زيادة ، التطور الإداري ، ص(114) .

(4) علي ، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي ، ص (73-75) .

(5) Seibt, Werner. Byzantine Administraion in Bilad Al-Sham, p (36) ؛ والملحق رقم (2) المرفق يبين التقسيمات الإدارية لبلاد الشام في عهد الإمبراطور قسطنطين (324-337م) .

(1) سوريا : وقسمت إلى :

أ- **سوريا الأولى :** وتشمل شمال سورية من الساحل إلى الولاية الفراتية شرقاً ، أما في الشمال فكانت تحدها ولاية كيليكيا الشمالية وفي الجنوب كانت سوريا الثانية تلاصقها[1]، وقد شملت هذه الولاية مدن (أنطاكية ، حلب ، قنسرين ، اللاذقية)[2]، وقد كانت مدينة أنطاكية مركز الولاية ومقر إقامة حاكم ولاية سوريا في الوقت الذي كانت فيه مدينة (خلقيس/قنسرين) مركزاً لإقامة الجند (معسكر/قاعدة عسكرية) الموجودين في تلك المنطقة[3].

ب- **سوريا الثانية :** وهي تمتد من الساحل جنوبي سوريا الأولى عبر أواسط بلاد الشام إلى الصحراء تقريباً وقد كانت مدينة (أفاميه) مركزها الاداري ومن مدنها كانت (حماة/حمات ، شيزر/لاريسا ، الرستن/أبولوينا)[4].

(2) فينيقية الساحلية : وتمتد على ساحل البحر المتوسط من مدينة بانياس إلى جنوبي جبل الكرمل ، وتعتبر مدينة صور عاصمة المقاطعة ومن المدن التابعة لها (طرابلس ، بيروت ، صيدا ، عكا ، قيسارية).

(3) فينيقية اللبنانية (الداخلية) : وكانت عاصمتها دمشق ومن أهم مدنها (حمص ، حوران ، بعلبك ، سلميه ، تدمر) وتعد مركزاً لإقامة كاهن البدو العرب وهو فيما يبدو من اسمه انه رجل دين كان يختص بالأمور الدينية للقبائل العربية في بلاد الشام .

(4) فلسطين الأولى : وتشمل السهل الساحلي من نقطة تقع جنوبي جبل الكرمل إلى النقطة الواقعة جنوب مدينة رفح وكانت تشمل الجزء الجنوبي من وادي الأردن ، وقد كانت مدينة (قيساريه) مركزها الاداري ومن أهم مدنها (أريحا ، نابلس ، سبسطية ، يافا ، وعسقلان).

(5) فلسطين الثانية : وتشمل مرتفعات الجليل ومنابع نهر الأردن والمنطقة الشمالية من غور الأردن ومرتفعات الجولان[5] كما كانت تضم مجموعةً من حلف المدن العشر اليونانية[6] (بلا

---

(1) زيادة ، التطور الاداري ، ص (118) .

(2) Trimingham, Christianity Among The Arabs, p (91)

(3) زيادة ، المرجع السابق ، ص (118) .

(4) Trimingham ,op.cit, p (91)

(5) زيادة ، المرجع السابق ، ص (118 – 119) .

(6) Trimingham, , op.cit, p (91)

جدارا ، بيت راس ، الحصن ، طبريه ، صفوريه ، اللجّون ، تل المتسلم)[1]. وكانت تعتبر جزءاً من منطقة المدن العشر ومنطقة الجولان الإدارية والتي مركزها مدينة بيسان[2].

(6) فلسطين الثالثة : وكانت تضم منطقة إيدوم وجزءاً كبيراً من شبه جزيرة سيناء ، وكل المنطقة الواقعة إلى الشرق والجنوب من الجزء الأوسط للبحر الميت ومنطقة بئر السبع والخالصة والنقب والبتراء ويوتابي وقد كانت أيلة (العقبة) مقر حاكم الولاية .

(7) العربية/Arabia : وتشمل المنطقة الواقعة إلى الشرق من فلسطين الأولى والثانية وإلى الجنوب من ولاية فينيقية اللبنانية وإلى الشمال من وادي (أرنون/الموجب)[3]، وكانت تضم مدن (مادبا ، حسبان ، عمان ، نابلس ، شهبا ، السويداء)[4] ويستنتج من كل ذلك ان السبب من هذه التقسيمات هو تسهيل الادارة والسيطرة على الولايات من حيث اضعاف سلطة الاسر الحاكمة وتسهيل عملية جباية الضرائب وتوفير الحماية للمراكز الهامة فيها.

هـ- العلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام وأسباب خروجها من مواطنها الأصلية :

(1) العلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام :

تعتبر بلاد الشام امتداداً طبيعياً للجزيرة العربية، حيث لا يوجد بينهما أي عائق أو حاجز طبيعي يجعل الاتصال بينهما صعباً وخصوصاً العلاقات بين سكان شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام اجتماعياً و ثقافياً و سياسياً وتجارياً وحتى العلاقات الحربية بين الطرفين .

لقد كانت القبائل العربية في حالة ترحال شبه دائم من مكانٍ لآخر ضمن المنطقة ، فتارةً تكون ضمن أراضي شبه الجزيرة العربية وتارةً تتحرك إلى الشمال لتدخل ضمن حدود بلاد الشام حيث يبدو واضحاً ان القبائل القريبة من المدن أو المحطات التجارية تميل الى تشكيل مجتمعات شبه مستقرة على أطراف تلك المواقع وذلك في محاولة منها لتعويض ما كانت تكسبه من عمليات الغزو والسلب فقامت لذلك بعقد اتفاقيات مهادنة مع جيرانها يكون من شروطها ان تقوم

---

(1) زيادة ، التطور الإداري ، ص (119) .

(2) Trimingham, , Christianity Among The Arabs, p (91)

(3) زيادة ، المرجع السابق ، ص (120) .

(4) Trimingham, op cit , p (91)

تلك القبائل بحماية المزارعين المستقرين من جماعات تلك القبيلة ، وقد كانت دولة الانباط ممن عقد مثل هذه الاتفاقيات[1] ، وحتى هذه اللحظة نجد هنالك من القبائل من يتنقل بين أراضي السعودية والعراق وإيران ولبنان ، دون أية قيود وذلك ضمن اتفاقيات معقودة بين الطرفين وضمن شروطٍ متفق عليها .

لم تبدأ العلاقات بين العرب وبلاد الشام مع الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام بل ضربت بجذورها في أعماق التاريخ وكان ذلك حوالي القرن الثاني قبل الميلاد (قبل عهد بومبي)[2]، بل هنالك من يرد أصل الوجود العربي في بلاد الشام إلى القرن السادس قبل الميلاد عندما هاجر الأنباط إلى البتراء قادمين من بلاد ما بين النهرين مع الملك نبوخذ نصّر في حملته على فلسطين[3] ، كما أن هنالك الكثير من الألفاظ والكلمات التي تدل على الوجود العربي في المنطقة قبل الفتح الإسلامي بوقتٍ طويلٍ جداً[4].

فقد كان للعرب وجوداً في منطقة بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وإلى الجنوب من جبال طوروس ومنطقة أنطاكية وإلى الشرق من منطقة قنسرين ، حيث كان يسكن هناك بعض الجماعات العربية مثل (اللخميين) فقد وردت اشارات عند الفراعنة والاشوريين الى الوجود العربي في المنطقة فقد اوردت النقوش الفرعونية اشارات غير مباشرة للوجود العربي في بلاد الشام فقد وردت تسميات عامة كانت تطلق على سكان الالصحراء الشرقية وسورية وفلسطين والقسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية ، ومن هذه التسميات "عامو " أي الاسيويين أو "تاعامو " أي ارض الاسيويين أو "تا-نثر " والتي كانت تشير الى الاراضي الواقعة الى الشرق من وادي النيل إلا ان الاشارة الواضحة للوجود العربي بدأت في القرن العاشر الميلادي[5] ، كما اوردت النقوش المسمارية والتي عبرت عن انتصارات ملوك الدولة الاشورية على اعدائهم اشارات الى العرب فقد ورد في نقش يعود الى عهد الملك شلمنصر الثالث (858 – 824 ق م) بأن الملك

---

(1) أولري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(170) .

(2) Shahid, Rome and The Arabs, pp (1-5)

(3) kammerer: petra , pp (27-28)

(4) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص (58 ، 60–61) .

(5) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص (401 –403)

توجه الى منطقة القرقار لمواجهة تجمع كونه ملك دمشق ، ضهرت فيه الى جانب قوات الملـــك الدمشقي قوات أخرى من حماة وأرواد ومدن سورية أخرى وكان من بين القوى المتحالفة مـــع ملك دمشق " الف عربي من راكبي الجمال بزعامة جندبو "[1] ، وفي عام (851 – 843 ق م) قام هنالك تحالف بين العرب والفلسطينيين ضد مملكة يهوذا وقد ادى ذلك الـــى اجتيـــاح تلـــك المملكة ، وتتكرر التحالفات بين العرب (العمونيين والمعينيين) والفلسطينيين ضد اليهود فـــي عهد الملك عزيا سنة (779– 740 ق م) إلا ان اليهود ينتصرون على هـــذه التحالفـــات[2] ، ويذكر رضا الهاشمي ان العرب المذكورين في نص القرقار لايمكن اعتبارهم بدواً بشكل كامل ويعود السبب في ذلك انهم بلغوا شوطا في التنظيم السياسي والدليل على ذلك هـــو ان زعـــيمهم الذي كان يسمـــى " جندبو " استطاع ان يتحرك على رأس قوة مؤلفة من (1000) من راكبـــي الجمال المحاربين[3] ، إضافة لماسبق فقد وردت اشارات غير قليله في النصوص الاشورية تبين انه كان هنالك علاقات بين شعوب بلاد الرافدين والقبائل العربية في بلاد الشام وقد جائت هـــذة العلاقات من خلال الحملات التي قام بها الملوك الاشوريين مثل حملة تجلات بلاســـــر الثالث (744–727 ق م) في اسنة الثالثة من حكمة على العرب والتي اجبرت فيهـــا الملكـــة العربيـــة (زابيبي) ملكة البلاد العربية على دفع جزية سنوية كان قد فرضها عليها وقد كان مـــن بـــين المواد التي دفعتها (الجمال ذكوراً واناثاً)، وفي السنة التاسعة من حكمة (تجلات بلاسر) ترد اشارة الى جزية كانت قد دفعتها (الملكة سمسي) ملكة العرب ، وقد كانت الجمـــال مـــن بـــين المواد التي دفعت هذة المرة ايضاً ، كذلك وردت اشارة الى الحرب التـــي شـــنها هـــذا الملـــك الاشوري ضد الملكة سمسي والتي قتل فيها (1100 محارب و 30 الف بعير و20 الـــف راس ماشية) ، وأنه غنم (5000) حافظة مملوءة بالطيوب المختلفة و(11) إناء من الذهب هي ثروة الملكة[4]، وإن صح ذلك فإن قتل هذا العدد الكبير من المحاربين والجمـــال وغنيمـــة (5000)

---

(1) الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، ص (640) ، يحيى ، العرب في العصور القديمـــة ، ص (409)

(2) يحيى ، المرجع السابق، ص (407) .

(3)الهاشمي ، المرجع السابق ، ص (643) .

(4) المرجع السابق ، ص (645 – 646) .

حافظة طيوب لهو دليل قوي على ان الوجود العربي في بلاد الشام لم يكن على شكل جماعات قليلة العدد وانما هو دليل على وجود كيانات ذات تنظيم سياسي من نوع معين حيث ان (1100 محارب) و (30 الف بعير) هو عدد ضخم جداً في ذلك الوقت لايمكن لقبيلة واحدة ان تملكة بل لايتأتى الا من تحالف عدة قبائل يتوقع ان يكون تعدادها اكثر من (500 الف نسمة) أو اكثر .

وفي الفترة بين القرن الثامن والسابع قبل الميلاد ترد اشارات جديدة للوجود العربي حيث اشار الملك سنحاريب (704 – 681 ق م) الى ان من بين الاقوام التي دعمت الثائر الكلداني مردوخ بلادان في بابل كان العرب والاراميون و الكلدانيون وانه خلال حملته ضد هذا الثائر والتي تكللت بالظفر حارب سنحاريب مجموعة من القبائل يستدل من اسمائها انها قبائل عربية ومن هذة القبائل ، حمرانو (يمكن ان تكون من قبائل حمير) ، هجرانو (يمكن ان تكون من منطقة هجر في اليمن) ، نباطو (يستدل من اسمها انها من الانباط الذين انتقلوا فيما بعد في القرن السادس إلى الجزء الجنوبي من بلاد الشام ، الاراميين)[1] .

تشير النصوص الاشورية إلى ان العرب كانوا منتشرين في بوادي الاقسام الشمالية لشبة الجزيرة العربية من حدود الفرات شرقا الى خليج العقبة غرباً وان تجمعاتهم الهامة كانت تتركز في العقُد (المحطات) الرئيسة على طرق التجارة وخصوصاً في مدن الواحات حيث تتوفر المياة وكذلك في المناطق الخصبه الواقعه وراء نهر الاردن وحتى حوران حيث يوجد االكثير من المدن اليونانيه التي بناها الاسكندر وخلفاؤه ، وبذلك تكون مراكزهم بالقرب من مدن وادي الرافدين ودمشق في سوريا واورشليم بالنسبة لسواحل البحر المتوسط وقد وصفوا " بأنهم أصحاب الجمال الوحيدون " وقد جعلتهم هذه الخاصية يسيطروا على الخطوط التجارية بإتجاهاتها المختلفة ، وفي النصف الاول من القرن السابع قبل الميلاد قام الملك الاشوري اسرحدون بحملة ضد مدينة أدامتو (دومة الجندل) ليكمل في حملته هذة ما كان قد بدأه والده سنحاريب – الذي اجبر (حزائيل) ملك العرب واحدى الملكات العربيات على الهرب الى (أدامتو / دومة الجندل) وقد وصف سنحاريب أدامتو بأنها قلعة العرب الحصينة – وقد اطلق

(1) الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، ص (647) ؛ رستوفزف تاريخ الامبراطوريه الرومانية ، ص (352).

اسرحدون في النص الذي ارخ فيه لحملته على بلاد العرب اسم ارض (بازو)[1]، وقد وردت اشارات كثيرة تشير للوجود العربي في بلاد الشام والعلاقات التي كانت تربط بين العرب وبلاد ما بين النهرين(*) ، وقد ذكر عرفان شهيد ان الوجود العربي في بلاد الشام أصبح ظاهراً بشكل واضح حوالي عام (63 ق.م) أي في السنة التي استعمرها الامبراطور الروماني بومبي فيهـا ويستدل على ذلك من خلال الحقائق التالية :-

- الى الجنوب من جبال طوروس وفي منطقة انطاكية كان يوجد مجموعة من العـرب تحت حكم حاكم يدعى (عزيز) وقد كان له نفوذ قوي خلال حكم آخر اثنين من حكام الدولة السلوقية .

- الى الشرق من منطقة انطاكية وجد هنالـك الكثيـر مـن الامـراء العـرب مثـل (الخادامنوس / ALCHAEDAMNUS ، ملك الرحمبلي) .

- الى الشرق يوجد هنالك عرب تدمر الذين اصبحوا فيما بعد عنصرا هاما في العلاقات العربية الرومانية في القرن الثالث الميلادي .

- في وادي نهر العاصي حيث توجد مدن (حمص وحماة) حكمت هنالـك جماعـة أخرى من العرب تحت حكم (سمسقيراموس) الذي استطاع ان يتحالف مـع جيرانـه الشماليين (عزيز).

- اليطوريون الذين كانو من قدماء السكان الذين ذكرتهم المصادر الكلاسيكية منذ ايـام الاسكندر الاكبرحيث سكنوا وحكموا ولاية لبنان وشرقي لبنان حيث انتشروا في (باتانيا و طراخونية وحماة) .

- الى الجنوب من اليطوريين كان يوجد الانباط الذين اتخذوا من البتراء عاصمة لهم ، وقد امتدت سلطتهم على المناطق التي تشمل حالياً (شرق الاردن وشبه جزيرة سيناء) فقد استولوا في القرن الاول على دمشق نفسها وقد كانوا يمثلوا اهم مجموعة عربية في المنطقة بل وأقدمها .

---

(1) الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية، ص (649 -650) .

(*) لمزيد من التفصيل حول الاشارات للوجود العربي في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين أنظر :رضا جـواد الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ، العدد (22) ، 1978 .

سكن الادوميون جنوب فلسطين الى الغرب من البحر الميت ، حيث اجبرهم الانباط في القرن الرابع قبل الميلاد على التوسع غرباً ، وقد اصبح الادوميون في منتصف القرن الرابع من اهم القوى السياسية في فلسطين وسورية الجنوبية [1]. مما سبق يتبين أن الانتشار العربي في بلاد الشام كان على دفعات وفي أزمانٍ مختلفة قبل الفتح الإسلامي (ق7م)[2]، في الوقت الذي كانت فيه شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام محط أطماع الدول الكبرى المحيطة بها (الفرس واليونان ثم الرومان والبيزنطيون) وخصوصاً الإسكندر الأكبر الذي كانت لديه الرغبة في احتلال السواحل الغربية والجنوبية لشبه الجزيرة العربية ، في محاولةٍ منه لإكمال حلقة الاتصال البحري بين الشرق والغرب ، إلا أن وفاته عام (323ق.م) حالت دون ذلك على الرغم من أن كافة الاستعدادات لذلك كانت قد أُنجِزَت[3].

(2) أسباب هجرة القبائل من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام :

نتيجةً للعلاقات القديمة والتي تسبق فترة الدراسة بين بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية وبسبب بعض الظروف سواء كانت بشرية تمثلت بان تقوم قبيلة قوية صاحبة نفوذ بالاستيلاء على ارض قبيلة اخرى ضعيفة او قيام حرب بين بعض القبائل أو بيئية كالجفاف أو القحط والتي كانت في غالبها تجبر القبائل على مغادرة مواطنها الأصلية في اتجاهاتٍ مختلفة [*] كانت جهة الشمال والشمال الشرقي أهمها ، فهناك من ذهب إلى عُمان وهناك من ذهب إلى البحرين(دولة البحرين الحالية) وشرق شبه الجزيرة العربية والبعض الآخر دخل إلى منطقة بلاد ما بين النهرين وهؤلاء ثلاثة أنواع : الأول استقر فيها والثاني استمر بالحركة إلى الساحل الشرقي للخليج العربي والثالث استمر بالحركة شمالاً ومن هؤلاء من دخل أراضي الدولة البيزنطية عن طريق الجزيرة الفراتية مجتازاً نهر الفرات مثل قبائل تنوخ ، ومن خلال ما ذكرته المصادر المختلفة يتضح بأن انتقال القبائل من مواطنها الأصلية إلى مواطنها الجديدة لم يكن يحدث بشكل

Shahid, Rome and The Arabs, pp (1-5) (1)

(2) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص (58) .

(3) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص (422) .

(*) أنظر خارطة الهجرات العربية القديمة ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، د. شوقي أبو خليل ، ص (5) .

مباشر بل كانت القبيلة الواحدة تقضي زمناً في التنقل والارتحال من مكان الـــى آخـــر داخـــل الجزيرة العربية حتي يستقر بها المطاف داخ حدود بلاد الشام فالغساسنة علـــى ســـبيل المثـــال خرجوا من موطنهم الأصلي في القرن الثالث الميلادي ليستقروا في بلاد الشام مع نهاية القـــرن السادس الميلادي ، ويمكن إرجاع أسباب هذه التحركات والهجرات إلى عدة أسباب هي :

أ- **التجـــارة** : فقد كانت مدن وموانئ بلاد الشام تمثل المحطة النهائية لكل من طريقي الحريـــر والبخور[**]، فقد كان الأول يبتدئ من الهند والآخر من حضرموت أو بلاد اليمن (جنوب شـــبه الجزيرة العربية) فبعد ان حلت الطرق الرومانيه مكان طرق القوافل القديمـــه وحـــصنت اهـــم المواقع فيها وهي اماكن المياه ووضعت فيها الحاميات الرومانيه ازدهرت حياة جديده في الاقليم الواقع وراء نهر الاردن واصبحت المدن القديمة مراكز تجاريه مزدهرة الامـــر الـــذي جعـــل السكان فيها يتجهون نحو حياة الاستقرار فاستبدل كثير من القبائل العربية خيامهم ببيـــوت مـــن الحجر ومراعيهم بالحقول الزراعية[1]، حيث كان طريق البخور يعتبر مصدراً هاماً من مصادر تزويد بلاد الشام والإمبراطورية الرومانية ومن بعدها البيزنطية بمادتي البخور والطيوب اللتين كانتا تدخلان في الطقوس الدينية في المعابد والكنائس[2]، فقد كان يتم جمع حاصـــلات البخـــور والطيوب من قبل التجار اليمنيين إضافةً إلى ما يتم جلبه من شرق إفريقية ليتم بعد ذلك إرسالها بواسطة القوافل التجارية البرية باتجاه الشمال إلى مكة ثم عبر المحطات المختلفة إلى أن تصل في النهاية إلى مدينة البتراء عاصمة الأنباط ومن هناك يتمُّ نقلها إلى موانئ البحر المتوسط . أو عبر طريق ساحلي على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ثم إلى أيلة ثم البتراء ثم المنـــاطق الشمالية لبلاد الشام[3].

كما كان هنالك طريق آخر ينطلق من حضرموت إلى البحرين فـــي الـــشمال الـــشرقي للجزيرة العربية ثم عبر منطقة وادي السرحان[4] إلى مدينة صور على ساحل البحر المتوسط[5]،

(**) أنظر خارطة طريق التجارة القديمة ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، د. شوقي أبو خليل ، ص (28) .

(1) رستوفنزف ، تاريخ الامبراطورية الرومانية ، ص (353) .

(2) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(204-206) .

(3) Johnson, David, Nabateaan Trade, p (90 , 101) .

(4) Johnson, op.cit, p(90)

(5) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(51).

وقد أدّى ذلك إلى ازدهار الحالة الاقتصادية لبلاد اليمن والمدن الواقعة على الطـــريقين والتـــي نشأت كمحطاتٍ تجارية لخدمة القوافل أو كأسواق للتبادل التجاري مع القبائل الواقعة على طول الطريقين ، كما اشتغل سكان تلك المحطات التجارية في خدمة القوافل كحراس أو أدّلاء[1] إضافةً إلى التجارة فقد كانت القبائل الواقعة على مسار طريق القوافل تقدم واجب الحمايـــة للمحطـــات وللقوافل من هجمات القبائل الأخرى مقابل مبلغٍ من المال يُدفَع لها ، وقد أدّى ذلك إلـــى نـــشوء علاقات صداقة أو عداء مع الدول المجاورة لأماكن استقرار تلك القبائل وخصوصاً الدول التي لها قوافل تجارية ، كما أدَّى ذلك أيضاً إلى نشوء علاقات اجتماعية وثقافية بين القبائل والمناطق المجاورة[2] وفي النهاية يتضح بان التجارة كانت من العوامل الهامة التي ساعدت على استقرار بعض القبائل في مواطن جديده غير مواطنها الاصلية.

ب- **الجفاف** : يعتبر الجفاف والذي عادةً ما يصاحبه القحط من أهم الكوارث التي تواجه سكان الصحراء ، خصوصاً وأنهم يعتمدون في إطعام ماشيتهم على الرعي وعلى الماء (ماء المطـــر) ليشربوا هم وماشيتهم ،فعندما كانت تشح موارد الارض من الماء والكلأ وتصبح غير كافية لسد حاجة السكان يصبح من الضروري عليهم البحث عن مصدر جديد لهما[3] ، وقد كان هذا الأمر يؤدي إلى انتقال القبائل إلى المناطق المجاورة للبحث عن الماء والكلأ [4] ،الذي كان متوفراً في الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، فقد كان الازدياد الكبيرفي عدد السكان يؤدي الى عدم مقدرة المصادر الطبيعية الموجودة على تقديم ما يكفيهم من متطلبات العيش فكانوا يميلون الـــى البحث عنها في المناطق المجاورة وخصوصاً في الاراضي الشمالية المجاورة لهم[5] الأمرالذي كان يجعل القبائل تتحين الفرص للدخول على شكل جماعات كبيرة أو صغيرة أو على مـــستوى أفراد إلى أراضي الدول المجاورة لهم والسبب في ذلك ان عملية الدخول لم تكن دون سيطرة فقد نشرت الامبراطورية الرومانية الحاميات من الجند لحماية الاماكن الهامة على الطرق وفي نفس

---

(1) سحّاب ، إيلاف قريش ، ص(48).
(2) أمين ، فجر الإسلام ، ج1 ، ص(14-15).
(3) الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ص (29) .
(4) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج1 ، ص(360) ؛ Shahid , Byzantium and The Arabs in 5th cent., p(23)
(5) الفيومي ،المرجع نفسه ، ص(29) .

الوقت مراقبة تحركات القبائل البدوية على اطراف الصحراء ، وقد كانت بلاد الشام أقرب تلك البلدان – فيفسدون زرعها ويحتطبون المثمر وغير المثمر من أشجارها ويروون أنعامهم من مياه عزيزةٌ على أهلها جمعوها لشربهم وإرواء ماشيتهم[1]– ليستقروا حول آبار المياه أو الواحات ، ففي بعض مناطق شبه الجزيرة العربية قد يؤدي انحباس المطر إلى ارتفاع نسبة الملوحة في مياه الآبار والعيون الأمر الذي يجعل الشرب منها شبه مستحيل والزراعة غير ممكنة مما يجبر أصحاب الأراضي أو الآبار أو العيون على الارتحال إلى أماكن جديدة بحثاً عن مواضع يحفرون بها الآبار كما أنه قد لا يحالفهم الحظ إما لعدم وجود المياه أو لقلة تلك المياه الأمر الذي يدفعهم للارتحال مرةً أخرى إلى موقعٍ جديد وغالباً ما تكون وجهتهم نحو الشمال الشرقي حيث بلاد ما بين النهرين حيث الأراضي الخصيبة والمياه الوفيرة أو نحو الشمال حيث يجدون نفس الشيء في بلاد الشام وقد كان توفر المياه والمراعي من الأسباب التي تجعل تلك القبائل أو الجماعات تستقر ثم تعود وترتحل مرةً أخرى إذا أصابها قحطٍ جديد أو قلةٍ في المياه ، وقد كانت بعض القبائل تتوغل داخل الأراضي المجاورة لها لمسافاتٍ كبيرة ، مما كان يحدث ردة فعل معاكسة ضد تلك القبائل من قبل الدول أو القبائل صاحبة النفوذ في تلك المناطق ، فكانت تقوم ببعض الإجراءات محاولةً منع أو إيقاف تلك القبائل على الحدود أو منعها من التوغل داخل أراضيها ، فكانت تقوم ببناء الحصون ونقاط المراقبة أو بناء خزانات المياه والبرك (بركة زيزياء) ، لتقدم بذلك المياه للقبائل وماشيتها وتحمي نفسها من الوقوع في صراعٍ مع تلك القبائل[2]، وقد أدَّى ذلك مع الزمن إلى استقرار تلك القبائل في أماكنها الجديدة وانتقالها تدريجياً من حياة الرعي إلى حياة الزراعة خصوصاً مع توفر المياه[3] وقد ساهم ضعف الحكومات المركزية في بعض الولايات الرومانية في تشجيع القبائل على الدخول والاستقرار ضمن أراضي الدولة الرومانية ثم البيزنطية[4].

---

(1) كرد علي ، غوطة دمشق ، ص(106).

(2) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، ص(105–110).

(3) حتي ، تاريخ العرب ، ص(38–39).

(4) جواد علي، المرجع السابق ، ج2 ، ص(42).

جـ- الحروب والاضطرابات السياسية :

ساهمت الحروب التي كانت تنشب بين القبائل العربية في ارتحال بعض تلك القبائل عن مواطنها الأصلية إلى أماكن جديدة أكثر أماناً لها ، ففي النصف الأول من القرن الثالث للميلاد نشبت حرب بين قبائل مُضر وربيعة من جهة وإياد من جهةٍ أخرى ، نجم عنها إجلاء قبيلة إياد عن مناطق سكنها إلى العراق ، لتعود الحرب بعد ذلك لتشتعل بين مُضر وربيعة ثم على أثرها ارتحال قبيلة ربيعة إلى اليمن(1)، ثم وقعت الحرب بين قبيلتي نزار وقضاعه نتج عنها إجلاء قبيلة قضاعة إلى بلاد الشام ، وفي ذلك يقول عامر بن العزب :

قضاعــة أجلينـــا من الغور كله   إلى فلجات الشام تزجي المواشيا

وماعن تقال كان إخراجنا لهــم   ولكن عقوقاً منهم كان باديـــاً (2)

ومن الأسباب التي كانت تؤدي إلى نشوب الحروب بين القبائل اعتداء بعضها على أراضي بعض أو رفضها دفع الأتاوة للقبائل المسيطرة صاحبة النفوذ ، فخلال ارتحال قبائل الأزد داخل شبه الجزيرة العربية نجد أنه وقعت عدة حروب بينهم وبين القبائل التي كانوا يدخلون أراضيها إلى أن دخلوا أخيراً بلاد الشام وأصبحوا حلفاء للبيزنطيين(3)، حيث نزلوا بلاد الشام في الوقت الذي كانت فيه قبيلة سُليح صاحبة النفوذ فيها ، وقد استأذن لهم زعيم سُليح من نائب الإمبراطور في أنطاكية للإقامة في بلاد الشام تابعين لقبيلة سُليح مقابل دفع الأتاوة لهم ، إلا أنهم فيما بعد تمكنوا من السيطرة ليصبحوا هم أصحاب السلطة وتختفي قبيلة سُليح عن المسرح السياسي في بلاد الشام(4).

د- الكوارث الطبيعية :

يرجح المؤرخون ان انهيار سد مأرب من أهم الكوارث الطبيعية التي أدّت إلى خروج موجات متلاحقة من القبائل العربية من اليمن وتفرقهم في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وقد

---

(1) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج1 ، ص(360) ؛ ابن خلدون ، التاريخ ، ج2 ، ص(500).

(2) البكري ، معجم ما استعجم من الأسماء ، ج1 ، ص(20).

(3) ابن منبه ، التيجان ، ص(279-296).

(4) جواد علي ، المفصل ، ج3 ، ص(388-389).

جاء انهيار السد بسبب سيل العرم الذي اجتاح منطقته[1] وقد أدَّى ذلك إلى خروج قبائل الأزد وانتشارهم في شبه الجزيرة العربية[2]، ثم استقرار بني غسان منهم في منطقة حوران حيث أنشأوا لهم فيها دولة ، كذلك خروج بني لخم إلى أرض الحيرة[3]، وقد ورد ذكر سيل العرم وخروج القبائل من اليمن في القرآن الكريم وكيف أن تلك القبائل قد تفرّقت في البلاد[4]، وتعتبر الحرب بين أهل اليمن والأحباش من الأسباب التي أدّت إلى انهيار السد إضافةً إلى تحويل طريق التجارة إلى طريق بحري يسيطر عليه الأحباش والرومان ، مما أدَّى إلى نقص الموارد المالية اللازمة لصيانة السد الذي تهدم بعد مدة ليست بالطويلة من ترميمه الأخير الذي كان – حسب ما أورده أحد نقوش الخط المسند في شهر (ذي ثبتن) ذو الثبت من سنة 565 من التاريخ الحميري الموافق حوالي عام (450م)، الأمر الذي أدّى إلى تشتت القبائل التي كانت تعتمد عليه في الزراعة والري ، وقد أصبح تفرقهم مثلاً يضرب "تفرقت أيدي سبأ "[5].

هـ- الغـــزو :

أدّى انهيار الروابط الاقتصادية والاحلاف القديمة بين القبائل العربية المختلفة إلى حدوث حالةٍ من عدم الاتزان نتج عنها ظواهر جديدة بين تلك القبائل كان منها الغزو ، وقد تمثّلت هذه الظواهر باستخدم الحرب كوسيلةٍ للثراء والغنى بعد أن كانت للدفاع عن الأرض والعرض أو للأخذ بالثأر بين القبائل ، كما أصبحت ظاهرة الغزو من الظواهر الطبيعية في حياة المجتمعات العربية[6]، فغالباً ما كانت الأطراف الجنوبية والشرقية من منطقة بلاد الشام تتعرض لعمليات الغزو من قبل القبائل القاطنة في الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية خصوصاً عندما

---

(1) الأُصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ج3 ، ص(99) ؛ البكري ، معجم ما استعجم من الأسماء ، ج2 ، ص(27).

(2) الأندلسي ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ج2 ، ص(142) ؛ القرماني ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ج2 ، ص(388) ، أبي الفداء ، تاريخ أبي الفداء ، ج1 ، ص(119) .

(3) حتي ، تاريخ العرب ، ص(100).

(4) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، الآية (15-19).

(5) الحداد ، التاريخ العام لليمن ،ج1 ، ص(301-302).

(6) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص (287 – 293).

تصاب تلك القبائل بالقحط أو الجفاف ، حيث كانوا غالباً ما يقوموا بمهاجمة الأطراف الجنوبيــة والجنوبية الشرقية والشرقية من بلاد الشام طلباً للكلأ والماء لهم ولقطعــانهم[1]، بالمقابــل فقــد أصبحت عملية حماية الحدود من أهم المشاكل التي واجهت الإمبراطورية البيزنطية في الجناح الشرقي منها وبالتحديد في ولاية سوريا وعلى وجه الخصوص الطرف الجنوبي الشرقي منها[2]، بعد ذلك ونتيجةً للتجارب في العلاقات بين البيزنطيين والعرب فقد اتبعوا مع العــرب سياســةً خاصةً بهم تقول : " إن أفضل طريقةٍ لقتال العرب هي استخدام عــربٍ آخــرين ضــدهم "[3]، والسبب في ذلك أن العرب أعرف بطباع بعضهم من البيزنطيين ، إضافةً لمهارتهم في استخدام القوس وركوب الخيل والجمال بحيث يتمكنوا وبسرعةٍ أكبر من غيرهم في صد الهجمات التــي تقوم بها القبائل البدوية على المناطق الحدودية أو المأهولة بالسكان[4]، ومقدرتهم الكبيرة علــى مطاردة القبائل الغازية داخل الصحراء ، ذلك الأمر الذي يعجز عنه الجــيش البيزنطــي لقلــة خبرته في حروب الصحراء ، ومثال ذلك الحلف الذي قام بين الإمبراطور أنستاسيوس البيزنطي والحارث الرابع (الكندي) ليدفع عن البيزنطيين غارات القبائل[5] إضافةً لذلك فقــد تــمَّ زيــادة إجراءات الحماية للحدود البيزنطية ببناء سلسلةٍ من القلاع والحصون لمراقبة تحركات القبائــل على أطراف الصحراء وإعطاء الإنذار عند اقتراب الخطر[6].

---

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، ص(109–110) ؛ حتي ، تــاريخ العــرب ، ص(38–39).

(2) Bosworth and Donzel, The Encyclopedia of Islam, vol, vol 8 , p(98) .

(3) KAEGI, Walter, Byzantium and the early Islamic conquests, p(57) .

(4) الخطاطبة ، الجبهة الشرقية الرومانية في الأردن ، ص(31).

(5) Trimingham, Christianity among the Arabs, pp(115-116) ؛ الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(78).

(6) Trimingham, op.cit, pp(115-116), Kazdhan, The Oxford Dictionary, p(147).

الفصل الثاني

دخول العرب إلى بلاد الشام

الفصل الثاني

1- دخول القبائل العربية إلى بلاد الشام :

لم يكن العرب عنصراً طارئا على بلاد الشام ، اقتصر دخوله إليها مع الفتوحات الإسلامية ، بل لقد كان الوجود العربي فيها قديماً[1]،فهم لم يكونوا معزولين عن المناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربية والسبب في ذلك اشتغالهم بالتجارة مع البلدان المجاورة لهم كبلاد الشام واليمن [2] ، أرجعه بعض المؤرخون إلى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد[3]، وأرجعه البعض الآخر إلى القرن العاشر قبل الميلاد[4]، وهناك من يقول أن الوجود العربي في بلاد الشام كان في القرن الأول قبل الميلاد وأن العرب كانوا منتشرين في مناطق مختلفة داخل المنطقة[5].

وقد كان الدخول العربي إلى بلاد الشام من الجهة الشمالية الغربية لبادية الشام ومن الجهة الجنوبية الغربية[6]. أي من إقليم العربية وفلسطين الثالثة وبادية الشام ، إلا أنّه وعلى الرغم من ذلك فقد كان هنالك مجموعات صغيرة توغلت داخل سوريا[7]، ووصلت إلى الأجزاء الشمالية منها .

وتدل الأبحاث والتنقيبات والنقوش على أن الوجود العربي في بلاد الشام كان قبل الميلاد بعدة قرون ، فقد تأسست دولة الأنباط في الجزء الجنوبي من بلاد الشام وسميت (العربية الصخرية) وكان ذلك منذ القرن السادس قبل الميلاد حيث سكنوا في :-

أ - المدن الواقعة على المنحدر الغربي من جبل حوران .

ب - المدن والقرى الواقعة على الجانب الجنوبي من الجبل وفي المنطقة السهلية الممتدة غرباً نحو درعا ونحو الجنوب الشرقي حيث سهل الحماد .

جـ - في بعض المواقع في اللجا وهي منطقة الطراخونية قديماً .

---

(1) الدرايسة ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ص(3) .

(2) القيومي ، في الفكر الديني الجاهلي، ص (29 – 31) .

(3) الخطيب ، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، ص (10) .

(4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1 ، ص ( ) .

(5) SHAHID , Rome & Arabs, pp(3-5) .

(6) SHAHID , op.cit, p(11) .

(7) العايب، المسيحية العربية وتطورها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، ص(26).

ويدل انتشار الأنباط في منطقة السهل الجنوبي إلى سيطرتهم علــى المنــاطق الممتــدة جنوباً نحو وادي السرحان [1] ، ومن بعدهم جاءت الدولة الصفوية في منطقة سهل حــوران و السهل البركاني العظيم . ثم العرب اليطوريون الذين بدؤوا بالظهور على الساحة السياسية فــي القرن الثاني قبل الميلاد في منطقة وسط وغرب سوريا الحالية . كذلك ظهرت مملكة تدمر التي كانت تعتبر إحدى أهم محطات طريق الحرير والتي بلغت أوج ازدهارهــا فــي القــرن الأول الميلادي ،واستمر ذلك حتى منتصف القرن الثالث الميلادي حين دمرها الإمبراطــور أورليــان (سنة 270م)[2].

كما كان هنالك العديد من القبائل العربية تسكن في الأطراف الشمالية للجزيرة العربيــة على حدود كل من دولتي الفرس والبيزنطيين وفي منطقة ما بين النهــرين[3]. بعــد انــسحاب السلوقيين إلى الغرب من نهر الفرات في الفترة من (130-29ق.م) فقد قامت بعض الإمــارات العربية لسد الفراغ الناتج عن ذلك[4]، وهذا يدحض ما شاع بين الناس من أن العرب في العصر الجاهلي كانوا أمةً منعزلة منغلقة على نفسها داخل الصحراء ، وأن وجود الصحراء بينها وبــين البلاد المتحضرة وخصوصاً بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين قد حرمها من أي اتصال مع تلــك البلاد[5]، بل على العكس من ذلك فقد كان للعب اتصالات وبشكلٍ قوي مع بلاد الشام وبلاد مــا بين النهرين بل لقد تجاوزت هذه الاتصالات تلك المناطق إلى مصر والضفة الــشرقية للخلــيج العربي وشبه القارة الهندية .

عندما ظهر الرومان على الساحة السياسية في بلاد الشام في بداية القــرن الأول قبــل الميلاد كان العرب قد قضوا ثلاثة قرون من العلاقات مع كل من السلوقيين والبطالمة وأكثر من ذلك بكثير مع سكان البلاد من الشعوب السامية وخصوصاً الآراميين واليهــود ، فقــد أطلقــت المصادر اليونانية واللاتينية على القبائل العربية عدة أسماء مثل : (الــسراقنه/Saracens) أي (سكان الخيام) وهو اسم أطلق على بعض القبائل أو مجموعةٍ من القبائل التي سكنت في (إقلــيم

---

(1) عباس ، تاريخ الأنباط ، ص (80) .

(2) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(76-99) .

(3) STRATOS, BYZANTUM in the 7th century , p(7)

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج2 ، ص600 .

(5) أمين ، فجر الإسلام ، ص(10-17) .

العربية) إلى جانب الأنباط ، أو في فلسطين والأردن في أواسط القرن الرابـــع ، وقـــد أطلـــق بروكوبيوس هذا اللفظ (Saracens) على البدو فقط[1]، ومن المرجح أن أصل هذه الكلمة هـــو اشتقاق من كلمـــة (Sahara صـــحراء) أو (Nashin dwellers) الرجـــل ، أو مـــن كلمـــة (sharkiin / eastern) والتي تعني الشرق باللغة العربية[2] وقد أرجع عرفـــان شـــهيد ســـبب احتفاظ العرب بهويتهم لفتراتٍ طويلة إلى ثلاثة أسباب هي :-

أ- أن العرب كانوا موجودين في الشرق قبل ظهور الرومان على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى . لذلك لم يكونوا قادمين جدد بل كانوا مستوطنين قدماء ، مما مكّنهم من امتصاص صدمة الاحتلال الجديد ثقافياً وعسكرياً ، كما كانوا يتمتعون بمناصب سياسية كعائلاتٍ حاكمة في الكثير من المراكز المتحضرة عند قدوم الرومان ويمكن ارجاع سبب ذلك الى العلاقة القديمة التي كانت قائمة بين العرب واليونان والسلوقيين فلم يختلف الوضع كثيرا عند مجيء الرومان عما كان عليه أيام السلوقيين [3].

ب- ساعدت سياسة الرومان العرب في المحافظة على هويتهم فقد ترك الرومان للعرب حريـــة السيادة السياسية على المناطق التي كانوا يسيطروا عليها ، مما ساعدهم على التطور سياسياً واجتماعياً وحسب ما كان متبعاً لديهم قبل قدوم الرومان .

جـــ- على العكس من بقية الشعوب التي كانت موجودة في المنطقة كالآراميين واليهود الـــذين فقدوا اتصـالهم مع مواطنهم الأصلية في بلاد ما بين النهرين مثل منطقـــة (أرام النهـــرين أو منطقة حران حالياً) [4] حيث كانت لهم ممالك فيها[5]، فقد حافظ العرب على اتـــصـالهم مـــع موطنهم (الجزيرة العربية) عن طريق موجاتٍ متلاحقة في مواسم منظمة وغير منظمة ، وقد مكّنهم ذلك كله من المحافظة على وجودهم وثقافتهم العربية في بلاد الشام والشرق الأدنى[6].

---

(1) SHAHID, Rome & Arabs, p(8) .

(2) PARKER , The Roman frontier in central Jordan, 3vol, vol2, p(795) .
Averill. Cambridge Ancient History, Vol (XIII), P (444).

(3) رستوفتزف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية ، ص (352 – 353) .

(4) الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ص (207)

(5) العهد القديم ،سفر التكوين ، الإصحاح العاشر ، ص (16) .

(6) Ali Ameer, A short history of the Saracens, p(4) .

2) مراكز تواجد العرب في بلاد الشام قبل القرن الثالث :

بعد دخولها حدود الإمبراطورية الرومانية ومن بعدها البيزنطية لم تستمر الكثير من القبائل في التنقل ، بل أصبح من الضروري أن تختار موقع لتستقر فيه ، كمقدمة لبدء حياتها الجديدة ، فقد تحولت أغلب هذه القبائل من حياة الرعي والغزو إلى حياة الزراعة والاستقرار ومن المراكز التي تواجد بها العرب في بلاد الشام ما يلي :

1- (سنجار/Singar) وهي تقع في وسط الهلال الخصيب وتعتبر من أهم مدن العرب في تلك المنطقة في بداية القرن السادس للميلاد .

2- (نصيبين/Nisibs) وقد كان سكانها خليطٌ من العرب والآراميين واليونان والبارثيين .

3- (حترا/Hatra) وتقع على بُعد حوالي 120 كم إلى الجنوب الشرقي من سنجار .

4- (Osrhoene) في المنطقة الغربية من الجزيرة الفراتية[1] أو الجزء الشرقي من بلاد الشام أو المناطق القريبة من تدمر.

5- لبنان والمناطق المحيطة بها كانت مساكن للقبائل وقد أطلق على تلك القبائل اسم (القبائل/قطاع الطرق)/Rober Tribes) ويمكن ان يكون سبب هذه التسمية هو أن قيام أفراد تلك القبائل لسبب او للآخر بالإغارة على أراضي الإمبراطورية الرومانية قد جعلهم في نظر الرومان ليسوا اكثر من قطاع طرق .

6- المناطق المجاورة لمنطقة الأردن وحتى منطقة حوران والتي كانت تعتبر مناطق تواجد لقطّاع الطرق واللصوص الذين كانوا يغيرون على القوافل التجارية المارة بالمنطقة[2]، إلا أنّ هذه التسمية غير مقبولة والسبب في ذلك يمكن إرجاعه إلى أن القبائل لم تكن تهاجم القوافل في أغلب الأحيان ، إلا إذا كان هنالك قحطٌ شديد قد أصابها أو وقع خلاف بين تلك القبيلة والدولة التي تعود القافلة لها ، وغالباً ما كانت الخلافات تقع مع الدولة الرومانية وبسبب التأخر في دفع المخصصات السنوية مقابل حماية القوافل التجارية المتحركة شمالاً وجنوباً على طريق البخور .

. Segal . Arabs In Syria Literature Before The Rise Of Islam, Pp (90-91) (1)

Stratos, Byzantium In The 7th Century, P(18). Segal . Op.cit, Pp.(90-91) (2)

7- الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، حيث كان يقيم هناك عددٌ من القبائل التـــي اكتفــت بالإقامة في المناطق المجاورة لحدود الإمبراطورية الرومانية ومن بعــدها الإمبراطوريــة البيزنطية .

3) الأماكن التي استقرت بها القبائل بعد هجرتها من مواطنها :

بعد خروجها من مواطنها الأصلية في جنوب الجزيرة العربية ، لم تتجه القبائل العربية في أغلبها بشكلٍ مباشر إلى بلاد الشام أو منطقة الجزيرة الفراتية ، فقد اتجهــت إلـــي منـــاطق مختلفة داخل حدود شبه الجزيرة العربية ، فقد هاجرت قبائل تنوخ من موطنها (اليمن) في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد متجهةً إلى شواطئ الخليج العربي ، ومن هناك دخلت بعض الجماعات منها إلى العراق[1] ، وبقيت فيها إلى سنة (226م) عندما استولى عليها الملك الفارسي أردشير ، فقررت عند ذلك الهجرة إلى بلاد الشام (أراضي الدولة البيزنطية) منتقلة بــذلك مــن الــسيادة الفارسية إلى السيادة البيزنطية ، حيث استقرت في منطقة قنسرين[2]، وحلب[3] وحمص ومعــرّة النعمان[4] والأطراف الملاصقة للصحراء من شمال الشام من جهة[5]، ونهر الفرات مــن جهــةٍ أخرى[6].

أما قبائل الأزد فقد قضوا زمناً طويلاً في التنقل داخل الجزيرة العربية[7]، ففــي مكــة انفصلت عنهم قبيلة خزاعة وفي المدينة استقرت قبائل الأوس والخزرج ، ثم تفرقوا مدةً أخرى إلى ثلاث فرق إحداها اتجهت عُمان وهم أزد عُمان والأخرى اتجهت إلى أطراف اليمن وهم أزد السراه والثالثة هم أزد شنوءه وهم بنو نصر بن الأزد[8]، ولم يدخل الغساسنة بلاد الشام إلا فــي نهاية القرن الخامس الميلادي (490م)، حيث كانت سُلَيح صاحبة السيادة فيها وذلك بعد السماح لهم بالإقامة بوساطة من ملك سُلَيح[9].

---

(1) دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ج5 ، ص(375) .

(2) Kazhdan, The Oxford Dictionary of Byzantum, p(2000) .

(3) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (37) ، ص(40-41) .

(4) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(70) .

(5) أمين ، فجر الإسلام ، ص( ) .

(6) Trimingham, Christianity among the Arabs, p(95) .

(7) عباس ، المرجع السابق ، ص(71) .

(8) السويدي ، سبائك الذهب في مقدمة قبائل العرب ، ص(12) .

(9) عباس ، المرجع السابق ، ص(126) .

وفيما يلي أسماء أهم القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد الشام وأماكن استقرارها .

أ- **قضاعة** : من بني حمير بن سبأ : وهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مره[1] بن يزيد بن مالك بن حمير ومن القبائل التي تنسب إلى قضاعة (كلب بن وبره ، وبنو القين ، وسليح ، وتنوخ ، وجرم ، وراسب ، وبهراء ، وبلي وغيرها)[2]، وتعتبر قضاعة ، من أقدم القبائل التي سكنت بلاد الشام ، ويستدلُّ على ذلك من وصية عمرو بن عامر بن حارثة القضاعي حيث يقول :

" وأدركتُ روحَ اللهِ عيسى بنُ مريم ولستُ لعهدَ اللهِ إذ ذاكَ الطفلُ "

وهذا يبين بأن قبيلة قضاعة قد استوطنت في بلاد الشام قبل القرن الأول الميلادي[3]، فقد كانت هجرتها من موطنها في الجزيرة العربية (منطقة جدة على البحر الأحمر والمنطقة الواقعة إلى الشرق منها) بعد الحرب التي نشبت بينها وبين قبيلة ربيعه ، وفي ذلك يقول عامر بن الضرب :

" قضاعة أجلينا من الغور كله إلى فلجات الشام نزجي المواشيا[4]

ب- **تنوخ** : اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر فأقاموا هناك فسموا تنوخاً[5]، ويذكر القلقشندي أنهم قد سمّوا بذلك لأنهم حلفوا على المقام بمكان بالشام[6]، وأول من ملك منهم النعمان بن عمرو بن مالك[7].

هاجرت تنوخ من بلادها حوالي بداية القرن الثاني الميلادي[8]، وأخذت تتطلع إلى الاستقرار في أراضي العراق مستغلةً الحروب الأهلية في بلاد فارس في أواخر عهد الدولة البارثية والصراع بين الملوك[9] فاستقرت في منطقة الحيرة ثم انتقلت إلى الحضر[10]، إلا

---

(1) الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص(440) .

(2) المبرد ، نسب عدنان وقحطان ، ص23-24 .

(3) الخطاطبة ، الجبهة الشرقية الرومانية في الأردن ، ص(31) .

(4) زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص(277) .

(5) ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج1 ، ص (225) .

(6) القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، ص(178) .

(7) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 4ج ، ج2 ، ص(83) .

(8) دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ج5 ، ص(370) .

(9) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(242) .

(10) الخطيب ، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، ص(29-30) .

أن استيلاء أردشير على العراق في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي أدّى إلى هجرة قبائل تنوخ من العراق إلى المناطق الغربية (بلاد الشام) الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية وذلك في سنة (226م) [1]، وقد اعتبر المؤرخون انتقال تنوخ من العراق إلى الشام المرحلة الأخيرة من مراحل تنقلهم بعد خروجهم من مواطنهم الأصلية.

بعد دخولها الأراضي البيزنطية استقرت قبيلة تنوخ في مناطق معرّة النعمان (سكنها أكثرهم)، قنسرين[2]، وقد أقطعها ملك الروم طَرَف البرية وما والاها من أرض المعرّة وأرض قنسرين وما إلى تلك الأرض جبلٌ متصل إلى أرض حمص[3]، ويذكر البلاذري "أن حاضر قنسرين كان لتنوخ حيث نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا فيه المنازل"[4].

ج- سُلَيح : بطن من بطون قضاعة[5]، يرجعهم النسابون إلى عمرو بن سُليح[6] بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[7]، كانوا ملوكاً بالشام قبل الغساسنة[8]، دخلت أراضي الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور فالنس (364-378م)، حيث ملكت بالشام بعد أن تغلبت على قبيلة تنوخ وتنصرت فملكتها الروم على عرب الشام[9]، ويعتبروا من أول قبائل قضاعه المهاجرة إلى الشام[10]، وقد ذكر ابن قتيبة أن سليح كان أول من دخل الشام من العرب وهو من غسان أو من قضاعة والصحيح أن سليح بطن من قضاعة وليس من غسان والسبب في ذلك أن

---

(1) Trimingham, Christianity among the Arabs, pp(92-93) ؛ البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص (40 – 41) ..

(2) القلقشندي ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ، ص(178) ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص(144) . عباس تاريخ بلاد الشام ، ص(70) .

. Kazhdan, The Oxford dictionary of Byzantum, p(200)

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(70) .

(4) البلاذري ، المرجع السابق ، ص(144) .

(5) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، ص(274) .

. Encyclopedia of Islam, vol VIII, p(981)

(6) الأندلسي ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ص(177) .

(7)جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج3 ، ص(392) . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص(203) .

(8) الهمذاني ، كتاب الإكليل ، ج ، ص(258) . ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص(247) .

(9) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(217) . المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص (82 -83) .

(10) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(18-21) .

غالبية المصادر تردهم إلى قضاعة فقط[1] ، ويعتبر اسم الضجاعمة أحد أسماء قبيلة سُلَيح الذين كانوا عمالاً للبيزنطيين في بلاد الشام وقد بقوا كذلك حتى دخل الغساسنة سنة (490م) في أيـــام الإمبراطور أنسطاسيوس[2].

وقد كانت مساكنهم في منطقتي فلسطين الثانية والثالثة[3]. أي ما بـــين منطقـــة مـــؤاب من أرض البلقاء[4] ومنطقة غزة[5]، ومن منازلهم الموقر من أرض البلقاء[6]، والمنطقة الواقعـــة إلى الشرق من مدينة بصرى[7] كما نزلت بعض بطون سُليح في المنطقة الشمالية من بلاد الشام في منطقة (كفر طاب) من أرض حمص[8] ونظراً لاتساع الرقعة التي كانوا يسكنونها فقد جعل ابن الأثير في كتابه الكامل منطقة سكناهم في ما بين أطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين[9]. ومن أول ملوك سُليح ضجعم الذي نُسبوا إليه[10]ومن أشهرهم زياد بن الهبوله [11].

د- **الغساسنة** : من قبائل الأزد ، سُموا غساناً لماء نزلوا عليه اسمه غساناً بين زبيد ورمح[12]، فعرفوا به[13]، وفي ذلك يقول الشاعر :

" أما سألت عنّا فإنا معشرٌ نجبٌ ‌ ‌ ‌ ‌ الأزد نسبتنا والماء غسان "[14]

ومن قبائلهم بنو جفنه (رهط الملوك) ، ومنهم عمرو بن عامر وهو مـــاء الـــسماء بـــن حارثه الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ، وعمرو بن عامر هو مزيقيا[1]، ويعتبـــر الأزد من أعظم أحياء العرب وأمدها فروعاً وقد قسمهم الجوهري إلى ثلاثة أقسام هم :

---

(1) ابن قتيبة ، المعارف ، ص(354) .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج2 ، ص(243) . عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(123-124) .

(3) Encyclopedia of Islam, op.cit, vol VIII, p(981) .

(4) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(18-21) .

(5) ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2 ، ص(243 ، 274) .

(6) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص(182) .

(7) عباس ، المرجع السابق ، ص(70) .

(8) ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج1، ص(141).

(9) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج1 ، ص(397) .

(10) الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، ج2 ، ص499 .

(11) ابن الأثير ، المصدر السابق، ج1 ، ص(395) .

(12) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، ص(68).

(13) القلقشندي ، قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص(94) .

(14) حسان بن ثابت ، ديوانه ، ص ( ) .

أ- أزد شنؤه وهم بنو نصر بن الأزد .

ب- أزد السراه وهو موضع بأطراف اليمن .

ج- أزد عُمان .

وكانت الأزد قد خرجت من اليمن بعد خراب سد مأرب[2]. حيث نزلوا على قبيلة عك وهمذان إلا أن قتل أحد أبناء الأزد لزعيم قبيلة عك أدَّى إلى وقوع الحرب بينهم وبالتالي ارتحل الأزد[3]وتفرقوا فقسم منهم نزل في منطقة الخوَرنَق والفرات وقسم نزل في مكة وهم قبيلة خزاعة ، وقسمٌ منهم اتجه شمالاً إلى الشام[4]، وقسمٌ نزل في يثرب وهم الأوس والخزرج[5]، وقد كان الفرع الذي نزل في منطقة الفرات على عداوةٍ مع الدولة البيزنطية ومع الإمبراطور يوليان[6].

اختلفت الروايات حول تاريخ دخول الغساسنة للشام ، ففي رواية أنهم قد ارتحلوا إلى سورية في القرن الثاني أو الثالث الميلادي وسكنوا على مشارف الشام وكان زعيمهم في ذلك الوقت جفنه وهو أول ملك عليهم[7]، أما الرواية الأخرى فتقول أن دخولهم بلاد الشام كان في نهاية القرن الخامس الميلادي حوالي (490م)[8] وقد جاء دخولهم الى بلاد الشام في الفترة التي كانت المنطقة الواقعة بين حوران ونهر الفرات تخلو من الجيوش البيزنطية إضافة الى تخلي الإمبراطورية البيزنطية عن الحزام الحصين الممتد بين تدمر ودمشق وتراجعت حدود الإمبراطورية إلى منطقة الرقة وسورة والرصافة كما تخلى البيزنطيون عن خط الخابور الدفاعي ، وقد مهدت هذة الظروف للغساسنه ان يبسطوا سلطتهم على قبيلة سليح (عمال

(1) المبرد ، نسب عدنان وقحطان ، ص (21) .

(2) السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص(12) ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ، ص(83) .

(3) ابن منبه ، ملوك حمير ، ص(276-277) .

(4) الأصمعي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص(86) . البلاذري ، الفتوح ، ص(30) .

(5) ابن اسحق ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص(12) .

(6) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(51) .

(7) نولدكه ، أمراء غسان ، ص40 . الدبس ، مختصر تاريخ سوريا ، ص (245) .

(8) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص126 ،سحاب ، إيلاف قريش ، ص (96 – 97) .

البيزنطيين على بلاد الشام) [1] حيث أن تسلمهم السلطة على عرب الشام كان في الفتـرة مـن (502م-503م)[2].

إلا أنّه من الراجح أن نزول الغساسنة ببلاد الشام كان في نهاية القرن الخامس ويؤكـد ذلك أن تحولهم إلى المسيحية ليصبحوا جزءاً من السكان ضمن الأراضي البيزنطية كـان فـي عام (502م)[3]، وهذا يتفق مع ما ذكره نولدكه حيث يقول : " إن أمراء البيت الحاكم الذي كان على رأس عرب سورية التابعين لدولة الروم في القرن السادس نزحوا مع غيرهم مـن قبيلـة غسان من جنوب شبه جزيرة العرب [4].

نزل الغساسنة مشارف الشام[5] وكانت بها قبيلة سُليح وهي فرع من قضاعه ، فأقـاموا بالشام بعد أن استأذن لهم ملك سُليح من القيصر (البيزنطي) الذي كان يقـيم فـي أنطاكيـة[6]، وكانت مساكنهم بداية في القسم الذي تسيطر عليه سُليح من كورة العربية (ما يسمى الآن منطقة البلقاء) وذلك مقابل التزام الغساسنة بما التزمت به سُليح نفسها[7] حيث كانت تقوم بجمع الضرائب لصالح الإمبراطورية البيزنطية ، ومن منازلهم أيضاً كانت منطقة اليرموك[8] والجولان التي تقع في ولاية فلسطين الثانية[9] ويذكر الشاعر الجولان في قصيدة رثاء النعمان بن الحارث :

" بكى الحارثُ الجولانَ من فقدِ ربهِ وحورانَ منهُ موحشٌ متفائلُ "[10]

وغوطة دمشق وأعمالها ، والأردن[11]، والبلقاء وحمص[12] وحوران والقسطل وأبيـر ومعان و قصر حارب ،[1] المناطق المجاورة لحمص[2]بالعة من أرض البلقاء[3]، دمشق (جلق) وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت :

---

(8) سحاب ، إيلاف قريش ، ص (102)

(2) SHAHID, Byzantum & Arabs in the 6th century, p(1020) .

(3) SHAHID . Op .cit, p(694) .

(4) نولدكه ، أمراء غسان ، ص(3) .

(5) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص(40-41) .

(6) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(126) . ابن منبه ، التيجان في ملوك حمير ، ص(296) .

(7) عباس ، المرجع السابق ، ص(126) .

(8) المغيري ، المنتخب في ذكر قبائل العرب ، ص(66).

(9) نولدكة ، المرجع السابق ، ص(51) .

(10) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(21) .

(11) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج2 ، ص(85-86) .

(12) المغيري ، المصدر السابق ، ص(66) .

" للهِ دَرُ عصابـــــةٍ نادمتُهـــــــا   يوماً بجلّق في الزمانِ الأولِ "[4]

بعد ذلك وعندما ثبت الغساسنة أرجلهم في الشام ، استولوا في أول فرصةٍ سانحة علـى السلطة من قبيلة سُليح[5]، حيث كان سبب ذلك الخلاف على دفع الأموال إلى قبيلة سُليح والـذي أدّى إلى مقتل أحد جباة الضرائب ، مما تسبَّب في نشوب حربٍ بين الطـرفين[6]، وقـد كانـت النتيجة طرد الضجاعمة (سُليح) وتنازلهم عن المواقع التابعة لهم في ولاية (فلـسطين الثالثـة) القريبة من أيلة (العقبة) وجزيرة (يوتابه / تيران)[7]، وبذلك يكون الغساسنة قد حلوا محل قبيلـة سُليح وكنده كحلفاء*.

إلا أنه يبدو من الواضح أن البيزنطيين قد استحسنوا دمشق فقامت بأخذها من الغساسنة فصارت متنزهاً لملوكهم ، فانتقل عند ذلك الغساسنة إلى عمّان مدينة البلقاء ونزلـوا الجـولان وصيدا وجبله إلى أن جاء الإسلام[8].

يبدو واضحاً أن اختيار الغساسنة سكنى الجولان دون غيرها مرده إلى عدة أمور مـن أهمها قربها من دمشق مقر عمال الروم ولوقوعها في وسط مملكتهم الممتدة من بحـر القلـزم (الأحمر) في الجنوب إلى ضفة نهر الفرات شمالاً[9].

وقد كانت حدود مملكة الغساسنة من الجنوب إلى بحر القلزم ومن الشمال إلى ضفة نهر الفرات ، وكانت تدمر وضواحيها من جملة البلاد الشمالية الخاضعة لأوامرهم . إضـافةً إلـى جهات وادي اليرموك ووادي الأردن ، أما الجولان فقد كانت وسط مملكتهم وقد سمي بعـضهم بملوك البلقاء لأنهم مدوا سلطتهم فيها أكثر من سواها[10]. كذلك لم تتوقف سلطة الغساسنة عنـد

---

(1) الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ص(99-101) .

(2) كحالة ، معجم قبائل العرب ،ج3 ص(844).

(3) ابن منبه ، التيجان في ملوك حمير ، ص(297).

(4) نولدكه ، المرجع السابق ، ص(51) . الخزاعي ، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود ، ص(105).

(5) نولدكه ، أمراء غسان ، ص(6).

(6) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(218)..

(7) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص(171). وتيران هي مجموعة جزر مرجانية تقع في مدخل خليج العقبة وقد اطلق علـى تلـك المنطقة التي تقع فيها اسم مضائق تيران.

* لمزيد من التفاصيل أنظر بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ص(217) وما بعدها .

(8) الأندلسي ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ص(208).

(9) لامنس ، أقدم أثر لبني غسان ، ص(630).

(10) المعلوف ، دوائي القطوف في تاريخ بني معلوف ، ص(69).

حدود الدولة البيزنطية بل تعدتها إلى داخل الصحراء ، حيث كانت تمتد إلى الحد الـذي كانـت القبائل القاطنة فيه تخشى أن تطالها يد الملوك الغساسنة[1].

بعد أن نزل الغساسنة في الشام حاول القيصر البيزنطي دقيوس الإغارة عليهم وذلك في محاولة منه لإضعاف قوتهم والسيطرة عليهم منذ البداية ، فوقعت بين الطرفين حرب طاحنة قتل فيها من الروم عدداً كبيراً وقد وصف عمرو بن جفنه تلك الحرب بقوله :

" كـأن الجماجم بيض النعام   بقارعة الشعب من بالعه

أقمنا الظبي في رؤوس العدا   نقد بها في الوغى قاطعه

على كل طرفٍ رفيع القذال   وقبـاء سلهبـة رائعه "[2]

من هنا بدأ الغساسنة بالظهور على مسرح الأحداث بمختلف أنواعها فـي بـلاد الـشام ليبدأوا مرحلةً جديدةً من حياتهم السياسية كحلفاء للدولة البيزنطية وكعمَّالٍ لها في بلاد الشام ، فقد أصبح لهم عند البيزنطيين منزلةً ساميةً جداً في مراتب الدولة[3].

هـ- **كندة** : قبيلة من كبرى قبائل العرب تعود في نسبها وأصل تسميتها الى (ثور بن غفير بن عدي[4]بن الحارث بن مرة بن أدر بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ[5]بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان لقبه (كنده)[6]، ظهرت كنده كقوةٍ سياسية بارزة في بلاد الشام في حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي في زمن حجر بن عمرو آكل المرار عندما فرض سيطرته على القبائل العربية[7]، التي نزلت بفلسطين وإلى الجنوب منها عنـد سـواحل البحـر الأحمر وجزيرة يوتابه[8].

---

(1) نولدكه ، أمراء غسان ، ص(51).

(2) ابن منبه ، التيجان في ملوك حمير ، ص(297-302).

(3) نولدكه ، أمراء غسان ، ص(16).

(4) الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص(419).

(5) ابن عبد البر ، الأنباه على قبائل الرواة ، ص(111).

(6) عاقل ، تاريخ العرب القديم ، ص(193).

(7) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(242).

(8) بيغوليفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(168).

نزحت قبيلة كنده كغيرها من القبائل العربية من موطنها الأصلي في منطقة جبال حضرموت[1] التي كانت عاصمتها مدينة (دمون) –التي ذكرها امرؤ القيس في شعره حيث يقول :

" كأني لم ألهو بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندلِ "[2]

– إلى منطقة نجد[3] حيث كانت كنده جزءاً من عملية هجرةٍ كبيرةٍ امتدت لعدة قرون تمَّ خلالها انتقالٌ عامٌ للقبائل العربية من الجنوب إلى الشمال داخل حدود الجزيرة العربية ، بل تعدّت ذلك إلى مناطق الشرق الأدنى ، فسكن بعضها في شمالي الجزيرة العربية على الحدود بين بيزنطة وإيران[4]، وقد جاءت هذه الهجرة نتيجة للحروب التي وقعت بين كلٍ من كنده وحضرموت والتي قُتِلَ فيها عددٌ ضخمٌ جداً من البشر ، حيث غادرت بعد ذلك كنده مواطنها إلى أرض معد وجاورتهم ، وقد كان مرتع بن معاوية ابن ثور أول ملوك كنده[5]، وقد كانت هجرتها حوالي منتصف القرن الثالث الميلادي[6].

بعد ذلك وفي القرن الخامس الميلادي ثبتت قبيلة كنده أقدامها على حدود الإمبراطورية البيزنطية[7] وقد اعتبرت تلك محاولة منها لإشعار الإمبراطورية البيزنطية بقوتها العسكرية والسياسية[8]، بعد ذلك وفي عهد الإمبراطور زينون (474–491م) ، اجتاحت موجه من قبيلة كنده الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين الثالثة)[9]. حيث قام زعيمها امرؤ القيس بالاستيلاء على جزيرة (يوتابه / تيران)[10] والذي كان تربطه علاقة جيدة مع الفرس[11]، وقد كانت هذه الجزيرة تعتبر مركزاً هاماً من مراكز الجمارك والبريد للإمبراطورية البيزنطية ،

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، ص(536).
(2) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص(85).
(3) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(313).
(4) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(159).
(5) سالم ، المرجع السابق ، ص(313–314).
(6) عاقل ، تاريخ العرب القديم ، ص(196).
(7) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص(159).
(8) Shahid , . Byzantium & Arabs in the 5th century. pp (23-24).
(9) عباس، تاريخ بلاد الشام ، ص(120).
(10) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص(176).
(11) Trimingham, Christianity Among the Arabs, p(113).

حيث بدأ بحمع الأموال لنفسه بعد أن طرد من بها من موظفين وجباة تـــابعين للإمبراطوريـــة فحصل بذلك أموالاً كثيرة استطاع على اثرها ان يغزو أعـــالي الحجـــاز والمقاطعـــة العربيـــة الرومانية وبعض من مناطق نفوذ الامبراطورية الساسانية[1].

بعد أن استقرت له الأمور في جزيرة (تيران/ Yotabe) – الواقعة في مـــدخل خلـــيج العقبة – قام إمرؤ القيس سنة (473م) بإرسال أحد رجال الدين التابعين له ويدعى (بطرس[2] / Peter) إلى الإمبراطور البيزنطي (ليو / LEO :457 – 474م) طالباً أن يتم تنصيبه ملكاً / فيلارخاً على العرب[3] فقبل الإمبراطور ذلك وقام بدعوته إلـــى القـــسطنطينية حيـــث اســـتقبل بالترحاب ، فتم إلباسه تاجاً من الذهب مرصّع بالأحجار الكريمة ومنحة لقب فيلارخ / عامل [4]، وفي سنة (502/500م) قام أحد ملوك كنده ويدعى (الحارث الكندي)[5] بالإغارة على منـــاطق فينيقية وسورية وفلسطين[6] مما أجبر الإمبراطورية البيزنطية على عقد الصلح مع الحارث ابن عمرو وكان ذلك أيام الإمبراطور أنسطاس[7]، وبذلك يكون العرب قـــد تحولـــوا مـــن أعـــداءٍ للبيزنطيين إلى حلفاء لهم مهمتهم صد غارات البدو والفرس والعرب التابعين للفـــرس[8]. امتـــد نفوذ قبيلة كنده في أوج قوتها من سواحل أيلة (العقبة) إلى منطقة فينيقيا اللبنانية[9].

إلا أنه وبعد قيام الغساسنة بطرد قبيلة سُليح فقد بدأ نفوذ قبيلة كنده بالـــضعف . حيـــث أجبرت كنده على التنازل عن المناطق التابعة لها في ولاية فلسطين الثالثة القريبـــة مـــن أيلـــة وجزيرة يوتابه[10]، وقد جاءت نهاية نفوذ كنده في بلاد الشام فـــي منتـــصف القـــرن الـــسادس الميلادي (النصف الأول منه)، على يد الحارث بن جبله[11]وكان ذلك بعد موت إمرؤ القيس ســـنة

---

(1) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(71–72) ، سحاب ، إيلاف قريش ، ص (95 – 96) .

(2) بيغوليفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(71) .Trimingham , Christianity Among the Arabs.p(113)

(3) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(72).

(4) سحاب ، إيلاف قريش ، ص (96) ، Trimingham , Christianity Among the Arabs .p(114) .

(5) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(169).

(6) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(168) .Shahid ,Irfan .Byzantum &Arab in the 5th century pp(130-131)

(7) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(171).

(8)عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(125–126) . بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(159–170).

(9) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، (205).

(10) المرجع السابق ، ص(169).

(11)المرجع السابق ، ص(205).

(560م) بعد الزيارة التي قام بها للإمبراطور البيزنطي (جستنيان) طالبا نصرته للأخـذ بثـأر أبيه[1]، وقد كانت وفاته بحلةٍ مسمومة البسه إياها الإمبراطور بعد أن وشى به أحد بني أسد بأنه قد أقام علاقةً مشبوهةً مع ابنة الإمبراطور[2]، ويذكر إمرؤ القيس الموضع الذي مات فيـه فـي إحدى قصائده حيث يقول :

" أعالجُ ملكَ قيصرَ كلَّ يومٍ   وأجلدُ بالمنيةِ أن تقـوداً
بأرضِ الشامِ لا نسبٌ قريبٌ   ولا شافي فينداً أو يعوداً "[3]

و- **جذام** : بطن من كهلان من القحطانية[4]، وهم بنو عمرو[5](جذام)[6] بن مالك بن عدي ابـن الحارث ، ومن بطونها (بنو عقبة وبنو صخر وبنو الحريث[7] وبنو خبب وبنو مخرمه وبنو بعجه وبنو نفاثه)[8] ولا يوجد تاريخ واضح يبين تاريخ دخول قبيلة جذام إلى بلاد الـشام . وقد كانت منازل جذام في مناطق واسعة من الحجاز والأردن وفلسطين[9]، أي في المناطق الواقعة حول (أيلة/العقبة)[10] في منطقة جبل حسمى بين مدين إلى تبوك إلى أذرح[11] مـن أول أعمال الحجاز إلى ينبع من أطراف يثرب[12] وفي مناطق ذات منار بوادي القرى وجبال الشراه ومعان والبلقاء[13]، وميفعه (أم الرصاص)[14]، وقد كانت لهم بها الرياسـه[15] وفـي منطقة وادي عربة حتى البحر الميت[16] وفي منطقة العـريش وغـزة ، وحـول عُمـان

---

(1) زيدان ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص(291).

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص(220) .سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(330-331) بيغوليفيسكيا ، العـرب على حدود بيزنطة وايران ، ص(182) .

(3) حاوي ، امرؤ القيس ، ص(203) .

(4) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، ص(191) .

(5) الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص(419) .

(6) القلقشندي، المصدر السابق ، ص(191).

(7) المغيري ، المنتخب في ذكر قبائل العرب ،ص(126) .

(8) جواد علي ، المفصل ،ج 4، ص(462) .

(9) خريسات ، تاريخ الأردن ، ص(27) .

(10) Shahid. Irfan.Byzantum & Arabs in the 6th century p (766).

(11) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ،المؤرخ العربي عدد( ) ص(40-41) .

(12) جواد علي، المرجع السابق ، ج4 ص(462) .

(13) الدرايسة ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، ص6-7) .

(14) خريسات ، المرجع السابق ، ص(28).

(15) جواد علي، المرجع السابق ، ج4 ، ص(462).

(16) حمارنة ، دور جذام في حركة الفتح الإسلامي ص(149) . عاقل ، موقف سكان بلاد الشام من الفتح ص(156) .

والزرقاء[1] واللجون واليامون إلى ناحية عكا[2]. وقد كان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً للروم على العرب التابعين لهم وكان منزله في معان والمناطق المحيطة بها من أرض الشام[3].

ز- **عاملة** : بطن من كهلان[4] من القحطانية ، واسمه الحرث أو الحارث بن عُدي وهم إخوة لخم وجذام[5]، خرجت من اليمن بعد سيل العرم[6] وقد أورد المغيري أن هجرتهم كانت في القرن الثاني للميلاد[7].

ويذكر ابن حزم أن عاملة هي أم الحارث بن عدي وهي من قضاعة[8]. وقد كانت منازل عامله في برية الشام[9] قرب دمشق بجبال هناك تعرف بجبال عامله . وفي ذلك يقول الهمذاني : (وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على بحيرة طبريا إلى نحو البحر) [10]. وفي الأردن[11] في المنطقة الجنوبية الشرقية للبحر الميت[12] وفي منطقة جبل الجليل ويورد الدكتور جواد علي أن بطوناً من عامله كانت بالحيرة[13].

ح- **بهراء** : بطن من قضاعة[14] من القحطانية[15] والنسب إليهم بهرائي[16]، سميت بذلك نسبةً إلى بهراء بن عمرو بن الحاف (بن قضاعة)[17]. لا يوجد تاريخ واضح يبين ابتداء علاقة بهراء

---

(1) خريسات ، تاريخ الأردن ، ص(28) . عامر نجيب ، استقرار القبائل العربية في بلاد الشام في صدر الاسلام ،ص(66-67)
(2) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ،ص(129).
(3) عطوان ، الجغرافيا التاريخية ، ص (82) .
(4) المغيري ، المنتخب في ذكر قبائل العرب ، ص(125) .
(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج2، ص(249).
(6) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص(303،106).
(7) المغيري ، المصدر السابق ، ص(35).
(8) الأندلسي، جمهرة أنساب العرب ، ص(419).
(9) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2، ص(249-250).
(10) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص(106) ؛ الهمذاني ، المصدر السابق ، ص (129) .
(11) الواقدي ، المغازي ، ج3، ص(990) .
(12) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج4 ، ص(462) ، العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(24).
(13) جواد علي، المرجع السابق ، ج4 ، ص(461-462).
(14) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ،ج1، ص(8).
(15) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص(172).
(16) السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص(83).
(17) البلاذري ، الفتوح ، ص(282).

مع البيزنطيين ولكن يبدو أنها بدأت بين القرنين السادس والسابع بعد الميلاد[1]، ويذكر ابن الكلبي أن بهراء كانت موجودةً في الشام في أواسط القرن السادس الميلادي ودليله على ذلك أنه كـــان هنالك حلفٌ قديم بين بهراء وغسان وذلك منذ عهد الحارث بن أبي شهر الذي امتدَّ حكمه ما بين عامي (529-569م)[2].

بعد خروج بهراء من مواطنها الأصلية على إثر سيل العرم وتهدم سد مأرب ، فإنها لم تتجه مباشرة إلى بلاد الشام ، فيذكر ابن الكلبي أنها كانت موجودةً في تهامة ثم ارتحلــت إلـــى عُمان والبحرين وبعد ذلك اتجهت إلى بلاد الشام بقيادة الأشل بن عمرو بن التعيل الملقب بـــأبي أمامه[3] وقد كانت منازلهم شمالي منازل بلي من ينبع إلى عقبة أيله وفي منطقة الحضر بالقرب من قنسرين وفي دومة الجندل[4] ومن منازلهم في الشام منطقة سهل حمص[5] حيث كانت بهراء في حالة ارتحال بين دمشق وحمص وتدمر والمناطق الشمالية[6] حتى انزرطا / الخناصـــرة[7]، وقد انتشرت بطون من بهراء في مناطق صعيد مصر والحبشة[8] وكان منهم جماعـــات حـــول دومة الجندل/الجوف حاليا[9]، وفي منطقة البارة وأفامية[10].

ط- كلب : هو كلب بن وبره بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قـــضاعة[11]، وهـــي قبيلة تنتمي إلى قبيلة قضاعة وهي تتألف من عدة قبائل وبطون[12] وهي بذلك من كبرى قبائـــل حمير[13]، ويعتبر بنو عذرة من أشهر بطونهم ويعتبر زهير بن جناب من أشـــهر زعمائهـــا[14]

---

(1) Shahid . Byzantium & Arabs in the 5th century .p(272).

(2) الكلبي ، نسب معد واليمن الكبير ، ج 3، ص(5) ؛ العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(23)؛ Shaihid .Byzantium &Arabs in the 5th century .p.(504)

(3) الكلبي ، المصدر السابق ،ج3، ص(3).

(4) Trimingham ,Christianity among the Arabs ,p(117) .

(5) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ص(132).

(6) Trimingham .op.cit ,p(117) .

(7) البلاذري ، الفتوح ص(153) .

(8) القلقشندي ، ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص(172).-السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص(83).

(9) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(144).

(10) الهمذاني ، المصدر السابق ، ص(272).

(11) الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص(455)، جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج4 ، ص(46).

(12)جواد علي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص(430).

(13) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(203).

(14) Encyclopedia of Islam .p.(688)

كانت هجرتها من مواطنها الأصلية نتيجةً لخلافٍ بين أفرادها وبسبب إغارة قبائل حمير على من بقي منهم باليمن حيث خيَّروهم بين دفع الجزية أو الرحيل فاختاروا الرحيل فرحلوا إلى الشام[1].

وقد كانت منازل كلب في دومة الجندل[2] وتبوك في أعالي الحجـاز [3] وفـي أطـراف الشام[4]، ويعتبر هذا الموقع هام جداً حيث أنه يؤلف عقدة مواصلات للطرق التجارية البرية بين بلاد الحجاز والعراق من جهة وبين بلاد الشام والإمبراطورية البيزنطية من جهةٍ أخرى ، لذلك فقد كان لا بُدَّ من دفع مبالغ من المال متفق عليها بين زعماء القبائل والبيزنطيين لقاء الـسماح بمرور القوافل التجارية عبر أراضي هذه القبيلة دون أن تتعرض للاعتداء[5].

وقد كانت دومة الجندل مركز حكم قبيلة كلب وبقيت كذلك إلى ظهور الإسلام[6]، ويذكر ياقوت أن مساكن كلب كانت في السماوه لوحدها[7] ويبدو أنه كان مقصوراً عليها فقط لدرجة أنه سمي (بداية كلب بن وبرة)[8]. وقد توسع الهمذاني في ذكر منازلها حيث قال : " أن منازلها من حوران في ديار كلب عن يمينك في السماوه ثم في الدهناء إلى أن ترى نخل الفرات ولا يخالط كلباً سواها[9]، كما كانت حماه من منازلها أيضاً[10].

بعد استقرارها في بلاد الشام عملت قبيلة كلب على تقوية نفسها وعلاقاتها مع الغساسنة في بلاد الشام[11].

4- العلاقات الخارجية للقبائل العربية بعد استقرارها في بلاد الشام :

لم تكن العلاقات بين القبائل العربية وبلاد الشام تتعدى العلاقات الناتجة عـن التجـارة المتبادلة بين الطرفين أو عمليات الغزو والإغارة على الأراضي التابعة للإمبراطورية البيزنطية

---

(1) البكري ، معجم ما استعجم من الأسماء ، ص(24،45،49،50).
(2) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(235)، جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص(426).
(3) القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص(234).
(4) جواد علي، المرجع السابق، ج4 ، ص(426).
(5) العبيدي ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي ، ص (20).
(6) جواد علي، المرجع السابق، ج4 ، ص(430).
(7) الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص(164) ، ج1 ، ص(81).
(8) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(495) ، ج2 ، ص(227).
(9) الهمذاني ، صفة جزيرة العرب ، ص(272) .
(10) الجبوري ، قبيلة كلب ، ص32.
(11) Triningham, Christianity among the Arabs, p(122).

أو الفارسية عندما كانت القبائل تتعرض للقحط وقلة الماء داخل الصحراء ، كانت تتحرك بحثاً عن الكلأ والماء وغالباً ما كانت هذه الحركة تكون باتجاه منطقة الهلال الخصيب ، الأمر الذي كان في غالب الأحيان يهدد أمن ومصالح كل من الفرس والبيزنطيين على السواء ، فقد كان انتشار القبائل العربية في بلاد الشام والعراق في موضع يتوسط المسافة بين حدود الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية موضع اهتمام هاتين الدولتين فيما يحقق مصالحهما الخاصة على حد سواء فعملتا على تأسيس علاقة مع تلك القبائل بحيث تكسب كل منهما بعض تلك القبائل إلى جانبها وفي نفس الوقت تتقي شرها [1]، فقامت بحفر الآبار وإنشاء بعض البرك في المناطق الواقعة على سيف الصحراء في محاولةٍ منها لإيقاف زحف القبائل عند تلك النقاط ومنعها من التوغل داخل الأراضي البيزنطية .

إضافةً لذلك فقد كانت السياسة البيزنطية تقوم على استمالة القوى من زعماء القبائل والتخلي عن الضعيف ، فكانوا يقومون بإبرام الاتفاقات والأحلاف مع الزعماء الأقوياء إضافةً إلى دفع مبالغ متفق عليها لهم سنوياً وتقديم الهدايا والألطاف لهم والخلع عليهم ومنحهم ألقاب التشريف . كل ذلك مقابل تعهده بحماية مصالحهم والدفاع عنها وعن حدودهم ضد غارات القبائل والقوى المعادية للبيزنطيين (الفرس والقبائل العربية التابعة لهم)[2]. وتعتبر هذه العلاقات وما استجد عليها من أبرز مظاهر العلاقات السياسية بين القبائل والقوى المجاورة لها في بلاد الشام وهي كما يلي :-

أ- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والإمبراطورية البيزنطية :

لم تكن العلاقات بين العرب والبيزنطيين علاقات ابتدأت مع الفتوحات الإسلامية ، بل لقد كانت هنالك علاقات قديمة جداً مع القوى السابقة للبيزنطيين (خلفاء الاسكندر الأكبر (السلوقيين) . ثم الرومان ومن بعدهم البيزنطيون الذين ظهروا على الساحة السياسية في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي[3].

---

(1) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص(42)

(2) دقة ، السفارة السياسية ، ص(197-200).

(3) زيادة ، التطور الإداري ، ص(111) .

فبعد انسحاب السلوقيين إلى الغرب من نهر الفرات عام (130-129ق.م) قام العرب بملء الفراغ السياسي الناتج عن ذلك [1]، حيث وجدت كيانات سياسية عربية في المنطقة مثل (الأنباط) الذين كانوا من أوائل الشعوب العربية التي ظهرت في المنطقة الجنوبية من بلاد الشام[2] ، وقد اعتبرت العلاقات العربية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد ، القاعدة التي بنيت عليها العلاقات العربية البيزنطية في القرن الرابع الميلادي[3] .

اعتبرت العلاقات العربية الرومانية في القرن الثالث علاقات مميزة وذلك للأسباب التالية :

أ- خلافاً لغيرها من المدن التي احتلها العرب في الشرق فقد كانت تدمر مدينةً ساميَّة قديمة ، قريبة من الصحراء والجزيرة العربية وقد ظهرت في التاريخ الروماني من خلال طابع عربي قوي قديم خلافاً لغيرها من المدن العربية التي طبعت بالطابع الهيلنستي الروماني في الشرق ، فقد احتفظ التدمريون بأسمائهم العربية حتى بعد أن أضافوا لها أسماءً رومانية .

ب- كانت تدمر تعتبر مدينةً منعزلةً بين مدن الشرق العربية ولم تصل أية مجموعة عربية قبل الإسلام إلى درجةٍ من الفاعلية العسكرية مثلما وصلت إليه تدمر خلال القرن الثالث الميلادي فقد كان أذينة مقاتلاً عربياً من مدينة صحراوية هي مدينة تدمر (كانت الصحراء هي مسرح حروبه ضد سابور ملك الفرس) [4] .

بعد أن انتهت العلاقات بين تدمر والإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، باحتلال الرومان لها حوالي سنة (272م) وضمها إلى أملاك الإمبراطورية الرومانية اتجهت أنظار الرومان نحو الحدود الجنوبية لسوريا الطبيعية ، حيث وجدوا أن هنالك خطراً جديداً يهدد تلك الحدود . ألا وهو هجمات القبائل العربية على الحدود الجنوبية للأراضي البيزنطية . وبعد تجاربٍ عديدة في التعامل مع القبائل العربية داخل وخارج الحدود البيزنطية فقد خلص الرومان والبيزنطيون من بعدهم إلى نظريةٍ هامة نحو ذلك وهي :"أن أفضل طريقةٍ

---

(1) Segal. , Arabs in Syria literature, p(90)

(2) زيادة ، التطور الإداري ، ص(111) .

(3) Shahid , Rome & Arabs, p(17) .

(4) Shahid , op . cit, p(38-39)

لقتال العرب والتعامل معهم هي استخدام عرب آخرين ضدهم"، وقد أرجع ذلك إلى عدة أسباب هي :

أ- أن كلفة تجهيز المقاتلين العرب أقل بكثير من تجهيز مقاتلين نظاميين مجهزين بعدة حربٍ كاملة .

ب- أن المقاتلين العرب أكثر فاعليةٍ وإمكانية توفيرهم أسرع من تحريك قواتٍ بيزنطية من قواعدها نحو مصادر الخطر .

ج- إمكانية أن يقوم المقاتلون العرب بسد النقص الحاصل في تدريب سكان المدن والقرى على الأعمال العسكرية .

د- إمكانية أن يقوم المقاتلون العرب بتزويد القوات الرومانية والبيزنطية بمعلومات عن تحركات القبائل البدوية على حدود الامبراطورية أو في المناطق القريبة منها .

هـ- تزويد العرب للمسافرين ومحطات الحراسة بالقوى اللازمة لتأمين الحماية لهم وللمحطات وللقرى المحيطة بها[1].

وقد كانت البداية الأولى للعلاقات بين القبائل العربية والدولة الرومانية ، مع أقدم من سكن بلاد الشام من القبائل العربية وهي قبيلة تنوخ التي دخلت بلاد الشام ، عن طريق العراق[2] بعد أن استولى أردشير على العراق سنة (226م) حيث رفضت تنوخ البقاء تحت الحكم الفارسي[3]، حيث عمل الرومان على تقريبهم واستعملوهم على العرب الموجودين في الشام[4]، ويذكر ابن العديم أن ملك الروم أقطعهم طرف البرّية وما والاها وأرض معرة النعمان وأرض قنسرين وما إلى تلك الأرض جبل متصل إلى أرض حمص[5]، وقد كان أول من ملك منهم النعمان بن عمرو بن مالك[6] .

(1) Kaegi , Byzantium and the early Islamic conquests, pp(55-57) .

(2) Kazhdan , The Oxford dictionary of Byzantum, p(2010)

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(70) .

(4) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، ص249 . الخوري ، عيسى ، تاريخ حمص ، ص(408) .

(5) عباس ، المرجع السابق، ص(70).

(6) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2،ص(82).

وكحلفاء للرومان فقد حاربت تنوخ مع الإمبراطورية الرومانية ضد الفرس خلال حكم الإمبراطور (كونستانتيوس II) وفي عهد جوليان ضد القوط ، وتحت قيادة فالنس للدفاع عن القسطنطينية سنة (378م) ، وقد بقيت تنوخ في خدمة الإمبراطورية البيزنطية حتى أقصتها قبيلة سُليح عن الساحة السياسية[1]، إلا أن الحال بين تنوخ والرومان ومن بعدهم البيزنطيين لم تستمر على أساس علاقاتٍ جيدة خالية من أية مشاكل ففي منتصف القرن الرابع الميلادي[2] دخلت قبيلة سليح إلى بلاد الشام وتغلّبت على قبيلة تنوخ وحلّت مكانها[3]، واتبعت الديانة المسيحية[4] فملكهم البيزنطيون على العرب في المنطقة الجنوبية من بلاد الشام خصوصاً في الولاية العربية وفي فلسطين الثانية والثالثة[5].

وبذلك أصبحوا حلفاء للإمبراطورية البيزنطية[6]، يقومون بجباية الأموال والضرائب لصالحها[7] كما ساهموا في حماية حدود الإمبراطورية البيزنطية والدفاع عنها ، بدليل أن الغساسنة عندما دخلوا أراضي الدولة البيزنطية ، طلبوا من ملك سُليح أن يستأذن لهم الإمبراطور البيزنطي ليسمح لهم بالإقامة داخل أراضي الدولة البيزنطية حيث كان دخولهم من منطقة وادي السرحان[8]، وكغيرها ممن سبقها من القبائل فلم تدم حالة الود والسلام بين الطرفين فعند قدوم الغساسنة في نهاية القرن الخامس الميلادي استغلوا أول فرصةٍ سانحةٍ لهم للاستيلاء على السلطة وقاموا بإقصاء قبيلة سُليح عن الساحة السياسية في بلاد الشام وقد أقرهم البيزنطيون على ذلك[9] وبذلك يكون البيزنطيون قد تخلُّوا عن قبيلة سُليح مثلما فعلوا مع قبيلة تنوخ وقاموا

---

(1) Kazhdan . The Oxford dictionary of Byzantum.p(2010).

(2) Encyclopedia of Islam , p(981) .

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(123-124).

(4) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، ص(274) ، فاضل أمين ، الجبهة الشرقية الرومانية في الأردن ، ص(34).

(5) Encyclopedia of Islam, p(981) .

(6) Trimingham , Christianity among the Arabs,

(7) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج3، ص(398).

(8) Encyclopedia of Islam, p(981) .

(9) شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج1، ص(109).

بمنح زعماء الغساسنة الألقاب مثل (ملك ، زعيم القبيلة[1]، فيلارخ ، Syndikos ، Strategos)[2].

وقد تمحورت العلاقات العربية البيزنطية حول النقاط التالية :

أ- الدفاع عن حدود الإمبراطورية ضد هجمات القبائل .

ب- المشاركة في الحروب البيزنطية الفارسية .

ج- إمداد الجيش البيزنطي بالقوات العسكرية عند الحاجة .

د- الحفاظ على الأمن داخل الأراضي الخاضعة للعرب .

هـ- حماية القوافل والمسافرين داخل الأراضي البيزنطية الواقعة تحت سلطتهم وخارجها[3].

ففي سنة 529م شارك الحارث بن جبله بشكلٍ فعَّال في قمع ثورة السامريين[4] ، وفي عام 541م حارب الحارث في العراق إلى جانب البيزنطيين ضد الفرس[5].

لم تتوقف العلاقات بين القبائل العربية والإمبراطورية البيزنطية عند موضوع حماية الحدود والوقوف في وجه القبائل العربية القادمة من الصحراء ومنعها من مهاجمة أراضي الدولة البيزنطية والمدن الحدودية فقد كانت السياسة الحدودية للإمبراطورية الرومانية والبيزنطية من بعدها تقوم على اتخاذ الموانع الطبيعية كالبحار والأنهار والأراضي التي لا يمكن اجتيازها حدوداً طبيعية تقف عندها فتوحاتهم ، أما الحدود التي تتمتع بالحصانة الطبيعية فقد كانت حمايتها تتم عن طريق التحالف مع الجيران المطلين عليها . ففي الصحراء الشامية أقامت الإمبراطورية الرومانية ثم البيزنطية سلسلةً من الحصون على طرف الصحراء المطلة على نهر الفرات للمحافظة على الحدود واستعانت أيضاً بالقبائل الضاربة في الصحراء على أعمال الحراسة والدفاع[6] لذلك فقد اعتبرت حماية الحدود من الواجبات الهامة جداً للإمبراطورية البيزنطية ، وحتى يتم ذلك فقد كان من الواجب على الدولة أن تكون على علمٍ تام بمجريات الأمور في

---

(1) نولدكه ، أمراء غسان ،ص(11،12).

(2) Shahid , Irfan , Rome & Arabs , p(31).

(3) Encyclopedia of Islam. Pp(961,1020).

(4) بيغوليفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص(274).نولدكه ، أمراء غسان ، ص(10).

(5) نولدكه، المرجع السابق، ص(18).

(6) عثمان ، الحدود الإسلامية ، ص(57).

المناطق والممالك المجاورة لها ، الأمر الذي كان يستدعي أحياناً التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الممالك ، خصوصاً إذا كانت عبارة عن قبائل . وحتى يتحقق هذا الشرط فقد أصبح لا بُدَّ على الدولة القيام بما يلي :

أ- القيام بعمليات غزو للممالك المجاورة وهذا يؤدي إلى بروز واجبات جديدة في مناطق بعيدة عن مراكز القوة في الإمبراطورية .

ب- تجنب التوسع واتباع سياسة الدفاع بإنشاء حاجز حربي عند الحدود[1].

وقد قامت الإمبراطورية البيزنطية بتطبيق النقطة (ب) حيث تمثل الحاجز الحربي بـ :

1- بناء الحصون 2- التحالف مع القبائل العربية على أطراف الصحراء[2].

ومن سلبيات التحالف مع زعماء القبائل كان الإهمال التدريجي الذي تعرضت له التحصينات الحدودية بسبب الاعتماد المتزايد على جهود زعماء القبائل في حماية الحدود[3].

وقد اعتبرت العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وإمارة الغساسنة أوضح مثالٍ على العلاقات بين القبائل العربية والقوى المجاورة لها . خصوصاً إذا علمنا أن السبب الرئيس وراء هذا الاهتمام إضافة إلى الحدود كان الوقوف في وجه إمارة المناذرة – في الحيرة – التي اتخذتها الإمبراطورية الفارسية حليفاً لها ، لذلك فقد بدأ البيزنطيون بتنظيم العرب في منطقة شرق الأردن والمقصود بالعرب هنا هم (الغساسنة) الذين وصلت قوة العلاقة بينهم وبين البيزنطيين إلى مراحل متقدمة جداً وليس أدلَّ على ذلك من أن الإمبراطور جستنيان قد جعل الأمير الحارث الغساني على رأس أكثر من قوة تابعة للبيزنطيين[4]، كانت توجه إما ضد العرب في الحيرة أو في الجزيرة العربية[5] لذلك ونتيجة لهذه التحالفات فقد أصبح العرب القاطنين في المناطق المحيطة بالأراضي البيزنطية أو داخلها أحد أهم مصادر تزويد الإمبراطورية بالمقاتلين المدربين

---

(1) C.B.faucett ، جغرافية الحدود ، ص(79).

Kaegi, Byzantum and the early Islamic conquest, p(55).(2)

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(71-72).

Stratos ,Byzantum in the 7th century .p(81).(4)

Trimingham ,Christianity among the Arabs pp(115-116) (5)

القادرين على التعامل مع طبيعة الأرض والعارفين بخفاياها وطباع أهلها[1]، ففي عـام (377م) وعندما تمَّ حصار القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية من قبل القوط والهون فقد تمَّ إرسال قوات من الفرسان العرب لمساعدة الجيش البيزنطي في رفع الحصار عن المدينة[2]، كما يعتبر أذينـة أمير تدمر خير مثال على المقاتلين الذي إن جاز التعبير يمكن أن نطلق عليهم اسـم المقـاتلين الصحراويين[3].

في البدايات الأولى بعد أن دخل الغساسنة بلاد الشام ، شـعر الإمبراطـور البيزنطـي رومانوس بالخوف من أن ينحاز الغساسنة إلى جانب الفرس لذلك سارع رومانوس بعقد حلـفٍ مع الحارث الغساني ومن ضمن ما كتبه الطرفان في الوثيقة بين الطـرفين : " أنـتم الـشعب أصحاب الهمة العظيمة والأعداد الكبيرة الذين أبدتم هذه المجموعة القبلية العربية (سُليح) الـذين كانوا الأقوى والأكثر تجهيزاً بين العرب ، وأنا أضعكم مكانهم وأكتب هذا الميثاق بيننا ، والذي أعني فيه أنه إذا أصابكم أي أذى من العرب فإنني سوف أزودكم بأربعين ألف مقاتل رومـاني مع دروعهم وإذا أصابنا أي أذى من العرب فإنه عليكم إمدادنا بعشرين ألف مقاتل ، بـشرط أن لا تتدخلوا بيننا وبين الفرس[4]، وهذا دليلٌ آخر على أن البيزنطيين لم يكونوا يعتمدوا على قوات نظامية في حماية الحدود ، بل كانوا يعتمدون على مساعدة بعض الإمارات المـستقلة الواقعـة ضمن مناطق نفوذهم وتحت سيطرتهم وذلك مقابل إعفائهم من دفع الضرائب وحصولهم علـى حماية الإمبراطورية وذلك بالإضافة إلى حصولهم على مبالغ مالية سنوية الأصل فيها أن تكون مرتبات للجنود الذين كان يتم تجهيزهم لمساعدة الجيش البيزنطي[5]، وكانت الدولة تضيف إلـى هذه المبالغ مغريات أخرى تمثلت في التدرج بالألقاب لشيوخ القبائل ، لأن انتقال شيوخ القبائـل من رتبةٍ إلى أخرى يوحي له بالتشريف والإكرام من قبل الدولة[6].

Shahid .Byzantum &Arabs in the 6th century pp(32-33 (1)

Trimingham , Christianity among the Arabs , p(100).(2)

Shahid , Rome & Arabs , p(39) (3)

Shaihd , op .cit, pp.(8-9) (4)

. Bury J.B. History of later roman Empire , p(42) (5)

(6) إحسان ، تاريخ بلاد الشام ، ص(69).

وقد تعدَّت المشاركات العسكرية العربية إلى جانب البيزنطيين في موضوع حماية الحدود إلى المشاركة الفاعلة في الحروب البيزنطية والتي كان من أهمها الحروب البيزنطية الفارسية ، ففي سنة (338م) قام الإمبراطور (كونستانتيوس) بإرسال سفارات إلى زعماء القبائل العربية والذي استطاع أن يحولهم من غزاةٍ طامعين في أراضي الدولة إلى حلفاء لهم في حروبهم ضد الفرس – ويعتبر إرسال السفارات من المؤشرات على وجود تنظيم سياسي لدى القبائل العربية بحيث تجعل من الممكن أن يتفاوضوا مع الدولة البيزنطية وبالتالي عقد التحالفات في النهاية[1]– وقد كان هرب مجموعةٍ من المسيحيين الفرس إلى أراضي الدولة البيزنطية من أهم الأسباب التي أدَّت إلى نشوب الحرب الفارسية الأولى ، حيث فشلت السفارات في إعادتهم إلى السلطة الفارسية مع العلم بأن غالبيتهم من المسيحيين العرب، وقد كان هنالك ثلاثة أسباب أدت إلى مشاركة العرب في الحروب البيزنطية الفارسية وهي :

أ – أن القوات البيزنطية والعربية كانت تقاتل على أرض معروفة لهم استخدموا فيها تكتيكات حرب الصحراء .

ب– أن العرب كانوا يقاتلوا في حرب طرفاها البيزنطيون حلفاء العرب والفرس أعداء العرب والبيزنطيون .

جـ– أن الهدف من هذه الحرب كان هزيمة الفرس .

كذلك فقد حارب العرب على أكثر من قاطع خلال الحروب الفارسية ، فقد حاربوا :

أ – بالقرب من نهر الفرات تحت قيادة فيتانيوس بعد أن أنهوا مطاردة فلول اللخميين في منطقة ما بين النهرين .

ب– حاربوا على الشمال الشرقي تحت قيادة (أريوبندوس) في عمليات عسكرية .

جـ– حاربوا في أرمينيا بعيداً عن قواعدهم ضد الجيش الفارسي[2].

وبذلك يكون العرب سواء من كان يتبع منهم للفرس أو للبيزنطيين قد لعبوا دوراً هاماً في الحروب البيزنطية الفارسية[3]، إما منفردين مثلما فعل الأمير الغساني المنذر بن الحارث

---

(1) Shahid .Byzantum & the Arabs in the 4th century .p.(77)

(2) Shahid. Byzantum & Arabs in the 5th Century. P(26, 33)

(3) Shahid. Byzantum & Arabs in the 5th Century. P(112)

حوالي سنة (580م) عندما قام بغزو الإمارة اللخمية في الحيرة بعد أن كانت حملة الإمبراطور موريقيوس عليها قد فشلت في الوقت الذي كان المنذر يرافقه في حملته ، حيث قام المنذر بإحراق الحيرة وعاد منها بغنائم عظيمة [1] أو تحت القيادة البيزنطية ، وذلك عندما قام لليانوس بجمع جموع من الروم والخزر ومن كان في مملكته من العرب ليقاتل بهم سابور وجنود فارس حيث انتهز العرب الفرصة للانتقام من سابور وما كان من قتله للعرب ، حيث اجتمع لليانوس من العرب مائة وسبعون ألف مقاتل[2].

كما لعب الأمير الغساني جبلة بن الأيهم دوراً مهماً في العلاقات البيزنطية الغسانية لمدة حوالي ثلاثون عاماً وذلك قبل وفاته سنة (528م)[3]، إلا أنه ومع ذلك كله فإن العلاقات بين العرب والبيزنطيين في الشام لم تكن طول امتدادها علاقات مودة وصفاء وثقة متبادلة بين الطرفين ، فنجد أن هجوم المنذر الغساني على الحيرة قد كلفه ملكه وبالتالي القبض عليه ونفيه هو واثنين من أبنائه إلى جزيرة صقلية ، وثورة الأميرة العربية ماوية ضد البيزنطيين ودعمها لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيقيين) ، قد اضطر البيزنطيون إلى إرسال سفارة لها طالبين عقد صلح بين الطرفين ، إلا أنها رفضت ذلك متمسكة بشرطها وهو تنصيب أحد رعاياها ويدعى موسى أسقفاً لنصارى العرب ، مما اضطر الإمبراطور فالنز (364-378م) إلى الموافقة على مطلبها ، كل ذلك وغيره دليل على أن العلاقات قد مرت بمراحل من التوتر والصراع بين الحليفين رغم ما كان بينهما من مواثيق وعهود[4].

وقد كان من نتائج سوء العلاقة بين البيزنطيين والعرب في بلاد الشام أن قام العرب الذين كانوا يتولون حراسة الحدود بالارتحال بعيداً داخل الصحراء تاركين الطريق خاليةً أمام القوات الفارسية لتقوم بعبور الحدود حيث قامت بمهاجمة أنطاكية ، فبعد المؤامرة التي قام بها الإمبراطور جوستين ضد الأمير الغساني المنذر بن الحارث انقضت ثلاث سنوات عاث فيها الفرس فساداً في الأراضي البيزنطية بالشام قبل أن يتم تحسين العلاقات مرةً ثانية بين

---

(1) نولدكة ، أمراء غسان ، ص (29 – 30) ، بيغولفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص (248) .

(2) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج 2، ص (68) .

(3) Shahid. Rome & Arabs . P23

(4) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطه ، ص (54 – 55) .

الطرفين[1] إلا أنّه ومع كل ما حصل بين الطرفين من سوء في العلاقات فقد قدم العرب للبيزنطيين خدماتٍ جليلة من أهمها حراسة الحدود والمشاركة في إخماد الثورات التي نشبت داخل الأراضي البيزنطية (ثورة السامرة) ، كما التزموا بالعمل تحت أوامر القادة البيزنطيين بشكل تام إضافةً إلى أنهم كانوا واقي الصدمة الأولى أمام هجمات الفرس على الأراضي البيزنطية ولأكثر من مرة[2].

ب- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والإمبراطورية الفارسية :

لم تقتصر علاقات القبائل العربية في بلاد الشام على الإمبراطورية البيزنطية فقد كان لها علاقات مع الإمبراطورية الفارسية في بلاد ما بين النهرين وإيران ، فكما فعلت الإمبراطورية البيزنطية في الشام من تحسين علاقاتها والتحالف مع القبائل العربية فعل الفرس حيث قاموا بتأسيس إمارة اللخميين التي أطلق على ملوكها باسم المناذرة ليكونوا تابعين لهم وحلفاء ضد البيزنطيين والقبائل العربية الموالية لهم وعلى وجه الخصوص الغساسنة[3] ومن أوائل القبائل العربية التي كانت لها علاقة مع الدولة الفارسية خلال فترة الدراسة كانت قبيلة تنوخ التي هاجرت بطون منها إلى بلاد الشام في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي[4] وذلك بعد أن رفضت البقاء تحت سلطة أردشير الذي تولى الحكم وسيطر على العراق سنة 226م[5] حيث استقرت في منطقة قنسرين شمالي سوريا[6] وفي حماة[7] وحمص[8] وبذلك تكون العلاقة بين الفرس وقبيلة تنوخ قد تحولت من علاقة عادية إلى علاقة عدائية وذلك بشكلٍ تلقائي بسبب تغيير الولاء السياسي لقبيلة تنوخ ، ويذكر عرفان شهيد أن قبيلة تنوخ كانت أول قبائل

(1) Segal ,Arabs in syriac literature ,p(110). – بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق ، ص(244-245)

(2) بيغوليفيسكيا ، المرجع السابق، ص(274،273).

(3) Stratos ,Byzantum in the 7th century ,p(18).

(4) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(70).

(5) Trimingham ,Christianity among the Arabs ,pp(92-93).

(6) Kazhadan ,the oxford dictionary of Byzantum .p(2010) – البطاينة ،العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ص(40-41).

(7) Trimingham ,op.cit .p(95).

(8) البطاينة ، المرجع السابق ص(40-41)

العرب في التحالف مع البيزنطيين كما اعتبرت أهم حليف عربي للإمبراطورية البيزنطية في القرن الرابع الميلادي في القاطع الشمالي من منطقة الجزيرة الفراتية[1]، ثم تلاها كل من قبيلة سُليح والغساسنة ، فقد أنهى قدوم سُليح سيطرة تنوخ في بلاد الشام وأنهى الغساسنة سيطرة سُليح وحتى الفتح الإسلامي[2].

بعد أن تحققت للغساسنة السيطرة على عرب الشام[3] إثر إقصائهم قبيلة سُليح عن الساحة السياسية والدخول في أحلاف جديدة مع البيزنطيين ، إلا أن الشروط التي وضعها الإمبراطور البيزنطي كانت قد حدّت من العلاقات العربية الفارسية ، حيث أن من تلك الشروط هو عدم تدخل الغساسنة في العلاقات البيزنطية الفارسية ، هذا إذا علمنا أن من أهم أسباب تحالف البيزنطيين مع العرب في الشام كان الخوف من أن ينحازوا إلى جانب الفرس ضدهم ، ومساعدتهم في صد الهجمات الفارسية[4] ، أو عرب الحيرة التابعين لهم على الحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية[5].

فمن خلال ما كتبته المصادر المختلفة عن العلاقات بين العرب في بلاد الشام وكل من الفرس والبيزنطيين نجد أن العرب قد وقعوا ضحية للنزاع بين الطرفين كما كانوا هدفاً لهجمات البدو أيضاً[6].

ج- العلاقات بين القبائل العربية في بلاد الشام والقبائل العربية الأخرى :

لا يمكن لأية قبيلة أن تصل إلى درجة من القوة والسلطان إلا إذا انتصرت على من يملك تلك القوة أو ذلك السلطان ، أو أن تجمع حولها من القبائل العدد الذي يجعل السلطة تؤول إليها بشكلٍ طبيعي ، فبعد زوال مملكة الأنباط و تدمر ظهرت على الساحة السياسية قبيلة تنوخ ثم تغلبت عليها قبيلة سُليح لتصبح الحليف المقرب للامبراطورية البيزنطية ، بعد ذلك وفي حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي ظهرت على الساحة قبيلة كنده بزعامة ملكها محبر بن

---

(1) Shahid ,Byzantum &Arabs in the 4^{th} century p(465).

(2) Shahid ,op. cit, p(203) – المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج2 ص(82).

(3) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج2، ص(274-276).

(4) رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وعلاقاتهم بالعرب ص(77).-كحالة ، معجم قبائل العرب ،ج3ص(884-885).

(5) Sratos ,Byzantum in the 7^{th} century p(18)-Encyclopedia of Islam p(1020). – ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج2، ص274-276).

(6) Segal .Arabs in the syriac literature, p(100) .

عمرو ، ومنذ اللحظة الأولى لدخولهم بلاد الشام دخلوا في عداء مع الفرس ، ثم اصطدموا مع قبيلة سُليح التي كانت تتبع البيزنطيين في بلاد الشام وتقوم بجمع الضرائب لصالحهم ، وقد أنهى ظهور الغساسنة في بلاد الشام مع نهاية القرن الخامس الميلادي أي صراع على السلطة بين القبائل في بلاد الشام[1].

كنتيجة لحالة العداء التقليدي بين كل من دولتي الفرس والبيزنطيين ، فقد انتقلت حالة الصراع والتناحر بين كل من إمارة المناذرة في العراق والغساسنة في الشام بل لقد كانت كل إمارةٍ من الإمارتين أداةً في يد الدولة الحليفة لها ضد الأخرى تحمي حدودها وتحارب معها ضد الطرف الآخر[2] وقد كان الفرس أو البيزنطيون يستفزون أحد الأطراف ضد الآخر بالمغالاة في منحه الألقاب والهدايا وتعيين بعض الأمراء قادةً للحملات العسكرية[3].

يمكن أن يكون عدم التطرق بشكل صريح للعرب (Saracens) والمقصود بهم هنا (المناذرة في العراق ، والغساسنة في الشام) في اتفاقيات الصلح بين الطرفين من أحد أهم الأسباب التي كانت تؤدي إلى استمرار حالة الصراع بين الطرفين رغم وجود الاتفاقيات فعندما وقع الصراع بين الغساسنة والمناذرة حول منطقة (Strata) وهي الطريق الممتدة جنوبي تدمر إلى دمشق ، ، تمَّ اتهام المنذر اللخمي بأنه قد خرق شروط الصلح بين الفرس والبيزنطيين إلا أن رده كان بأنه لم يكن طرفاً في ذلك الصلح[4] وقد تعدى العداء بين عرب الشام والعراق الصدام بين الطرفين مباشرة إلى أن أصبحت تؤلب كل إمارة من تستطيع استمالته من القبائل الأخرى ضد الطرف الآخر ، وقد أورد المؤرخون في حديثهم عن الحروب بين الغساسنة والمناذرة صيغة : " واجتمع فيها عرب العراق تحت راية المنذر وعرب الشام تحت راية الحارث " وهذا يدل على أن القبائل كانت تتحالف مع أحد الطرفين ضد الآخر[5].

---

(1) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(165-166).

(2) الخوري عيسى ، تاريخ حمص ، ص(410-411) .

(3) سحاب ، إيلاف قريش ، ص (106)؛ دروزة تاريخ الجنس العربي ، ج5ص(386).- Procopius, History of the wars 7 vol.vol 1 p (159).

(4) إحسان ، تاريخ بلاد الشام ، ص(132-133).

(5) دروزة ، المرجع السابق ، ج5، ص(382 - 384).

لذلك فقد أصبح العداء بين عرب الشام وعرب العراق أمرٌ متوارث سببه الولاء السياسي لكل من الفرس والبيزنطيين اللذين كانوا الأعداء التقليديين في المنطقة حتى الفتح الإسلامي[1].

فقد كانت العلاقات تتوتر بين الطرفين بل وتصل أحياناً إلى درجة الحرب إذا ساءت العلاقات بين البيزنطيين والفرس ،فنتيجةً لسوء الاستقبال الذي لقيه السفير الفارسي سنة (567م) من الإمبراطور جوستين الثاني أمر ملك اللخميين أخاه قابوس بغزو منطقة عرب الروم الملاصقة له والتي كانت تابعةً للمنذر الغساني[2].

وكما أوردت سابقاً فإن العرب وعلى الرغم من وحدة أصلهم إلا أن اختلاف ولائهم السياسي قد أدًى إلى حدوث نزاعات بينهم المستفيد منها الوحيد في ذلك الوقت كان كلٌّ من الفرس والبيزنطيين دون سواهم .

د- الألقاب والرتب التي منحت لزعماء القبائل في بلاد الشام .

نظراً للطبيعة الجغرافية لبلاد الشام وصعوبة الدفاع عنها من قبل الدولة البيزنطية فقد اتبعت لذلك سياسةً مبنية على مهادنة سادات القبائل خصوصاً إذا وجدت لديهم القوة الكافية لإنجاز المهمات التي كانت تطلب سابقاً من الجيش النظامي البيزنطي . وفي الوقت ذاته كسبهم كحلفاء تابعين لها واتقاءً لشرهم في نفس الوقت ، ومن أجل ذلك كانت تقوم بدفع الأموال وتقديم الهدايا ومنح الألقاب المشرفة لهم التي كان بعضها يقارب لقب الإمبراطور نفسه[3]، وقد كان ذلك يشعرهم بالتميز عن سواهم وأنه زيادةٌ في التشريف والإكرام لهم من قبل الدولة البيزنطية[4]، وبالتالي كانوا لا يترددون في تنفيذ أي أمرٍ يطلب منهم تنفيذه ، ويمكن إيراد عدة أسباب يمكن أن تكون وراء منح تلك الألقاب وهي :

1- تأمين حماية الحدود الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية لولاية سوريا من هجمات القبائل العربية القاطنة خارج الأراضي البيزنطية.

2- إمداد الجيش البيزنطي بالمقاتلين في حال تعرض الأراضي البيزنطية لاعتداء خارجي .

---

(1) الخوري عيسى، تاريخ حمص ، ص(411).

(2) بيغوليفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ص(243).

(3) دقة ، السفارة السياسية ، ص(197-200).

(4) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(69).

3- جمع الضرائب من القبائل الواقعة ضمن أراضي الإمبراطورية البيزنطية وتحت سيطرة القبيلة صاحبة السيادة والسطوة والقوة التي تكون على علاقة تحالف مع الإمبراطورية وتمثلت في هذه الفترة بـ(تنوخ ، سليح ، كنده ، الغساسنة).

4- تأمين حماية القوافل والمحطات التجارية الواقعة على طرق التجارة وتزويد المسافرين بالأدلاء والحماية اللازمة .

5- إقلاق راحة الإمبراطورية الفارسية والقبائل التابعة لها في حال شعر البيزنطيون بهجومٍ وشيك على أراضيهم .

وسأتطرق هنا إلى أهم هذه الألقاب التي أطلقها الأباطرة والقياصرة البيزنطيون على العرب الموالين لهم .

أ- **البطريق (Patricius)** : من الألقاب التي تم إطلاقها على أمراء الغساسنة[1]، ثبت وجوده في الوثائق الرسمية للدولة البيزنطية ، وقد تم إطلاقه مقروناً ببعض الألفاظ التابعة له مثل اللقب الذي أطلق على الحارث بن جبلة[2]، (الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح والحارث البطريق ورئيس القبيلة) وكذلك فقد أطلق هذا اللقب على الأمير الغساني المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة حيث كان يلقب بـ (فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح)[3]، ورئيس القبيلة[4].

ويعتبر لقب بطريق من ألقاب الشرف الفخمة عند البيزنطيين الذي لم يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة [5] ، وقد كان صاحبه يتمتع بمنزلة عالية وقد ربطه علماء اللغة بكلمة (Parricius) الرومانية وقد استحدث هذا اللقب الإمبراطور قسطنطين الأول كلقب فخري[6]، وقد ازدادت أهمية هذا اللقب في الغرب لدرجة أن بعض الملوك كانوا يرغبون في الحصول

---

(1) الخوري ، نصارى غسان والسريان ، مجلة المشرق ، ص(379).

(2) Bury , history of later Roman Empire pp (91-92)

(3) دروزة ، تاريخ الجنس العربي ،ج5، ص(385).

(4) نولدكة ، أمراء غسان ، ص(12).

(5) الخوري ، المرجع السابق ، ص(485) . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج3،ص(406) .

(6) Kazadhan . Oxford dictionary 3vol. Vol.3 p (1600).

عليه من القيصر[1]، وذلك لأن طبقة البطارقة كانت تعد عند البيزنطيين أعلى الطبقات الاجتماعية على الإطلاق[2].

ب- **الملك** : وهو اللقب الذي منحه القيصر إنسطاسيوس للأمير الحارث الأول بن ثعلبة[3]، الغساني سنة (505م) وذلك بعد وقوع إحدى المعارك بين البيزنطيين والفرس[4]، كما منح الإمبراطور جستنيان الحارث بن جبلة رتبة ملك وبسط سلطته على عدة قبائل عربية في سبيل الوقوف في وجه الفرس[5]، وذلك لقاء خدمتين كبيرتين قدمهما إلى الإمبراطورية وهما :

1- انتقامه لمقتل الفيلارخ الحارث الكندي .

2- مشاركته الفاعلة في قمع عصيان السامرة[6].

في عام 569م توفي الحارث بن جبلة بعد أن استمر في الحكم حوالي 40 عاماً ، وتولى الحكم من بعده ابنه المنذر الذي ما أن تولاه حتى أعلن الحرب على عرب الحيرة (عمال الفرس) الذين كانوا قد هاجموا سوريا وهزمهم وذلك في شهر أيار من عام 570م ، ويرجح أن تكون هذه المعركة هي معركة عين أباغ .

نتيجةً لمساندة المنذر الغساني لأتباع الطبيعة الواحدة فقد رفض القيصر يوسيتنيوس إمداد المنذر بالأموال التي كان قد طلبها لإنجاز بعض أعماله وفي الوقت نفسه أوعز إلى البطريق مرقيانوس أن يقتل المنذر الذي علم بالخبر بطريق الصدفة فقام بالارتحال إلى مناطق بعيدة داخل الصحراء ، فاستغل عرب الحيرة الوضع وقاموا بمهاجمة سوريا وعاثوا فيها فساداً ، مما أضطر الإمبراطور أن يسترضي المنذر فتمَّ عقد الصلح بين الطرفين ، فتمت دعوة المنذر لزيارة القسطنطينية فاستقبل بالاحترام وبالتبجيل وقد رحَّبَ به القيصر طيباريوس ووصف بـ (المنذر ملك الشرقيين)[7].

---

(1) الخوري ، تاريخ حمص ، ص(485) . جواد علي ، المفصل ،ج3، ص(406).

(2) نولدكه ، المرجع السابق ، ص(14).

(3) دروزة ، المرجع السابق ، ج5 ، ص(379).

(4) Bury J.B. op.cit, pp(91-92) – الخوري عيسى ، المرجع السابق ، ص(410).

(5) نولدكه، أمراء غسان ، ص(12) . لامنس ، أقدم أثر مكتوب لبني غسان ، ص(485)

(6) بيغوليفيسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ص(233).

(7) نولدكه ، المرجع السابق ، ص(24-26).

ج- بروكوب : وهو لقب منح أيضاً للملك الحارث الغساني سنة (505م) من قبل الإمبراطور أنسطاسيوس ، حيث تمَّ منحه السلطة المطلقة على كلِّ القبائل العربية الخاضعة للبيزنطيين[1].

8- فيلارخ ([QUc<PXA]s/phylarch) : زعيم القبيلة[2] لقب من ألقاب التكريم التي منحها الأباطرة الروم والبيزنطيون لزعماء القبائل العربية في بلاد الشام بعد تحالفهم معهم[3]، ومن أسباب منح هذا اللقب كانت استغلال حاجة الإمبراطورية البيزنطية لمصادقة القبائل العربية المجاورة لحماية المناطق الصحراوية والطرق المارة من خلال منطقة نفوذهم في منطقة الصحراء السورية[4] ولرد غزوات ملوك الحيرة عمال الفرس[5]، وقد أصبح هذا اللقب الاسم الدارج لأصحاب السلطة في الولاية العربية[6]، وقد تمَّ استخدام هذا اللقب ابتداءً من القرن الرابع وحتى القرن السابع الميلادي إلى قادة أو زعماء القبائل العربية المتحالفة مع الإمبراطورية البيزنطية ، وقد توقف استعماله بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام[7].

تمَّ منح هذا اللقب إلى (زوكوم/Zokom) الذي من المعتقد أنه ينتمي إلى عشيرة الضجاعمة من قبيلة سَليح والذي كان يعتنق الديانة المسيحية وذلك في القرن الرابع الميلادي [8]، وإلى النعمان بن عمر بن مالك وهو أول زعيم من زعماء تنوخ يمنح هذا اللقب وكان النعمان مسيطراً على منطقة فينيقيا الثانية[9]، وبعد النعمان تمَّ منح هذا اللقب إلى إمرؤ القيس زعيم قبيلة كنده الذي استولى حوالي عام (470م) على جزيرة (يوتابه / تيران – Yotaby) في مدخل خليج العقبة وحرم البيزنطيين من الضرائب التي كانت تجبى لهم وقد قام الإمبراطور (ليو الأول)[10]، بمنحه هذا اللقب بعد دعوته لزيارة القسطنطينية ، وتمَّ منح هذا

---

(1) الخوري عيسى ، تاريخ حمص ، ص(410).

Glare Oxford Latin Dictionary .(1376)- Kaegi , Byzantium & The Early Islamic Conquests P(55)(2)

Trimingham , Christianity aming the Arabs p(96).(3)

Kaegi , Byzantum & the early Islamic conquests pp(55-56). (4)

(5) لامنس ، أقدم أثر مكتوب لبني غسان ، ص(485) .

(6) نولدكة ، أمراء غسان ، ص(16) .

Kazdhan, Oxford dicrionary of Byzantian, vol 3 , pp(1672-1673) (7)

(8) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص (217).

Trimingham, op .cit. P(96) (9)

(10) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص (72) ، سحاب ايلاف قريش ، ص (96) .

اللقب إلى الحارث بن جبله[1] الغساني سنة (529م)[2]، من قبل الإمبراطور جستنيان[3] حيث تمَّ تنصيبه رئيساً للقبائل العربية في سوريا ، وتم كذلك منحه لقب (باتريسيوس) وهـذان اللقبـان يأتيان بالمرتبة الثانية بعد لقب الإمبراطور في ذلك الوقت وذلك لقاء قيامه بجمع الضرائب التي كانت تدفع له لصالح الإمبراطورية البيزنطية[4] ، وفي سنة (581م) تمَّ منح اللقب إلى المنـذر الغساني ويظهر ذلك من خلال النقش غير المؤرخ الذي عثر عليه في منطقة دُمَّر شمال شـرق دمشق ، حيث تمَّ ذكر اسمه على أنه (فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح) ، ولقب كـذلك بـ (فيلارخ)[5]، وتمَّ منح جبله بن الحارث الذي ساعد البيزنطيين سنة (597م) فـي إخمـاد إحدى الثورات التي سبَّبت لهم الإزعاج حيث منحوه لقب فيلارخ وجعلوه عاملاً على البتراء [6].

هـ- **أوغسطوس** : لقب تم منحه إلى أُذينه ملك تدمر لقاء الخدمات التي قدمها للرومان[7].

و- **الصافي** : بعد شعور الأباطرة البيزنطيون بقوة الحليف الغساني الجديد تم فتح سجل الشرف البيزنطي أمامه ، ومن ملوك الغساسنة الذين منحوا هذا اللقب كان الحارث الغساني الـذي لقب بـ (كلاريسموس)[8].

ز- **الأشهر الأمجد** : من الألقاب التي أطلقت على الحارث ، وقد كان غالباً ما يلفـظ مقرونـاً بألفاظ أو نعوت أخرى مثل (الأمجد والحسن العبادة ، الأمجد ومحـب المـسيح الحـارث البطريق)[9].

ح- **فلافيوس** : لقب كان ينعم به أحياناً القياصرة الروم والبيزنطيون على بعض رعيتهم ، وقد دعي به الإمبراطور (يوستنيان) وأسلافه كما لقب به بعض قادة الجيش مثل القائد الـشهير

Bury.J.B, History of the later Roman Empire, pp(90-91) (1)

(2) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق، ص(233).

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص (71).

(4) الموسوعة الإسلامية ، ص (142).

Shahid, Byzantum & Arabs in the 6th Century, p(495) (5)

(6) دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، 8ج ، ج5 ، ص (383).

(7) الدبس ، مختصر تاريخ سوريا ، ص(243).

(8) بيترز ، بيزنطة وعرب الشام ، ص 316 .

(9) نولدكة ، أمراء غسان ، ص 13 .

بلزاريوس ، وأطلق أيضاً على جماعة من الأعيان من غير طبقة البطارقة وبعــض أفــراد الطبقة الوسطى[1].

(1) نولدكة ، المرجع السابق، ص (15-16) .

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية في بلاد الشام

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل العربية في بلاد الشام

تمتعت بلاد الشام و منذ أقدم العصور بأهمية بالغة كعقدة مواصلات بين قارات العالم القديم ، و بالتالي أصبحت إذا جاز القول محطة كبرى من محطات القوافل التجارية القادمة من آسيا باتجاه شمال إفريقيا ، أو القادمة من حوض البحر المتوسط باتجاه الساحل الشرقي له أو المغادرة من بلاد الشام باتجاه الشرق عبر طريق الحرير إلى أواسط قارة آسيا أو عبر طريق البخور أو التوابل باتجاه الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، حيث يمكن أن نطلق عليها منطقة حرة و محطة مواصلات برية و دولية كبرى .

ونظراً لطبيعة العلاقة التي تربطها بشبه الجزيرة العربية ، حيث اعتبرت بلاد الشام امتداد طبيعي لها فسوف أقتصر الحديث في هذا الفصل على علاقات القبائل العربية (الاجتماعية والاقتصادية) القاطنة في بلاد الشام مع الجزيرة العربية موطنها الأصلي قبل أن تبدأ هجرتها منها إثر انهيار سد مأرب .

فبالإضافة إلى عملية التبادل التجاري بين الطرفين ، فقد تم هنالك عمليات تبادل ثقافي واختلاط اجتماعي عن طريق ما كان يتم جلبه من رقيق من كلا الطرفين (تجار بلاد الشام وتجار الجزيرة العربية) مما أدى إلى دخول الجنس الأبيض (رقيق الروم والقوقاز) والجنس الأسود (رقيق إفريقيا والحبشة والهند) في كلا المجتمعين (مجتمع بلاد الشام والجزيرة العربية).

1- الحياة الاجتماعية :

لم تنقطع القبائل العربية بعد هجرتها إلى بلاد الشام عن أصولها في جزيرة العرب والسبب يعود إلى الحركة المستمرة شبه الدائمة على الطرق التي تربط الجزيرة العربية ببلاد الشام وما ينتقل عليها من قبائل أو أفراد منفردين أو مرافقين للقوافل التجارية الذاهبة والعائدة من الشام ، إضافة لذلك فهناك الهجرات المتلاحقة والحركة المستمرة للقبائل العربية على أطراف أراضي الدولة البيزنطية أو إلى داخلها ، الأمر الذي يؤدي إلى تغذية تلك الجماعات بدماء عربية جديدة ، فلهذا السبب وغيره اعتبر علماء الأنساب أن أنساب القبائل العربية في بلاد الشام هي أنقى من أنساب القبائل العربية الموجودة في بلاد اليمن وحضرموت . والسبب في

ذلك هو أن أنساب القبائل في بلاد الشام لم تتأثر بالدرجة التي تأثرت بها أنساب القبائل العربية في اليمن التي تزاوجت مع شعوب غير عربية مثل الشعوب الإفريقية (شرق أفريقيا والحبشة) وبلاد شرق آسيا والهند ، فلم يمض وقت طويل على وجودهم في بلاد الشام حتى تعلموا اللغـة اللاتينية وتأثروا بالحضارة البيزنطية ووصل الأمر إلى أن أطلقت عليهم أسماء بيزنطية حتـى اعتقدوا بأنهم من الشعوب اللاتينية الذين لا تربطهم بالجزيرة العربية سوى العلاقات التجارية ، بل لقد حاربوا في مراحل متأخرة مع البيزنطيون ضد جيوش الفتح الإسلامي[1].

وسيكون الحديث عن الحياة الاجتماعية من خلال التطرق إلى أهم الـصفات والعـادات التي كانت دارجة عند القبائل العربية القاطنة في بلاد الشام والتي ارتحلت معها مـن مواطنهـا الأصلية إضافة لما اكتسبته من عادات بعد أن استقرت في مواطنها الجديدة والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

أ- الكـــرم :

من اشهر العادات الاجتماعية التي كانت منتشرة بين العرب في العصر الجـاهلي وقـد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالشجاعة والفروسية ، فقد عرف العرب قبل الإسـلام (بـالقرى) أي إطعام الضيف وإكرامه وحمايته فلم يكن الأمر مجرد إطعام الضيف أو إكرامه بل وحمايتـه ، [2]. وقد كان العرب يتباهون بكثرة ما يأتيهم من ضيوف ، بل لقد كانوا يبذلون قصارى جهدهم في اجتذابهم بعدة طرق منها إيقاد النار أو نباح الكلاب وفي ذلك يقول شُرَيح بن الأحوص :

ومستنبح يبغي المبيـت ودونـــه   من الليل سجفا ظلمة ومـستوردها
رفعت له ناري فلما اهتـدى بهـا   زجرت كلابي أن يهر عقورهـا [3]

فقد كانت النار توقد ليلا ليهتدي بها التائهون . حتى إذا وصلوا إليها أمنـوا حتـى وان كانوا من الأعداء [4].

---

(1) Encyclopidio. Of Islam. Vol 5 , P. (292)

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج1 ، ص (188) .

(3) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص (44) .

(4) ضيف ، تاريخ الجاهلية ، ص (68) .

وبذلك يكون الكرم من الصفات التي توجد بكثرة في المجتمعات البدوية ، واحتلت مكانة سامية في نفوس العرب ، وهي من الصفات التي تجعل من صاحبها زعيم قبيلة أو سيد قومه ، لذلك فقد عظمه العرب ودافعوا عنه بكل ما لديهم من قوة وقد عد ذلك دفاعاً عن وجودهم وحياتهم ، وقد عبرت (غُنَيَة) أم حاتم الطائي لمن لامها على كرمها قائلة :

لَعمركَ قدمًا عَضَنَي الجوعُ عضةً فآليتُ إلا امنَعَ الدهرَ جائعاً

فقولا لهذا اللائمي اليومَ اعفنـي وان أنت لم تفعل فعُضَّ الأصابِعا

وقد كان دور كرماء العرب يظهر بعدما تنتهي الحروب التي كانت تذهب بالعدد والعديد والمال وغيره ، حيث كانوا يساهموا في تحسين أوضاع الناس قدر استطاعتهم[1].

وكان من الدلائل التي تبين إكرام الضيف أن يقوم صاحب الدار بتقديم الطعام والشراب للضيف بنفسه ، وبعد ذلك يقوم بمسامرته حتى يغلبه النعاس كما كان يتم تطييب الضيف ، وكان مسير المضيف أمام الضيف دليل يشعره بالأمان وانه لا يريد له أي شر [2].

ومن أشهر كرماء العرب قبل الإسلام : (حاتم الطائي[3]، عبد الله بن جدعان[4]، لبيد بن ربيعه العامري ، هدم بن سنان المري ، كعب بن إمامه الأيادي)[5].

وهنالك نادرة طريفة حول الاهتمام بالضيف وهي أن مُدلج بن سويد الطائي ، كان قد وقع بأرضه جراد في سنة قحطٍ ، فجاءهُ أُناسٌ يطلبون منه السماح لهم بصيد الجراد ، فما كان منه آلا أن هدد بقتل كل من يتعرض للجراد بسوء ، وبقي قائما فوق فرسه حاملا سلاحه حتى حَمِيَتْ الشمس وطار الجراد ، فذهبت تلك الحادثة مثلا (أحمى من مجيرُ الجراد)[6].

ويمكن إرجاع الكرم في غالب الأحيان إلى الثراء الذي كان من أسباب وقوع اغلب مدن بلاد الشام على طرق القوافل بين الشرق والفرس وكذلك الأمر بالنسبة لمدن الحجاز أو

---

(1) إسماعيل ، النبات والفلاحة عند العرب ، ص (78).
(2) أبو علي ، صورة العادات والتقاليد عند العرب ، ص (67-69) .
(3) البغدادي ، المحبر ، ص (137).
(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص (202).
(5) عطوي ، ديوان حاتم الطائي ، ص (21 – 31) .
(6) أبو علي ، المرجع السابق ، ص (192).

الاشتغال بالتجارة الذي مارسه منهم من أهالي بلاد الشام إضافة إلى تجارة مكة واليمن ، وقد أدى الثراء إلى ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية في بلاد الشام[1].

2- الغـــزو :

والفعل الثلاثي منها (غـزا) . وغزا الشيء أي طلبه وأراده ، والغـزوة مـا غُـزِيَ وطُلِبَ ، والغزو هو السير لقتال العدو وانتهابه[2] وغالباً ما يكون ذلك بشكل مفاجئ ،ويمكن ان تكون هنالك عدة اسباب وراء ذلك منها الاسباب الاقتصادية وكذلك بيئيه حيث كان انحباس المطر والقحط وتحول طرق التجارة غالبا ما تؤدي الى تدهور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية مما كان يدفع سكان الصحراء أو المناطق المجدبة الى مهاجمة الأماكن الغنية أو الأراضي الزراعية الخصبة أو مصادر المياه أو القوافل التجارية ، وقد اعتبرت هذه العادة من الطرق التي بدأ بها العرب على الحدود الشمالية والشرقية للجزيرة العربية علاقتهم مع الإمبراطورية البيزنطية والقبائل المحالفة لها ، وقد تطورت هذه العلاقة فيما بعد إلى عملية تبادل منفعة بين سكان المناطق الزراعية أو التجارية والقبائل العربية الواقفة على الحدود استعداد للغزو فقد كانت تقوم القبائل بتقديم الحماية للمناطق الزراعية مقابل قيام المزارعون بتقديم ما يحتاجه أفراد القبائل من سلع أو خضار أو فواكه غير موجودة لديهم ، الأمر الذي أدى لاحقا إلى ذوبان المجتمع البدوي وتحوله من حالة الترحال الدائم إلى حالة الاستقرار ومن الغزو والحرب إلى مجتمعات زراعية مستقرة[3].

وكان الغزو يعتبر من وسائل الثراء السريع عند العرب ، حيث كان يتم الإغارة على القوافل التجارية أو قطعان الماشية ، فيتم نهب البضائع والمواشي وسبي وأسر النساء والرجال ليباعوا في أسواق الرقيق ، حيث كانوا يعدوا من اربح السلع عند العرب[4] ، إضافة إلى كونه

---

(1) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص (105 – 117) .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج10 ، ص (66) .

(3) عباس ، المرجع السابق، ص (61 – 62) .

(4) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص 291 .

إحدى طرق الثراء السريع فقد كان الغزو يعد مفخرة وصفة محببة عند صعاليك العرب واعتبروها أهم صفات الشجاعة عندهم[1]، ويعد عروة الورد من اشهر صعاليك العرب .

وقد كان للغزو أثرة الواضح على الإمبراطورية البيزنطية لدرجة انه تم الاتفاق بين الإمبراطور البيزنطي (أنسطاسيوس) وزعيم قبيلة كنده الحارث بن عمر بن حجر سنة(502م)، ومن بعده الحارث بن جبله سنة (528م) ، ثم المنذر الثالث ملك الحيرة سنه (529م)، على إنهاء غزوات العرب للأراضي البيزنطية[2].

3- الشجاعة :

من أهم الصفات وأحبها عند العرب ، وربما كانت المخاطر غير المعروفة فيها سببا في اعتبارها من صفات الشجاعة ، كما اعتبر استخدام الفرس والروم للقبائل العربية في بلاد الشام والعراق من الأدلة الدامغة على تمتع الفرسان العرب بالشجاعة الكافية لهـذه المهمـة ، التـي اعتبرت من المهام الحساسة بالنسبة للبيزنطيين والفرس على حد سواء ، فقد كان يطلب من الجهة المخولة بالحراسة إن تقوم بحماية الحدود من الغزو الخارجي ، وكذلك حماية محطات القوافل والقوافل الموجودة بها ، والمسافرين المارين بها ، والقرى أو المدن المجاورة لها وتقديم الإدلاء لمرافقة المسافرين داخل الصحراء[3].

كما كان البدوي يعتمد على نفسه في حماية ممتلكاته والسبب في ذلك هو أن إمكانية تعرضه للخطر في أية لحظة ، على العكس من سكان المدن الذين كانوا يوكلون أمر حمايتهم إلى زعيمهم ، وبالتالي فقد تركوا الحرب أو تقاعسوا عنها وركنوا إلى الدعة والترف ، ولذلك فقد كان لزاماً على العربي إن يتحلى بالشجاعة وقوة البأس ، وإلا فإنه سيكون ضحية للغارات التي يقوم بها سكان الصحراء أو الجبال[4].

---

(5) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ،(226-234)

(2) Trimingham, Christianity Among the Arabs. P(115-116)

(3) Trimingham, op.cit. P (123)

(4) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص (443 – 444) ؛ فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص 57 .

فعلى رئيس القبيلة أن يكون في مقدمه قومه في الحروب أو الغزو وأن يكون شـجاعاً لا يهاب الموت[1]، فقد بلغ من شهرة الحارث بن جبله الغساني عند البيزنطين وشجاعته وشـدة بأسه أن النساء كن يخوفن أولادهم به قائلات (اسكت وُلا أتيناك بالحارث)[2].

ويذكر ابن خلدون في حديثة عن الشجاعة :" والـسبب فـي ذلـك أن أهـل الحـضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والتـرف ، ووكلـوا أمـرهم فـي المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم ، والحاكم الذي يـسوسهم ، والحاميـة التـي تولـت حراستهم ، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم ، والحرز الذي يحول دونهم ... وأهل البـدو لتفردهم عن المجتمع وتوحـشهم فـي الـضواحي وبعـدهم عـن الحاميـة وانتبـاذهم عـن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونهـا إلـى سـواهم ولا يثقـون فيهـا بغيرهم ، فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب فـي الطـرق ، ويتجـافون عـن الهجوع إلا غراراً في المجالس أو على الرحال والأقتـاب ، ويتوجـسون للنبـات والهيعـان ويتفردون في القفير والبيداء مدلين بيأسهم واثقين بأنفسهم قد صار لهم البأس خلقـاً والـشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ "[3].

فالشجاعة توجب على الشخص التحلي بالعزيمة والحزم وعدم التردد وعـدم التلـوم ، لأن ذلك إن لم يتوفر سيؤدي إلى القضاء عليه ، فهو يقاتل فرسان لا يعرفون الخوف ، فإن لـم يكن أقوى منهم فهو بالنتيجة آيل إلى الهلاك ، وقد كان العربي يفضل الموت علـى الفـرار أو توليه ظهره للمحن والشدائد ، بل عليه أن يستخدم ما يتوفر لديه من أساليب الحيلة والدهاء مـع السيف ليفرج كربه ويزل غمته[4].

4- الثـــأر :

من العادات التي انتشرت في الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وهي مـن أهـم العوامـل التي أدت إلى التماسك بين أفراد القبيلة الواحدة ، وقد أدى في أغلـب الأحيـان إلـى نـشوب

---

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج4 ، ص 345 .

(2) زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ص 256 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، فصل (5) ، ص 125 .

(4) علي ، النبات والفلاحة والري عند العرب ن ص (83 – 84) .

نزاعات وحروب امتد بعضها لعقود ، وقد سميت تلك الحروب (أيام العرب)[1]، ويعتبر من النتائج الطبيعية للعصبية القبلية وامتداداً لها ، فهو يكمل المهمة التي تقوم بها العصبية القبلية من حيث مقابلة أي اعتداء على القبيلة باعتداء مقابل يكون رادعاً للعدو من التمادي في الاعتداء أو تجاوز حدوده ، وقد عدت عملية الأخذ بالثأر من واجبات سيد القبيلة ، فها هو عامر بن طفيل سيد بني عامر في قصيدة له يقول :

" تقول ابنة العمريّ مالك ؟ بعدما ... أراك صحيحاً كالسليم المعذب

فقلت لها همي الذي تعلمينه ... من الثأر في حيية زبيد وأرحب

إن أغزو زبيداً أغزُ قوماً أعزة ... مركبهم في الحي خير مركبِ

وإن أغزُ حيّ خثعم فدماؤهم ... شفاء وخير الثأر للمتأوب "

ويفتخر حين يأخذ بثأره حيث يقول:

سلاح امرئ قد يعلم الناس أنه ... طلوب لثارات الرجال مطلب[2]

ولم تكن صلة القربى تمنع من الأخذ بالثأر ، كذلك كان الرجل يجد كل الجد للأخذ بثأر قريبه وهو على ثقة بأنه إن قتل فسوف يجد من يأخذ بثأره ، وقد كانت النساء تساهم بشكل كبير في حض الرجال على الأخذ بالثأر ، ولكن يصفوهم بأقبح الأوصاف إذا لم يأخذوا بثأرهم[3].ومن العادات المتبعة عند مقتل أحد سادات القبيلة أو فرسانها أن البكاء عليه وندبه من قبل النساء يؤجل حتى يتم الأخذ بثأره حيث يندب ندباً حاراً وتبكيه النساء ، أما إذا قبلت القبيلة أن تأخذ ديته فقد كان هذا يثير غضبهن بشكل شديد[4].

اهتم العرب بالثأر اهتماماً كبيراً لدرجة أنهم كانوا يبتعدون عن النساء والخمر والطيب ، لأنها حسب ما يرونه نوع من التنعيم والبهجة التي لا تليق بطالب الثأر ، وفي ذلك

---

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص (367 – 368) .

(2) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص269؛ الأنباري ، ديوان عامر بن طفيل ، ص (28) .

(3) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص (208–211) .

(4) ضيف ، تاريخ الجاهلية ، ص73 ؛ الحوفي ، المرجع السابق، ص73 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج1 ، ص 405.

قال المهلهل بن ربيعه (000 ــ نحو 525م) واسمُهُ عديّ بن ربيعه بن مرّة بن هبيرة، من بني جشم، من تغلب،أبو ليلى شعراً بعد ا عم بمقتل أخيه جاء فيه: ،

" خذ العهد الأكيد عليّ عهدي   بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كأس   ولبس جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي   إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سَرَاة بكرٍ   فلا يبقى لها أبداً أثار [1]

وقول قيس بن الخطيم :

" ولما هبطنا الحرث قال أميرنا   حرام علينا الخمر ما لم نحارب "[2]

وفي حديثه عن امرؤ القيس زعيم قبيلة كنده وما فعله حين بلغه مقتل والده وهو مقيم في بلدة دمون في اليمن قوله :

" تطاول الليل علينا دمون   إنا معشر يمانون وإننا لقومنا محبون"

ثم يقول : " ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغداً أمر "، وقد أصبح هذا مثلاً يضرب .

وقد جَدَ امرؤ القيس في طلب دم أبيه بكل السبل ، فقد ارتحل في مختلف مناطق الجزيرة العربية طالباً نصرة قبائلها للأخذ بثأر أبية إلا انهم خذلوه فلم يجد بداً من طلب مساعدة البيزنطيين في ذلك وقد استجاب له الإمبراطور جستنيان في بادئ الأمر إلا أن بني أسد " أرسلوا رسولاً لهم خلف امرؤ القيس بعد ذهابه للقسطنطينية فاستطاعوا الوصول إلى الإمبراطور والوشاية بامرؤ القيس عنده وبأنه على علاقة غير شريفة مع ابنة الإمبراطور فكانت نهايته على يد الإمبراطور الذي قام بتحريض من بني أسد (، بدس السم له في حُلةٍ أهديت له ، فمات على أثرها ودفن في أنقره [عاصمة تركيا اليوم] من أرض الروم[3].

---

(3) أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، أيام العرب في الجاهلية ، ص (149 – 153)
(2) السندوبي ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام ، ص (273) .
(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج1 ، ص(399 – 406) .

5- العصبية القبلية :

هي التعصب لأبناء القبيلة الواحدة من حيث مناصرتهم والدفاع عنهم وذلك تبعاً للحالة الراهنة وحسب وضع الشخص في القبيلة ، فإذا كان من سادة القبيلة فإن القبيلة كلها تهب لنجدته والدفاع عنه وذلك لمجرد مناداته إياهم بنداء العصبية لقبيلته[1].

وقد عرف ابن خلدون العصبية بأنها " النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكه ، وتكوّن العصبية (الشعور بالصلة بين أفراد الجماعة الواحدة "[2].

ويأتي ذلك كله من منطلق أن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصلٍ واحد مشترك تجمعهم الرابطة العصبية للأهل والعشيرة ، وهي عند العرب نوعان :

أ- عصبية الدم : هي الرابطة التي تربط أبناء العائلة الواحدة أو الأسرة .

ب- عصبية الجد المشترك الذي تنتمي إليه القبيلة أو عدة قبائل.

وقد أدّت العصبية القبلية إلى القضاء على الترابط السياسي بين القبائل المختلفة ، حيث عُدت كل قبيلة كيان سياسي منفصل أو دولة صغيرة تنطبق عليها مقومات الدولة باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها[3]، فالقبيلة هي عماد الحياة في البادية . بها يحتمي الأعرابي في الدفاع عن نفسه وماله حيث لا يوجد من يتولى تطبيق الأمن في البوادي ، وكل ما هنالك عصبية تأخذ بالحق وأعراف يجب أن تطاع[4]، فالقبائل مثل الدول منها القوي الذي تعتمد على نفسها في الدفاع عن وجودها ، ومنها الضعيفة التي تدخل في أحلافٍ مع غيرها لتكون من الحلف كتلة قوية مُهابة تستطيع بها أن تدافع عن نفسها وعن القبائل الحليفة معها[5]، ويقال للقبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها (الارحى) وقد عرفت أربع قبائل بشدتها وبأسها . فقيل لها (رضفات العرب) وهي : (شيبان ، تغلب ، بهراء ، إياد)[6].

---

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص 373 ، سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص411 .

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، ص128 .

(3) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(414-413) .

(4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج4 ، ص313 .

(5) المرجع السابق ، ج4 ، ص 33 .

(6) المرجع السابق ، ج4 ، ص(332-334) .

وقد كانت العصبية تدفع الفرد إلى نصرة إخوانه ظالمين كانوا أو مظلـومين ويعبـر الـشاعر دريد بن الصمة عن ذلك بقوله :

وما أنا إلاَّ من غُزية إن غوت غزية غويت وإن رشدت غزية أرشدُ .

كما كانت العصبية تحمل الفرد مسؤولية أعمال ارتكبها غيره مثل دفع الديّات للقتلـة أو فداء الأسرى من قبيلته ، ولهذا السبب فقد كان لكل قبيلة مجلس مـن شـيوخها يرأسـه شـيخ يتم اختياره بعد أن تتوفر فيه الصفات اللازمة لذلك المنصب مثـل (الـشرف ، التـشدد فـي العصبية ، الغنى ، كبر السن ، النفوذ القوي ، السخاء ، الكرم ، البيـان ، الحكـم ، الحنكـة ، الشجاعة) وهذه الصفات كلها حتى لا يوقع القبيلة في كارثة أو حرب نتيجة لقـرار متـسرع يمكن أن يصدر عنه في ساعة غضب[1]، وهذا مخالف لما كان عليه ملوك الغساسنة الذين لـم يعملوا برأي أحد فكانوا مستبدين برأيهم لا يأخذوا بمشورة أحد إلاَّ إذا كانت المـشورة موافقـة لهواهم ومن شخص قريب منهم ذو أثر عليهم[2].

وفي حديثه عن العصبية عند الإنسان العربي (البدوي) يقول جواد علـي :" والعربـي عصبي المزاج سريع الغضب ، يهيج للشيء التافه ، ثم لا يقف في هياجه عند حد ، وهو أشـد هياجاً إذا جرحت كرامته ، أو انتهكت حرمة قبيلته ، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه ، حتى أفنتهم الحروب ..."[3] .ومن العوامل التي تؤدي إلى نشر العصبية القبليـة هـي رابطـة النسب بين أفراد القبيلة الواحدة والتـي تتطـور لمـا يعـرف باسـم العـصبية القبليـة[4] . ويقول ابن خلدون عندما يتحدث عن العصبية القبلية :" اعلم أن كل حي أو بطن مـن القبائـل وأن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشـد التحامـاً من النسب العام لهم مثل عشيرة واحدة أو أهل بيت واحد أو أخوة بني أب واحد لا مثـل بنـي

---

(1) سالم ، ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص414 .

(2) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص234 .

(3) جواد علي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص266 .

(4) جواد علي، المرجع السابق، ج4 ، ص(313) .

العم الأقربين ، فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام "[1].

وقد ساهم صفاء الأنساب عند القبائل العربية القاطنة في بوادي بلاد الشام والعراق على استمرار العصبية القبلية لديهم والسبب في ذلك انهم كانوا يسكنون في مناطق بعيدة عن المدن الأمر الذي يجعل اختلاطهم مع غيرهم من الشعوب ضعيفاً بل شبه معدوم [2] على العكس من ذلك تماما القبائل التي قطنت في المدن فتطبعت بطباعها وحصل التزاوج بينها وبين سكان تلك المدن من غير العرب فتخلت تدريجياً عن صفاتها البدوية وعن اللغة والرابطة القبلية[3].

6- العفة :

العفة هي الكف عن ما لا يحل ويجمُلُ ، وتأتي بمعنى ضبط النفس مصداقاً لقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً) صدق الله العظيم ، وهي كذلك الكف عن الحرام والسؤال من الناس ، وقيل هي الصبر والنزاهة عن الشيء[4].

أو هي الابتعاد عن الملذات والمجون والنساء ، وقد كانت العفة أحد شروط السيادة عند العرب والتي من خلالها يسود الرجل قومه ، وقد كان العرب يفتخرون بها ، ومن ذلك ما قاله عنترة بن شداد العبسي :

" وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها "[5]

7- الوفاء :

الوفاء ضد الغدر ، يقال : وفى بعهده ، والوفي الذي يعطي الحق ويأخذ الحق ، وأوف الرجل حقه أي أعطاه إياه وافياً[6]. والوفاء من أهم الصفات التي اتصف بها العرب وهي تأتي بعكس الخيانة تماماً ، وقد ضرب العرب أجمل الأمثال بالوفاء بالعهود ، ومن أشهر قصص الوفاء قصة السموأل مع امرؤ القيس ، حيث ضحى السموأل بأحد أبنائه على أن

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص (131).

(2) المصدر السابق ، ص (130-131) .

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص (73) .

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، ج9 ، ص (290) .

(5) سالم ، تاريخ العرب ، ص(444-445) .

(6) ابن منظور ، المصدر السابق ، ج15، ص(358) .

ينكث وعده الذي وعده لأمرؤ القيس ، عندما رفض تسليم درع امرؤ القيس إلى الحارث الغساني مما أدى إلى مقتل ولده وفي ذلك يقول السموال :

"وفيت بذمة الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت "[1]

وكان موضوع نصرة المظلوم يندرج تحت عنوان الوفاء ، لأنه في مجتمع لا قانون فيه إلاّ قانون القوة والعصبية ، كان المظلوم أو المغلوب على أمره يلجأ إلى الأقوياء طالباً نصرتهم له لأخذ حقه من الظالم في نفس الوقت كان المجير يفي بوعده في نصرة المظلوم مهما بلغ الثمن وليس أغلى من الثمن الذي دفعه السموأل في وفائه لإمرؤ القيس[2].

8- الــوأد :

الوأد والوئيد ، هو الصوت العالي الشديد كصوت الحائط إذا سقط ونحوه ، وأد الرجل ابنته يئدها وأداً : دفنها في القبر وهي حية[3]، والوأد من العادات التي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي حيث كان الرجل إذا رزق ببنت حزن حزناً شديداً ، وكانت الغالبية تقوم بدفن بناتهم وهن أحياء ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في تنزيله العزيز بقوله :"وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون"[4]. وفي قوله تعالى :" وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم" [5] .وقد لا يتم الوأد بعد الولادة مباشرة بل يبقي الوالد على المولودة حتى تبلغ تكبر أو تبلغ سن السادسة ثم يطلب من أمها أن تزينها ثم يقوم بعد ذلك بدفنها في حفرة أو إلقائها في بئر وهي حيه وقد تكون في بعض الاحيان عارفة بما ينتظرها وهي ذاهبة مع والدها[6]

اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام العرب قبل الإسلام باستخدام أسلوب الوأد للتخلص من المواليد الجدد لديهم خصوصاً إذا كان المولود أنثى ، ومن أهم هذه الأسباب :

---

(1) الأصفهاني ، الأغاني ، ج19 ، ص (98) ، السندوبي ، شرح ديوان امرؤ القيس ، ص (23) .
(2) عاقل ، النظم في الجاهلية والإسلام ، ص (8) .
(3) ابن منظور ، لسان العرب، ج15 ، ص (190) .
(4) أولري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص (220) . ، سورة الزخرف ، آية17 .
(5) سورة النحل ، الاية (58 –59) .
(6) النعيمات ، الوأد عند العرب ، ص (750)

أ- الغيرة والخوف من العار الذي يمكن أن يلحق بالعربي إذا تعرضت بناته للسبي من قبل العدو ، وقد كان قيس بن عاصم المنقري[1] أول من وأد بناته في الجاهلية وهو من قبيلة تميم[2] فلم يكن ينجو من السبي عند وقوع الحروب أحد حتى الراهبات أو رجال الدين فقد قام المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة بقتل راهبات من غسان كن وقعن بالأسر ليكن قرابين للعزى (صنم كانوا يعبدونه) [3] . وهناك رواية أخرى حول الوأد تبين ان النعمان ملك الحيرة كان السبب في قيام العرب بوأد بناتهم حيث انه قام بعد امتناع بنو تميم بدفع الاتاوه التي كانت مفروضة عليهم للنعمان ، فقام النعمان بإرسال رجاله الذين قاموا بسبي الذراري وعندما طالب بنو تميم برد ذراريهم إليهم جعل النعمان الخيار في ذلك للنساء فمن اختارت زوجها عادت إليه ومن فضلت البقاء بقيت وكان ممن بقين بنت لقيس بن عاصم المنقري أحد زعماء تميم التي فضلت سابيها على زوجها فنذر قيس عند ذلك ان يدس كل بنت تولد له في التراب حتى لا يتكرر معه ما حصل مع ابنته التي بقيت في الحيرة [4] .

ب- الخوف من الفقر والإملاق وذلك امتثالاً لقوله تعالى : "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيرا" [5] .

ج- وجود عاهات أو إعاقات في البنت مثل (الزرقاء ، شيماء ، بدشاء ، كسحاء) بحيث لا يرجى شفائها وبالتالي تصبح عبئاً ثقيلاً على والدها .

د- الشكر لله على نعمه حسب ما كان يعتقد في بعض القبائل وذلك يعود إلى عادات متوارثة عن الفراعنة الذين كانوا كل عام يرمون بفتاة جميلة إلى نهر النيل وذلك تقرباً للإله (حصبي) على الرغم من أن الوأد كان عادة شائعة في العصر الجاهلي إلاّ أنه وجد هنالك من كان يمنعه مثل (صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق الذي أنقذ مائتين وثمانين مؤودة اشترى كل منهما بناقتين وجمل) [6] .

---

(1) سيد بني تميم ، أول من وأد البنات ، أسلم سنة 9هـ ، وتوفى سنة 20هـ .
(2) محمد توفيق ، صورة العادات والتقاليد عند العرب ، ص (170) .
(3) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص (24) .
(4) المرجع السابق ، ج 5 ، ص (91) .
(5) سورة الإسراء ، آية (31) .
(6) النويري ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ج3 ، ص (127) .

لم يكن الوأد في الجاهلية يقتصر على البنات بل تعداه إلى البنين ، حيث كان بعض الجاهليين من الفقراء يقومون بدفن أطفالهم عقب ولادتهم خشية الفقر[1]، وهذه إشارة بان الوأد لم يكن مقتصرا على البنات وحدهن إلا أن حالات واد البنين كانت قليلة مقارنة مع وأد البنات والسبب في ذلك هو أن الحاجة إلى الأولاد اكثر في نظر العربي من الحاجة إلى البنات حيث ان الأولاد هم مصدر قوة القبيلة في حروبها مع غيرها من القبائل وكذلك فهو الذي يقوم بالإنفاق على البنات وتربيتهن [2]ومع ذلك فلم يكن الوأد منتشرا بين جميع القبائل العربية فكان البعض يقوم به في حين أن الغالبية كانت تتركه ومن القبائل التي كان الوأد منتشرا بينها (كندة ، قيس ، هذيل ، اسد ، بكر بن وائل ، خزاعة ، كنانه ، مضر ، تميم التي كانت اشدهم جميعاً) [3] .

9- الرحلة والارتحال في طلب المعاش :

رحل الرجل إذا سار من مكانه ، وقوم رُحل أي يرتحلون كثيراً وارتحل القوم عن المكان أي تركوه وانتقلوا إلى مكان آخرا جديد[4] وقد اشتهر العرب بالترحال من مكان لآخر وذلك بسبب ازدياد الحاجة عندهم للماء والكلأ الامر الذي يضطرهم وباستمرار للتنقل بحثاً عنهما[5] وقد اعتبر التنقل في طلب العيش والسعي وراء الماء والكلأ من أهم الحدود التي فصلت بين الحضارة والبداوة ، ومن هنا ارتبطت البداوة بتربية الإبل فلا يعتني العربي بتربية أي حيوان غير الإبل والسبب في ذلك عدم مقدرة تلك الحيوانات على التأقلم مع جو الصحراء الحار ومن هنا أصبح هم البدوي هو سقوط الغيث واخضرار المراعي ، لذلك فهو يتتبع مساقط الغيث ومنابت الكلأ[6].

---

(1) فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص (53 ، 57) .

(2) النعيمات ، الوأد عند العرب ، ص (753) .

(3) الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج3 ، ص (42) ؛ جواد علي المفصل ، ج5 ، ص (91) .

(4) ابن منظور ، لسان اللسان ، ج1 ، ص (475) .

(5) فروخ ، المرجع السابق ص (57) .

(6) جواد علي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص (277) ؛ بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص (277-286) .

وقد كانت المراعي القليلة المشتتة والتي تحوي القليل من الأعشاب من الأسباب التي كانت تجبر العربي على الرحيل سعياً للحصول على ما يقيت مواشيه وبالتالي ما يقيته هو[1]، فقد يعقب انحباس المطر ظهور الملح في طعم المياه وخصوصاً الآبار والعيون ، حتى قد يصير الشرب منها صعباً ، والزرع عليها غير ممكن ، فيضطر أصحابها عندئذ إلى تركها والارتحال عنها إلى مواقع أخرى ، يحفرون فيها آبار جديدة يكلفهم مالاً وجهداً ، وقد لا يجدون في الأرض الجديدة ماء عذب سائغ للشرب ، وقد لا يجدون فيها ما يكفيهم لشربهم ولشرب حيواناتهم مما يحملهم على الارتحال إلى أرض أخرى ، أو على التشتت والتبعثر بسبب عدم وجود الماء ، ويمكن أن يكون الترحال من أجل المراعي أحد الأسباب التي أدت إلى الهجرة ، والسبب في ذلك أن بعض الحيوانات مثل (الخيول والضأن والماعز والحمير) ، لا تستطيع أن تتحمل العطش والجوع ومشقات الحياة ، ثم هي لا تستطيع تحمل غلظ الأعراب وصعوبة حياتهم لأنها أكثر رقة من الجمل[2]وقد بلغ من شغف العرب واهتمامهم بالماء باعتباره مصدر الحياة لهم داخل الصحراء ، أن استخدموا كل السبل والإمكانيات المتاحة لديهم لتوفيره لأطول مدة ممكنة في العام ، أو حتى يبدأ سقوط الأمطار فقد قام العرب أو الدول القاطنين ضمن أراضيها مثل البيزنطيين ومن قبلهم الرومان والفرس ببناء بعض البرك وحفر الآبار داخل الحصون أو في المناطق التي يمكن تجميع المياه بها شتاءً لتستخدم في الصيف ، ومن البرك التي أنشأها الرومان في المنطقة كانت البركة الشرقية في بصرى وغيرها من البرك المنتشرة في أنحاء بلاد الشام المختلفة ومنها في الأردن بركة زيزياء مثلاً والبركتين في مدينة جرش الأثرية[3].

وقد حدث في الجاهلية ما يحدث اليوم : ينتقل الأعراب بمواشيهم وبيوتهم وكل ما يملكون من باطن الجزيرة العربية في مواسم الجفاف ، فيتوجهون نحو الشمال باتجاه بلاد الشام والعراق للرعي والاكتيال ، فينزلون هناك جماعات حيث يجدون الماء والكلأ في مواضع مختلفة قد تكون بعيدة عن القرى والمدن محصنة في البادية ، أو يتوغلوا في بادية

---

(1) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص(17) .

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج7 ، ص (8 ، 17) .

(3) علي ، النبات والفلاحة والري عند العرب ، ص(60) .

الشام ، ومنهم من كان يمعن في التوغل حتى يصل إلى أقصى الأطراف الشمالية ليدخل في الجزء الجنوبي من أراضي تركيا الحالية/أرمينيا ، فمنهم من كان يستقر في تلك البلاد ويتطبع بعادات أهلها (يذوب) في المجتمع الجديد ، ومن هؤلاء تولد حضر العرب[1]، وبذلك تكون الرحلة بحثاً عن الكلأ والماء قد توقفت بالنسبة لهؤلاء بعد أن قرروا الاستقرار في أماكنهم الجديدة ، فتكون القرية قد قضت على نظام القبيلة لتصبح القرية هي الوحدة الإدارية في بلاد الشام[2].

10- شرب الخمر :

من العادات التي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي بشكل كبير ، وقد أسهب الشعراء في وصفها ووصف أقداحها ولياليها ، وتفاخروا في شربها وتقديمها لأضيافهم ، بل لقد كانوا يعدون الإعراض عنها من الأشياء الكبيرة ، خصوصاً إذا أرادوا الأخذ بثأر أحد أفراد القبيلة ، فها هو عمرو بن قميئة النزاري من شعراء القرن السادس الميلادي ، والذي كان قد رافق امرؤ القيس خلال ذهابه إلى قيصر طالباً نصرته ، يقول في الخمر:

" يا رب من أسفاه أحلامه ... أم قيل : إن همراً سكور
إن أكُ مسكيراً فلا أشرب ... وغلا ولا يسلم مني البعير
والزقُ ملك لمن كان له ... والملك فيه طويل وقصير
فيه الصبوح الذي يجعلني ... ليث عفرين والمال كثير
فأول الليل فتىّ ماجدٌ ... وآخر الليل ضيعان عثور
قاتلك الله من مشروبه ... لو أن ذا مرة عنك صبور " [3]

إلا أنه على الرغم من انتشار شرب الخمر في العصر الجاهلي بشكل كبير إلا أن الإفراط في شربها يؤدي بالشخص الذي يدمن عليها إلى الخلع من القبيلة ، والسبب في ذلك ما يقترفه من رذائل أو جره على القبيلة من أفعال قبيحة ، بعد أن يكون قد أدمن على الشراب[4]،

---

(1) جواد علي، المفصل ، ج7 ، ص(109 – 110) .
(2) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(64) .
(3) عمرو بن قميئة ، ديوان عمرو بن قميئة ، ص (124-127) .
(4) ضيف ، تاريخ الجاهلية ، ص(70-71)؛ عمارة ، الشعر الجاهلي بين القبيلة والذاتية ، ص(21-22) .

هو ما حدث مع البراض ابن قيس الكناني أحد أدلاء القوافل في الجاهلية الذي خلعه قومه وتبرأوا منه ، ونفس الأمر حدث مع طرفه بن العبد الوائلي من شعراء القرن السادس ، وقد ذكر ذلك في معلقته قائلاً :

"وما زال تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وإنفاقي طريف وتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبَّد
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربه ... كميت متى تقل بالماء تزبد"[1]

على الرغم من وجود بعض كروم العنب في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية فقد كانت الخمر تجلب من بلاد الشام ومن بصرى والحيرة وبلاد العراق ، وكان كلٌ من النصارى واليهود أكثر من يشربها[2]، وقد كانت الحاجة لها من الأسباب التي أدت إلى إقامة صلات تجارية مع بلاد الشام لشرائها[3] وقد كانت أسعارها مرتفعة لدرجة أن الأغنياء فقط هم من كانوا يشترونها ويعود سبب ارتفاع الأسعار إلى ارتفاع نفقات النقل من بلاد الشام والعراق إلى الجزيرة العربية ، وقد كانت الخمر تقدم في بلاد الشام داخل الأديرة[4]. وسوف أتحدث بشيء من التفصيل عن الكروم والخمر في الحياة الزراعية في هذا الفصل .

11- المرأة واحترامها :

على الرغم من ان الوأد عند العرب يمكن ان يكون قد اساء لمكانة المرأة العربية الا ان العرب اهتموا بالمرأة بشكل كبير فقاتلوا دفاعا عنها وتغزلوا بها في اشعارهم بشكل ملفت للانتباه وكيف لا ؟ فهي الأم والزوجة والبنت والحبيبة عندهم ، فقامت الحروب من أجلها ومات الكثير حباً وهياماً بها ، وأشهدها البعض على كرمه وشجاعته ، فها هو (عبد يغوث) يقول :

وقد علمت عرس مليكة أنني ... أنا الليث مَعْدُوّاً علي وعاديا

---

(1) الجندي ، طرفه بن العبد ، ص (49 – 50) .
(2) ضيف ، تاريخ الجاهلية ، ص(70–71).
(3) أمين ، فجر الإسلام ، ص(10) .
(4) زغلول ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص(192) .

وقد بلغ من شدة اهتمام العرب بالمرأة أنهم كانوا يقاتلون بكل ضراوةٍ في الحروب حتى لا يهزموا وتسب نساؤهم وبناتهم ، ويوضح عمرو بن كلثوم ذلك قائلاً :

على آثارنا بيض حسانٌ/كرام — نحاذر أن تقسم/تفارق أو تهونا
يَقُتْنَ جيادنا ويقلن لستم — بعولتنا إذا لم تمنعونا
أخذن على بعولتهن عهداً — إذا لاقوا كتائب معلمينا
لتستلبن أفراس وبيضاً — وأسرى في الحديد مقرنينا
إذا لم نحمهن فلا بقينا — لشيءٍ بعدهن ولا حيينا [(1)]

وكان احترام الزوجة من قبل زوجها يظهر من مخاطبته إياها بأحبِّ الألقاب إليها أو يذكرها بشجاعة أهلها مما يزيدها إعجاباً بهم وبزوجها لأن حديثه ذلك هو من مظاهر الاحترام لها ولقومها ، ومن مظاهر الإعجاب بالمرأة انتساب بعض الشعراء لأمهاتهم مثل (عمرو بن ربيعة ، السليك بن سلكه) بل لقد انتسبت قبائل كاملة إلى أسماء نساء مثل قبيلة (ربيعة ، بهراء) وقد شاركت النساء بالحروب إلى جانب الرجال وهذا دليل آخر على شجاعتهن ومن الأمثلة على ذلك (هند بنت عتبه) التي شاركت في معركة أحد وكانت السبب في مقتل حمزة عم الرسول (ص)[(2)].

وقد احترم العرب المرأة بشكلٍ كبيرٍ لدرجة أنهم قبلوا بها ملكةً عليهم مثل الزباء ملكة تدمر (زنوبيا) ، والأميرة العربية ماوية التي ثارت على البيزنطيين وأجبرتهم على الرضوخ لمطالبها بتعيين أحد أفراد رعيتها أسقفاً للنصارى العرب في الشام[(3)].

مما سبق يتبين أن المرأة تمتَّعت باحترامٍ كبيرٍ في المجتمع الجاهلي وإن كان هنالك البعض ممن عاملها معاملةً سيئة .

12- الصيد :

يعتبر الصيد من أوائل الحرف التي مارسها الإنسان منذ أقدم العصور فقد مارسه الإنسان في البدايات الأولى لوجوده على سطح الأرض بهدف توفير الغذاء له ، ثم تطور الأمر

---

(1) عمرو بن كلثوم ، المعلَّقة ، ص (111-115) .

(2) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(150-153).

(3) فهد ، ماوية وضجعم ، مجلة المؤرخ العربي ، ع22 ، 1982 ، ص(183) .

بعد ذلك ليصبح الهدف منه هو إشباع رغبة النفس في المتعة ، وقد وصف بأنه الرياضة القومية للجاهليين ، ويمكن أن يكون الهدف من الصيد هو درء خطر حيوانٍ معين من أن يفتك بالماشية أو بالإنسان ويعتبر الصيد من صفات الرجل الفارس أو الكريم وقد كانت النساء تستحسن من يخرج للصيد ويمتدحنه ، ولم يكن الصيد مقصوراً على فئة معينة من الناس بل كان مباحاً للملوك وعامة الناس ومن أهم ما كانوا يصطادونه (الحوت في البحر ، الضب ، الظبي ، البقر الوحشي ، الحمر الوحشية ، القنفذ الدُلدُل ، ومن الطيور (النعام ، القطا ، الحباري ، القبرة ، والجراد من الحشرات) [1] .

13- الزواج :

يعتبر الزواج من أقوى الروابط الاجتماعية التي تربط بين الرجل والمرأة منذ أقدم العصور ، وهو يقسم إلى نوعين : أ- الزواج الشرعي . ب- الزواج غير الشرعي(الزنا).

لقد فرق العرب في العصور الجاهلية بين النوعين بشكل واضح ويبدو أن الزنا في العصر الجاهلي لم يكن محرماً بشكل واضح كما هو بعد الإسلام فقد حرموا الزنا الظاهر ولم يحرموا ما خفي منه . أما الزواج الشرعي فهو أن يتزوج الرجل بامرأة بعلم جميع الناس وهو النوع الشائع عند المجتمعات المدنية والبدوية على حد سواء . أما الزواج غير الشرعي فقد عرفت أنواع كثيرة منه نذكر منها :

أ- نكاح الرهط : وهو أن يقوم مجموعة من الرجال قد يصل عددهم إلى العشرة (رهط) بمعاشرة المرأة الواحدة ، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى قلة النساء في العصر الجاهلي والتي يمكن أن يكون الوأد سبباً في ذلك .

ب- نكاح الاستبضاع : حيث يقوم الرجل بإرسال أمته أو زوجته إلى أحد الرجال المعروفين بالكرم أو الجاه أو الشجاعة لينكحها أملاً في أن تحمل منه بولد يكون صحيح الجسم أو ذكياً ، وكل ذلك يجري بمعرفة الزوج وعلمه دون أن يصرح بذلك للناس .

ج- نكاح الضمد : وهو أن تحبس المرأة نفسها على رجل أو أكثر غير زوجها تبتغي في ذلك الطعام والمال لتعود بهما إلى زوجها وبيتها ، وقد كان منتشراً في زمان الجوع والقحط .

---

(1) محمد توفيق ، صور العادات والتقاليد عند العرب ، ص(191-235) .

د- نكاح السبايا : وهو أن يتزوج الرجل من وقع في يده في الحرب من النساء بــلا خطبــة أو مهر وقد كان السبي ظاهرة طبيعية في المجتمع القبلي (الجاهلي)، لذلك فقد كــان الخــوف من سبي (زوجة الرجل أو بناته أو أخواته) من الأسباب التي أدت إلى شيوع ظاهرة الــوأد عند العرب في الجاهلية[1].

وقد شاع في المجتمعات القبلية النظام الأمومي (وهو إلحاق المولود بأمه عوضــاً عــن أبيه) والسبب في ذلك أن الأم معروفة فــي حــين أن الأب غيــر معــروف ، وذلــك بــسبب وجود الزواج الشرعي في المجتمع الجاهلي وذلك بسبب كثرة الترحال أو التجــارة أو بــسبب الحروب وما يتبعها من أسر وقتل للرجال وسبي للنساء .

هـ- نكاح المقت : وهو أن ينكح الابن زوجة أبيه في حالة وفاة الأب ، وإن لم يكن للابن بها حاجة يزوجها لمن يشاء ويأخذ مهرها ، وإن شاء لم يزوجها لأحد ويبقيها في بيتها حتى تموت ويرثها .

و- نكاح الأكفاء : وهو عدم تزويج المرأة لغير العربي .

ز- نكاح الاهتجان : وهو شائع في الجاهلية ، حيث يتم تزويج المرأة قبل البلوغ أو تزويج الولد وهو صغير ويسمى في حالة الولد (الالتباء) .

ح- زواج الأقارب : ويسمى الأضواء .

ط- الزواج من عربية غريبة ويسمى الأباعدي أو التفشل .

ي- نكاح العضد : وهو عدم تزويج الابنة أو الأخت مطلقاً .

ك- نكاح المتعة : أو الزواج المؤقت[2].

ل- في حوالي القرن السادس الميلادي ظهر نوع جديد من الزواج وهو الزواج السياسي ، وهو أن يتزوج اثنان من أبناء زعماء القبائل أو ملوك الدول أو الأمراء في سبيل التقارب بــين الطرفين ، فقد تزوج الأسود بن المنذر (452-492م) ابنة عمرو بــن حجــر (ت 490م)

---

(1) محمد توفيق ، صور العادات والتقاليد عند العرب ، ص(349-382) .
(2) السعيدي ، أصل العائلة العربية ، ص(46-52) .

زعيم قبيلة كندة ، والذي فتح بذلك عهداً جديداً من العلاقة مع السلالات العربية علماً بأنه قد كان هنالك حلفاً بين بيزنطة وقبيلة كندة في ذلك الوقت[1] .

2- الحياة الاقتصادية للقبائل العربية في بلاد الشام

امتازت مدن بلاد الشام بمناخها المعتدل الذي ساعد على نشوء الزراعات المختلفة ، وقيام نشاطٍ تجاري جيدٍ فيها ، ساعد هو الآخر على ازدهارها زراعياً واقتصادياً وبالتأكيد اجتماعياً لأن العوامل الثلاث مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً ، فبدون الزراعة سوف يتخلف الاقتصاد وبدون الاقتصاد لن تنمو الزراعة وبدون الزراعة والاقتصاد فسوف يتخلف المجتمع فهي أمور يتمم بعضها الآخر ، ومن هذه المدن كانت (سيكفوبوليس/اللاذقية ، بيبلوس/جبيل ، تير/صور ، بيريتس/بيروت ، قيسارية ، نيابوليس/نابلس ، اللد ، أيرضون ، دمشق ، هيليوبوليس/عسقلان ، غزة ، طرابلس وغيرهن من المدن)[2].

لعب الاقتصاد دوراً كبيراً في حياة القبائل العربية في الجزيرة العربية و بلاد الشام قبل الإسلام على حد سواء ، وقد جاء ذلك لأسباب عديدة منها :

أ- حاجة القبائل للشراء أو المبادلة للحصول على سلع ترغب بها في حين أنها لا تنتجها مثل الخمور والمنسوجات .

ب- حاجة القبائل إلى بيع منتجات مواشيها وذلك أنه من غير المعقول أن يستهلك إنسان وعائلته منتجات الألبان لقطيع ضخم من الإبل أو الأغنام ، فلا بد من بيع ما يزيد عن الحاجة للحصول على مواد غير متوفرة لديه .

ج- اشتغال أفراد بعض القبائل في خدمة القوافل التجارية من حيث تقديم خدمة الحماية أو كدليل مع القوافل .

د- وقوع بعض محطات القوافل ضمن أراضي بعض القبائل ، الأمر الذي أدى إلى انتعاش المنطقة من مختلف النواحي ومساعدة البدو في بيع منتجات حيواناتهم أو إرسالها مع القوافل

---

(1) Trimingham, Chrisrianty among the Arabs P(191).

(2) فرح ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ، ص148.

للبيع وخير مثال على ذلك منطقة دومة الجندل التي كانت تخضع لسيادة قبيلة كلب ونشأ بها سوق من أشهر أسواق العرب قبل الإسلام .

هـ- إقامة الأسواق التجارية الموسمية الأمر الذي كان يؤدي إلى اجتماع أعداد كبيرة من التجار والشعراء ، حيث كان إقامة السوق فرصة سانحة للقبائل والتجار لعرض منتجات كل منهم وللشعراء لإبراز مواهبهم الشعرية[1] .

و- ارتباط القبائل العربية في بلاد الشام بمعاهدات مع الدول الكبرى في المنطقة في ذلك الوقت (الإمبراطورية البيزنطية في بلاد الشام والفارسية في العراق وإيران) تلتزم بموجبها بتقديم الحماية والأدلاء للقوافل وحماية الحدود ومحطات القوافل من هجمات الدول المعادية أو غارات القبائل مقابل مبالغ تدفع سنوياً لسادة تلك القبائل وخير مثال على ذلك إمارة الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق .

وقد كان للتطور الاقتصادي أثره الكبير في إنعاش الحياة الاجتماعية فقامت مدن وازدهرت على خطوط التجارة في مناطق معينة لدرجة أن شهرتها لا تزال تذكر مثل البتراء ، ثم عادت واندثرت عندما تحولت خطوط التجارة عنها .

وسوف يتم تناول المواضيع التالية في الحديث عن الحياة الاقتصادية للقبائل العربية في بلاد الشام :-

أ- مناخ بلاد الشام .

ب- أهم الزراعات في بلاد الشام .

ج- الصناعات في بلاد الشام .

د- التجارة (طرق التجارة والمحطات التجارية) .

هـ-شروط الطرق التجارية

و- أسواق العرب في بلاد الشام قبل الإسلام .

---

(1) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(232-293) .

أ- مناخ بلاد الشام :

تقع بلاد الشام ضمن إقليم البحر الأبيض المتوسط الذي يمتاز بأن مناخه حـار جـاف صيفاً معتدل ممطر شتاءً ،فهي تتألف من شريط طويل وضيق من الأراضي الخصبة يمتد مـن جبال طوروس شمال أو حتى حدود مصر جنوباً ، ومن البحر المتوسط غربا حتى الـصحراء العربية (بادية الشام) شرقا ، وهي تتكون من عدة أشرطة متوازية تمـتد من الـشمال إلـى الجنوب [1] ، وفي حديثه عن رحلته إلى الشام يذكر ابن بطوطة الكثير من الجمل التي يفهم منها أن الشام تمتاز بمناخ لطيف يساعد على نمو الزراعات المختلفة يساعده في ذلك الأنهار والعيون وغيرها من مصادر المياه ومن الأمثلة على ذلك وصفه مدينة نابلس ، "وهي مدينة عظيمة كثيرة الأشجار ، مطردة الأنهار من أكثر بلاد الشام زيتوناً "، ويصف عجلون قـائلاً "وهـي مدينـة حسنة...ويشقها نهر ماؤه عذب"، ويصف مدينة صيدا قائلاً "وهي على ساحل البحـر حـسنة كثيرة الفواكه" ويصف كذلك مدينة طرابلس بقوله "مدينة طرابلس وهي إحدى قواعـد الـشام ، تخترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار" وكذلك حصن الأكراد "وهو بلد صغير كثير الأشجار والأنهار"[2] وهنالك الكثير من الأمثلة التي يوردها ابن بطوطة في وصف لمدن الشام ومواقعـه وذلك كله يدل على حسن مناخه .

وقد اشتهرت بلاد الشام منذ أقدم العصور بربيعها وخصب تربتهـا ، فسلـسلة الجبـال الغربية تمثل كتلة جبلية تبدأ من جبال طوروس في الشمال وتمتد باتجاه الجنوب ، وتتميز بكثرة قراها وينابيعها وحقولها الزراعية ، وتشكل كهوفها خطراً دائماً على القوافل التجارية والرحالة ، بسبب التجاء قطاع الطرق إليها، وذلك لسهولة الاختفاء بين تضاريسها التي تعيق حركة القوافل، وبالتالي تجعل منها هدفاً سهلاً لقطاع الطرق[3] .

أما منطقة السهول فهي تشكل الجزء الأكبر من بلاد الشام والتي من أشهرها : (سـهل البقاع ، سهل الغاب ، سهل مرج بن عامر ، وغيرها) ، وهي في مجملها أرض خصبة للإنتاج

---

(1) عباس، مدن بلاد الشام ،ص (7) .
(2) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج1 ، ص(35-37) .
(3) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص(168-172)

الزراعي وغيره من الصناعات ذات العلاقة[1]، وقد وصف الإصطخري في كتابه المسالك والممالك بلاد الشام ، ووصف زروعها بقوله : " ... وأما نفس فلسطين فهو ما ذكرته ، وفلسطين ماؤها من الأمطار وأشجارها وزروعها أعزاء إلا نابلس ، فإن بها مياه جارية ، وفلسطين أزكى بلدان الشام ، ومدينتها العظيمة الرملة ، وبيت المقدس ، يليها في الكبر ... وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتبع للزروع ، وهو من أخصب بلدان فلسطين ، وفلسطين من أخصب بلاد الشام ، ... وأما الأردن فإن مدينتها الكبرى طبرية وهي بحيرة عذبة الماء ... وبعض الغور من حد الأردن إلى أن تجاوز بيسان ،... وأما جند دمشق فإن قصبتها مدينة دمشق ، وهي أجلّ مدينة بالشام كلها ، وهي أرض واسعة بين الجبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة ، وتسمى تلك البقعة الغوطة ، عرضها مرحلة في مرحلتين ومخرج ماؤها من تحت كنيسة يقال لها الفيجة ، ... وأما بالس فهي مدينة على شط الفرات ... وهي قرضة الفرات لأهل الشام ، وأما منبج فهي مدينة في برية ، الغالب على مزارعها الأعذاء*، وهي حصبة وسكانها عرب ، .. والحدث ومرعش فهما مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما زروع وأشجار كثيرة[2].

ب- الزراعة :

من خلال الأوصاف السابقة لبلاد الشام التي ذكرها الجغرافيون يتضح بأن بلاد الشام تصلح لزراعة مختلف أصناف الزراعات ، ففي الجبال العالية يمكن زراعة أشجار الفاكهة التي تلائم المناطق الباردة ، وفي مناطق السهول يمكن زراعة مختلف أصناف الخضروات والحمضيات ، أما في المناطق شبة الجافة فيمكن زراعة الحبوب على اختلاف أنواعها والتي تعتمد في زراعتها على الأمطار ، أما في المناطق شبه الجافة فيمكن زراعة الحبوب على اختلاف أنواعها ، والتي تعتمد في زراعتها على الأمطار ، أما الأغوار فيمكن أن يزرع بها الأشجار التي تلائم المناطق الحارة مثل (الموز ، النخيل ، قصب السكر وغيرها) ، لذلك فقد وجدت في بلاد الشام الكثير من الكروم والضياع والبساتين ، وقد أدى ذلك إلى قيام صناعات

---

(1) سلمي ، التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، ص27 .

* **الغـذاة** : الأرض الخصبة الطيبة التربة ، الكريمة المنبت التي ليست بسبخة .

(2) الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص (43 – 48) .

تعتمد في إنتاجها على المزروعات المختلفة مثل صناعة (الخمور والفواكة المجففة ، والمنسوجات الحريرية والقطنية) .

وبالنتيجة فإن خصوبة أراضي بلاد الشام سيؤدي إلى وجود الكثير من قطعان المواشي والإبل التي تنتقل بين مراعيها أو في المناطق الزراعية بعد جني محاصيلها باستثناء البساتين ، وهذا سيؤدي كذلك إلى قيام صناعات تعتمد في مصادرها الأولية على منتجات تلك الحيوانات مثل الجلود ، ونسج الشعر والصوف والوبر والألبان وغيرها .

وقد كانت هذه الصناعات والمنتجات الزراعية تنتقل مع القوافل التجارية المغادرة من بلاد الشام بمختلف الاتجاهات ، وذلك بسبب الطلب المستمر عليها في مختلف أقطار العالم القديم وخصوصاً الأقطار الواقعة على طريق الحرير والبخور.

- أهم الزراعات في بلاد الشام :

على العكس من المجتمعات الزراعية في بلاد الشام ، فلم يفكر البدوي بالاشتغال بموردٍ ثابت للرزق يربطه بمكان لا يغادره طوال حياته ، ومن ثم أنف الاشتغال بالزراعة ، فتركها لغيره ممن كان يعتبرهم أقل من البدو أنفة وكبرياء ، وكان مبدأه في ذلك " الذل بالمحراث والمهانة بالبقر والعز بالإبل والشجاعة بالخيل " فهو بذلك يكون قد فضل الصحراء بشكلٍ كبير عن الزراعة وحياة المدن[1] ويمكن أن يكون السبب وراء ذلك هو عدم توفر عوامل الأمن التي يمكن أن تحمي المزارع والمزروع والمواشي . لذلك فقد اقتصر ذلك على المزارع الصغيرة ، وبعكس ذلك فيجب على المزارع أن يكون صاحب نفوذٍ وعصبيةٍ تؤمن له الحماية[2].

ويبدو أن توفر القوة والنفوذ والعصبية هي من الأسباب التي جعلت الغساسنة خلال سكناهم في منطقة حوران يشتغلون بالزراعة ، فأنشأوا لذلك المدن والضياع[3]، ويبدو أن اشتغال الغساسنة بالزراعة أمر مردُّه إلى الخبرة السابقة لهم والتي يبدو أنها انتقلت معهم وعبر أجيالهم المتلاحقة من الخبرات التي اكتسبوها من اشتغالهم بالزراعة في بلادهم قبل هجرتهم منها .

---

(1) علي ، النبات والفلاحة والري عند العرب ، ص(60) .

(2) المرجع السابق ، ص(72-73) .

(3) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(240) .

يمكن تقسيم المزروعات في بلاد الشام إلى :

1- الأشجار المثمرة :

والتي يمكن إدراجها ضمن الأصناف التالية :

أ- أشجار الفواكه (التفاح ، المشمش ، اللوز ، الكرمه[1] ، الجوز[2] السفرجل ، التوت[3]، الرمان[4]، التين[5]، الخوخ[6]) .

<u>(1) الرمان :</u> لم تكن أشجار الرمان في بلاد الشام من الأهمية بحيث تنافس الكروم أو الزيتون ، إلا أنه ومع كل ذلك فقد اشتهرت مناطق في بلاد الشام بجودة رمانها مثل بلدة حارم التي اشتهر رمانها بأنه دون بذور[7]، كذلك فقد اشتهرت بلدة ياسوف من أعمال نابلس بكثرة رمانها[8]، كما زرع الرمان في مناطق أخرى من الشام مثل الغوطة قرب دمشق ، مؤاب (الكرك) ، ومعرّة النعمان ، حلب ، السلط ، شيزر ، عسقلان[9].

<u>(2) التفاح :</u> من المزروعات الهامة في بلاد الشام[10]، وهو ذو أنواعٍ مختلفة.

<u>(3) المشمش :</u> من المزروعات الهامة في بلاد الشام[11]، وكان يدخل في إنتاج الفواكه المجففة التي اشتهرت بها بلاد الشام[12]، ولا زالت ، وقد اشتهرت دمشق بإنتاجه حتى قيل (مشمش جلّق) [13].

---

(1) حتي ، تاريخ العرب ، ص (46) .

(2) فرح ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ، ص (153) .

(3) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص (722) .

(4) حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرن الأول (هـ) ، ص (128).

(5) Hammond, Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، ص (652) .

(7) حسين ، المرجع السابق ، ص (128) .

(8) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج5 ، ص (425) .

(9) حسين ، المرجع السابق، ص(128).

(10) فرح ، المرجع السابق ، ص(153).

(11) حتي ،المرجع السابق ، ص(46) . أصفر ، المرجع السابق، ص(722-723).

(12) Cook, Cambridge ancient history, vol(10), p(400) .

(13) أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج4، ص351 .

(4) <u>اللوز :</u> من المزروعات الهامة في بلاد الشام[1]، وقد اشتهرت البلقاء بزراعته في منطقة أذرح.

(5) <u>الكرمة :</u> من أهم وأشهر المزروعات في بلاد الشام على الإطلاق، وتعتبر من الأشجار القديمة جداً في بلاد الشام والتي تدرُّ على أهلها الأرباح الوفيرة ، دخلت الكرمه في صناعة النبيذ والخمر وقد كان يتم إنتاجه للتصدير من خلال الكثير من الموانئ والأسواق والمحطات التجارية[2]، وسيتم الحديث عن النبيذ في بند الصناعات لاحقاً من هذا الفصل .

ب- **أشجار الحمضيات :** مثل البرتقال ، الليمون وغيرها من الأصناف المشابهة .

جـ- **أشجار النخيل :** امتاز النخيل الذي زُرِعَ حول دمشق بأنه من أجود الأنواع[3]، وقد اشتهرت البلقاء بزراعته في منطقة أريحا[4] زغر وأيله وقد صنف ثمرها بأنه من أجود أنواع التمور . وكان يسمى (الانقلاء)[5]، ويبدو أن النخيل وثماره لم تكن مهمةً كثيراً لأهل الجزيرة العربية بالدرجة نفسها فيما يخصُّ سكان بلاد الشام والسبب في ذلك غزارة إنتاج الجزيرة العربية لهذا المحصول مما أغناهم عن شرائه من بلاد الشام .

2- الحبوب :

اشتهرت بلاد الشام بإنتاج الكثير من المنتجات الزراعية وقد جاءت الحبوب على رأس تلك المنتجات جميعاً ، ومن الحبوب نذكر (الشعير ، القمح[6]، الترمس ، الحلبه ، الكرسنه ، السمسم[7]) والعدس والذره[8]، الشوفان ، الفول ، الحمص ، الأرز[9].

---

(1) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص(54-55) .

(2) حتي ، تاريخ العرب ، ص(46) . أصفر ، الزراعة في سورية ، ص(722-723).

(3) فرح ، نعيم ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ، ص(153).

(4) Hammond, Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(5) خريسات ، المرجع السابق ، ص(54-55).

(6) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ، ج7 ، ص(57-58).

(7) حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرن الأول الهجري ، ص(123-124).

(8) جواد علي، المرجع السابق، ج7 ، ص(57).

(9) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(97).

لقد كانت الحبوب معروفة في بلاد الشام منذ العصور القديمة[1]، والحبوب مفردها الحَبُّ وهو الزرع صغيراً كان أو كبيراً ، ويقال حبه من بُرٌ أو من شعير[2]، ويعتبر القمح من أهم أنواع الحبوب وذلك لأنه مصدر غذاءٌ هام يصنع منه الخبز ، ومن أسماء القمح (الحنطة ، الدقيق ، البُرّ)، ويعتبر القمح غذاء الطبقات الغنية في كلٍّ من الجزيرة العربية وبلاد الشام[3]، وقد اشتهرت البلقاء بزراعة الحبوب وعلى الخصوص (عمان) التي عُرِفَت بأنها معدن الحبوب والأنعام[4] وقد اشتهر من أهل البلقاء الذين كانوا يتاجروا بمحصول القمح تاجرٌ يُدعى (سيماه البلقاوي)* والذي كان بالإضافة إلى عمله كتاجر يعمل شماساً في البلقاء وقد التقى الرسول (ص) وأسلم على يديه[5]، كما كانت غوطة دمشق . سهل حلب ، معرة مصرين من أشهر مناطق زراعة الحبوب في الشام[6]، كما كانت تزرع في (حوران ، الثنية ، شيزر ، حماة ، سهل البقاع ، أنطاكية ، بالس ، الخليل)، ونظراً لغزارة الإنتاج فقد بنيت الأهراء والمخازن لتخزينها تمهيداً لبيعها للتجار والمشترين[7]، نظراً لقلة إنتاجها من الحبوب فقد كان تجار الجزيرة العربية يقومون باستيراد ما يسد النقص لديهم من بلاد الشام [8].

3- الزيتون :

اشتهرت بلاد الشام ومنذ العصور القديمة بزراعة أشجار الزيتون[9]، وقد اعتبر الزيتون من أهم مزروعاتها[10] ويوجد فيه بها أصناف مختلفة ، يصل حجم الحبة من بعضها

---

(1) حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرن الاول الهجري، ص(121).
(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج2 ، ص(221).
(3) جواد علي ، المفصل ، ج7 ، ص(57).
(4) الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص(151).
* سيماه البلقاوي أو سيمويه ، كان نصرانياً فقدم المدينة بالتجارة فأسلم ، روى الطبراني ... قال خبرني سيمويه .. " قال رأيت النبي وسمعت من فمه إلى أذني وحملت القمح من البلقاء إلى المدينة ... " الإصابة في تميز الصحابة ، ج3 ، ص(237-238).
(5) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(54).
(6) حسين ، المرجع السابق، ص(123).
(7) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(97-98).
(8) العاني ، أسواق العرب التجارية ، ص (90) .
(9) سلمي ، المرجع السابق، ص(100).
(10) حتي ، تاريخ العرب ، ص(46).

حجم حبة الجوز[1]، ومن المعلوم أن زراعة الزيتون منتشرة في أغلب أنحاء بلاد الشام وبشكلٍ كثيف[2]، ومن أشهر أماكن زراعته البلقاء في منطقة (أذرح[3] ووادي موسى[4])، نابلس ، الجليل ، طرطوس ، اللاذقية ، أنطاكيه ، إدلب ، حلب ، قنسرين ، ويوجد في فلسطين زيتون كله قديم من زمن الرومان[5]، وفي طرابلس ومدن الساحل خاصةً عسقلان وأرسوف وقيساريه[6].

وقد وصف الثعالبي الشام بأنها أكثر بلاد الله زيتوناً[7]، وقد بلغ من ضخامة إنتاج بلاد الشام من الزيت والزيتون أن الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان قد فرض الضريبة العينية على أهل الشام بالزيت[8]، وكان الزيت المنتج فيها يصدَّر على نطاقٍ واسع وسمّيَ بالركابي[9]، لأنه كان يحمل على الركائب إلى مختلف البلدان[10].

4- زراعات أخرى اشتهرت بها بلاد الشام :

بالإضافة للزراعات الهامة التي كانت منتشرة في بلاد الشام وانتشرت في أنحاء العالم القديم ووصل بعضها إلى الصين عبر طريق الحرير والبخور فقد وجد فيها زراعات أخرى هامة منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

أ- شجر التوت : وكان يزرع ليتم تربية شرانق الحرير عليه (دودة القز)[11].

ب- التوابل : وقد كان يزرع في أنحاء بلاد الشام أنواع مختلفة منها مثل : الزعفران في

---

(1) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص(722).
(2) حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرن الاول الهجري ، ص(125).
(3) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(55).
(4) الحموي ، معجم البلدان، ج5 ، ص(346).
(5) حسين ، المرجع السابق، ص(125).
(6) سلمي ، المرجع السابق، ص(100).
(7) حسين ، المرجع السابق، ص (125) .
(8) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص (101) .
(9) الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص (63) .
(10) حسين ،المرجع السابق ، ص (125) .
(11) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص (722-723) .

جاديه وهي قرية من عمل البلقاء من أرض الشام وإليها ينسب الجادي وهو الزعفران [1] والراوند الشامي في عمان[2].

ج- أشجار التين والفستق[3] والموز[4] وشجر النيل وقصب السكر[5] والخوخ من دمشق[6].

د- الخضار : ومنها الخس ، الثوم ، الخيار ، اللوبيا ،البصل، وتزرع في غوطة دمشق ، وسهل حلب ومعرة مصرين ، وقد اشتهرت عسقلان بزراعة الفجل الذي اعتبر نباتاً خاصاً بسوريا[7].

هـ- الورود والماء الذي يصنع منها (ماء الورد) وقد حمل إلى الحجاز والهند والسند والصين .

و- الفواكه الجافة : (الزبيب ، القطين[8]، المشمش)[9].

- **الأخشاب** : وقد اشتهرت جبال لبنان بإنتاج أصنافٍ ممتازة من الأخشاب وخصوصاً أخشاب الأرز .

هذه بعض الأصناف المشهورة من الأشجار والحبوب والخضار التي كانت تزرع في بلاد الشام وما زالت ، وقد اشتهرت بها وقامت عليها صناعات مختلفة ساهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام قبل وبعد الفتح الإسلامي .

و- الصناعات :

لا بُدَّ لأيِّ بلدٍ أو إقليمٍ يتمتع بموقعٍ جغرافيٍ مميز أو أراضٍ خصبةٍ وموارد طبيعيةٍ غنيةٍ كبلادِ الشام من أن تقوم به صناعات تعتمد في موادها الأولية على تلك المصادر الطبيعية وبالتالي يصبح ذلك البلد سوقاً إنتاجيةً وتصديرية .

---

(6) الحموي ،معجم البلدان ، ج2 ، ص (92) .

(2) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص (55).

(3) أصفر ، الزراعة في بلاد الشام ، ص (722-723) . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج2 ، ص (652) .

(4) حتى ، تاريخ العرب ، ص (46).

(5) خريسات ، المرجع السابق ، ص (55).

(6) Hammond, Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(7) حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام ، ص(125).

(8) Cook ,cambridge ancient history , vol (10) ,P (400)

(9) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(101).

فقد نشأت في بلاد الشام صناعاتٌ تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية والمعادن ، فقد اشتهر النبيذ والخمر والعنب والفواكه المجففة في بلاد العرب ، لدرجة أن الطلب عليه كان مرتفعاً في الجزيرة العربية ، حيث كان يجلب مع القوافل التجارية المتنقلة بين الجزيرة العربية وبلاد الشام في فصل الصيف وبين الجزيرة العربية واليمن في فصل الشتاء .

ومن أشهر الصناعات في بلاد الشام كانت :

1. **صناعة المنسوجات :**

من الصناعات الهامة في بلاد الشام كانت صناعة المنسوجات مثل نسج الحرير الذي كانت تُصنَعُ منه ألبسة الملوك وكبار رجال الدين[1] ونسج الكتان في اللاذقية والعديد من مدن فينيقيا وقرى شمال فلسطين[2] أو الكتان الخالص الذي كان يُضافُ إليه أحياناً خيوط الذهب[3] ونسج الصوف في دمشق[4] وقد كانت بلاد الشام تصدر الجُبَبْ والأردية والأقمصة والأقمشة ، والملابس الخاصة برجال الدين التي كان ينسج عليها الصلبان وأغطية الرأس المصنوعة من مادةٍ مضغوطةٍ من الصوف أو الوبر[5]، والمنسوجات القطنية[6] والكنائن الحمر[7]وهن نوع من الأغطية[8] ، والخيام الخاصة بشيوخ القبائل[9] وكانت المنتجات السابقة تنتج في أماكنَ مختلفةٍ في بلاد الشام منها :

- الكتان : كان ينتج في (اللاذقية والعديد من مدن فينيقيا وقرى شمال فلسطين) [10] ، وقد كان

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج(7) ، ص(598).

(2) Hammond, Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(3)جواد علي ، المرجع السابق ، ج(7) ، ص(598).

(4) Hammond, Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(5) جواد علي ، المرجع السابق ، ج(7) ، ص(598).

(6) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(233).

(7) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(55) ؛ الأكنة الأغطية قال الله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنه) والواحد كنان الكسائي كن الشيء ستره وصانه من الشمس وبابه رد و أكنه في نفسه أسره.

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ،ص (242) .

(9) جواد علي ، المرجع السابق ، ج(7) ، ص(617).

(10) Hammond , op.cit, p(1031) .

الكتان من المحاصيل التي كانت تُزرَعُ محلياً وقد انتشر بسبب شهرته في مختلف أنحاء العالم القديم[1]

- الحرير : واحد من أهم سلع التجارة الشرقية [2] كان ينتج في بيروت وطبريا[3]،وصيدا وسوريا [4] ، وعسقلان وغزة وبعلبك وحمص وحلب وصور ودمشق[5] وقيساريه ونابلس واللد[6]، وقد اشتهر من الحرير النوع الذي يُسمى بالحرير الأرجواني[7].

لم يعرف على وجه الدقة تاريخ دخول الحرير إلى بلاد الشام . حيث كان إنتاجه وزراعته شجر التوت مقتصراً على بلاد الصين في فتراتٍ سابقةٍ ولم يكن يسمح بإخراج دودة القز أو نصائب التوت إلا بعد أن تمَّ تهريبها من قِبَل إحدى ملكات الصين التي زُفت خارج بلادها،إلا أنه يُرَجَّح بأن الحرير كان قد دخل إلى المنطقة في بداية القرن الخامس الميلادي حوالي عام (419م)[8]، وقد قام الإمبراطور البيزنطي جستنيانوس الأول (ق 6م) باتخاذ إجراءاتٍ أدَّت إلى احتكار الدولة البيزنطية لتجارة خيوط الحرير ورفع أسعارها الأمر الذي ألحق أضراراً بالغةً بمصانع النسيج الصغيرة الخاصة وأدَّى إلى إغلاقها[9]، ويعود السبب في ذلك إلى عدم رغبة الدولة البيزنطية في شراء الحرير من الدولة الفارسية وذلك بناءً على نصيحةٍ قدَّمها بعض النُسَاك القادمين من الهند للإمبراطور جستنيان وقد وعدوه في الوقت ذاته بأنهم سوف يقومون بإمداده بالمواد اللازمة لصناعة الحرير حتى لا يصبح على البيزنطيين لِزاماً أن يقوموا بشراء الحرير من أعدائهم (الفرس) أو من أي أناس آخرين ، وأنهم قد تعلموا صناعة الحرير في إحدى مراكز إنتاجه وتدعى (سيرندا/Serenda)، وأن بعض أنواع الدود (دودة القز) هي التي تنتج الحرير ، إلا أنه لا يمكن أن يتم إحضارها على قيد الحياة من الهند

---

(1) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص(722-723).

(5) سحاب ، إيلاف قريش ، ص (100)

(3) Browning, Justinian and Theodora, p(242) .

(4) Kazdhan, Oxford Dictionary Byzantine, p (1896-1898) .

(5) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(110).

(6) Kazdhan, op.cit, p (1896-1898) .

(7) Cook, Cambridge ancient history, p(400) .

(8) جواد علي، المفصل ، ج(7) ، ص(617).

(9) المرجع السابق ، ج(7) ، ص(617).

بسبب بعد المسافة إلا أنهم سوف يقومون بإحضار بيوضها التي تعتبر سهلة النمو ، حيث أنهـا تتغذى على أوراق شجر التوت ، ومنذ أن قاموا بإحضار تلك البيوض ، فقد ابتـدأت صـناعة الحرير في الإمبراطورية البيزنطية ، وفي سنة (540م) وبعد انتهاء الحروب الفارسية الثانيـة توقف استيراد الحرير من بيروت وطبريا وبقيت المصانع تحت سيطرة الدولة ، فقد قام وزيـر المالية في الإمبراطورية البيزنطية ويدعى (بيتر باريسيميس) بطرد التجار والمـصنعين لمـادة الحرير ، حيث بدأ بتزويد الأسواق بالحرير من مصانع الدولة (التابعة للإمبراطورية) ، إلا أنه سرعان ما استولى على العديد من المصانع الخاصة مع عمال الحرير الموجـودين بهـا وقـام بتشغيلها لحساب الدولة .

2. الصناعات الغذائية :

تعتبر صناعة المنتجات الغذائيـة فـي بـلاد الـشام صـناعة ثانويـة مقارنـةً مـع صناعة المنسوجات ، والسبب في ذلك يمكن أن يكون اهتمام الناس ينصب على أنـواع معينـة من المنتجات دون غيرها ، ويمكن مقارنة الاهتمام بصناعة المنسوجات في بـلاد الـشام دون غيرها باهتمام العالم اليوم ببترول الخليج دون أي مادة أخرى تنتج في المنطقة .

ومن الصناعات الغذائية المنتجة في بلاد الشام والتي كانت موضع اهتمام العـرب فـي الجزيرة العربية (الخمور ، الطحين ، الحبوب على اخـتلاف أنواعهـا ، الزيـت الزيتـون ، السكر ، الزبيب) ، وقد كانت القوافل التجارية تحمل هذه السلع في طريق عودتهـا مـن بـلاد الشام (رحلة الصيف) ، وقد دلت الحفريات التي قامت بها دائرة الآثار العامة على وجود الكثير من معاصر إما للزيتون أو للعنب في مناطق مختلفة من الأردن مثل زغر ومآب[1].

3. صناعة الأسلحة والمعادن :

اشتهرت بلاد الشام في صناعة الأسلحة وخصوصاً السيوف والتي تميزت بها المنطقـة الجنوبية من البلقاء وذلك لتوفر معدن الحديد[2] والنحاس حيث اشـتهرت بـلاد الـشام بجـودة

---

(1) أصفر ، الزراعة في سورية ، ص(722-723).

(2) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(55).

حديدها ، وقد قامت على هذه المعادن صناعات حربية مثـل (السـيوف ، الخـوذ ، السـهام ، والدروع)[1]، وقد قامت هذه الصناعات في الجزء الجنوبي من بلاد الشام مثل :

أ- مشارف : قرية من قرى البلقاء - وهي تقع اليوم ضمن محافظة الكرك في جنـوب الأردن، إليها تنتسب السيوف المشرفية وبها التقى الجيش الإسلامي في غزوة مؤتة مع جموع الروم[2]، ويذكر (فيليب حتى) أن الحصول على السيوف المشرفية من الأسباب التي كانت وراء غـزوة مؤتة [3].

ب- مؤتة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، وقيل مؤتة من مشارف الشام ، وبها كانت تطبع السيوف وقد نسبت إليها[4]، وفي ذلك قال كُثير عزة :

إذا الناس ساموكم من الأمر خطـة   لها خطـة فيهـا السـمام المثمـل

أبـى اللـه للشـم الأنـوف كلهـا   صوارم يجلوهـا بمؤتـة صيقـلُ

ج- الشراه : وهي من أراضي البلقاء وإليها تنسب السيوف الشروية[5].

د- بصرى : من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحـديثا[6] ذكرها كثير من الشعراء في أشعارهم :-

صفائح بصرى أخلصتها قيونها   ومطرداً من نسج داود محكماً.

وقد كانت القوافل التجارية العائدة من الشام تجلب معها من أنـواع الأسـلحة (السـيوف ، التروس ، رؤوس الحراب ، والرماح) وذلك مقابل ما كانت تحمله للشام من بضائع[7].

ومن الصناعات التي تدخل بها المعادن كانت صناعة الموازين والمكاييل والشبابيك والأقفال وأقداح الشراب وغيرها.

---

(1) حتي ، تاريخ العرب ، ص(203).

(2) الحموي ، معجم البلدان ، ج(5) ، ص(131).

(3) حتي ، المرجع السابق، ص(203).

(4) الحموي ، المرجع السابق، ج(5) ، ص(220) .

(5) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(55).

(6) الحموي ، معجم البلدان، ج1 ، ص (441) .

(7) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(236- 237).

4. صناعات أخرى :

إلى جانب الصناعات السابقة وجدت هنالك أنواع أخرى من الصناعات في بلاد الشام منها :

أ- صناعة الزجاج : من الصناعات المشهورة بالشام ، كانت صناعة الزجاج . اشتهرت به دمشق ، وقد حمل الزجاج والأواني الزجاجية إلى بيزنطة ، وقد اشتهرت بلاد الشام أيضاً بصناعة المرايا والقناديل ، ومن أشهر مراكز إنتاج الزجاج كانت مدينة حلب ، وبيت المقدس[1]، وصيدا[2].

ب- صناعة الجلود والاتجار بها : نظراً لكون القبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة العربية كانت تهتم بتربية الماشية فإنه لا بد وأن تتعامل بجلود تلك المواشي بعد ذبحها سواءً لتستخدمها هي أو من أجل الاتجار بها ، وقد كان الأدم من أهم صادرات قريش ، وكان يستخدم كهدايا ثمينة للملوك وزعماء القبائل[3].

ج- زيت الزيتون : وهو من أهم حاصلات بلاد الشام الزراعية وقد ورد الحديث عنه سابقاً عند الحديث عن الأشجار في بلاد الشام .

د- الرخام : من المواد التي تستخدم في أعمال البناء ، وقد كان يتم إنتاجه على الساحل الفلسطيني واللبناني[4].

هـ- صناعة الطواحين : اشتهرت البلقاء بصناعة الطواحين ، وقد ساعدت وفرة المياه على انتعاش هذه الصناعة[5]، ويذكر ياقوت أنه كان بعمان عدة أنهار وأرحية (طواحين) يديرها الماء[6].

(د) التجارة :

أدى تطور الصناعة في مدن الإمبراطورية البيزنطية الشرقية ، وبخاصة مدن مصر

---

(1) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(106- 108).

(2) Hammond, Oxford Classical Dictionary .

(3) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(235) . جواد علي، المفصل ، ج(7) ، ص(305).

(4) Hammond , Oxford Classical Dictionary, p(1031) .

(5) خريسات ، البلقاء من الفتح الإسلامي ، ص(55).

(6) الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص(131).

وبلاد الشام إلى ازدياد النشاط التجاري فيها ، الأمر الذي أدى ازدهار الصناعة في تلك المدن ، إضافة إلى امتداد خطوط التجارة من السواحل الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط لتتوغل شرقاً في أعماق قارة آسيا وشمالاً باتجاه الأراضي البيزنطية (خارج ولاية سوريا) وجنوباً حتى اليمن ، في أقصى جنوب غرب الجزيرة العربية ، وقد كانت هذه الخطوط تخضع لسيطرة شعوب مختلفة مثل (اليونان ، السوريون ، الفرس ، السند ، الأتراك ، الهنود ، الصينيون ، العرب) هذا إذا علمنا بأن الخطوط في منطقة آسيا الصغرى وبلاد الشام وشمال بلاد ما بين النهرين تخضع للسيطرة والنفوذ البيزنطي . وقد كانت مدن بلاد الشام من المراكز التجارية والصناعية الهامة للتجارة العالمية في ذلك الوقت ، فقد كانت إنطاكية العاصمة الساحلية لسوريا فقد امتازت بنشاط تجاري واسع ، ومن المراكز التجارية الهامة في بلاد الشام أيضاً كانت (صيدا ، صور ، بيروت ، سلوقية ، أنطاكية ، اللاذقية)[1].الجزيرة العربية إلى مصر مروراً بالبلقاء وفلسطين ، وقد كان يعبر بها (طريق مارس) الذي كان يبدأ من دمشق ليصل في نهايته إلى طريق القوافل التجارية [2]القادمة من وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية وقد أبدى القادة البيزنطيون عناية خاصة في التجارة من خلال اهتمامهم بالطريق التجاري الواصل بين أيله وتدمر[3]، وقد ساهم الموقع الجغرافي المميز لبلاد الشام في جعلها محطةً تجاريةً هامةً على طرق التجارة الدولية في ذلك الوقت ، فهي تقع في نقطةٍ متوسطةٍ بين الشرق والغرب . حيث تعتبر موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط المحطة النهائية للقوافل القادمة عبر طريق الحرير من أواسط قارة آسيا ، والقادمة عبر طريق البخور من بلاد اليمن والموانئ الجنوبية للجزيرة العربية ، وقد كانت هذه الموانئ إضافةً لكونها مكاناً للتبادل التجاري تعتبر مركزاً للتبادل الثقافي بين العرب وغيرهم من الشعوب[4]، إلا أنّه وجد هنالك عدة عوامل ساهمت مساهمةً فاعلةً في ازدهار التجارة في بلاد الشام ، ومن هذه العوامل :

1- <u>طرق التجارة</u> : ارتبطت بلاد الشام مع المناطق المجاورة بشبكةٍ من الطرق البرية

---

(1) فرح ، نعيم ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ، ص(148).

(2) خريسات ، تاريخ الاردن ، ص(55).

(3) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(316).

(4) يحيى ، المرجع السابق ، ص(306-307).

(داخلية وخارجية) والطرق البحرية ومن أهم هذه الطرق وأشهرها على الإطلاق كانت :

أ- **طريق الحرير** : وهو طريق تجاري عظيم نقلت من خلاله إحدى أهم السلع التجارية التي كانت محطَّ اهتمام الأغنياء والأسر الحاكمة والتجار في أوروبا وهذه السلعة هي (الحرير)[1]، وقد كان هذا الطريق هو طريق الاتصال بين البحر المتوسط والصين[2]، ويرجع استعماله إلى القرنين الأول والثاني للميلاد[3]، ويعتبر طريق الحرير إضافةً إلى صفته التجارية من أهم شرايين التواصل بين الحضارات الواقعة عليه[4].

يبدأ طريق الحرير من وادي (هوانجهو) شمال الصين ثمَّ يتفرع بعد ذلك إلى فرعين أحدهما يتجه إلى هضبة سنكايج ويمرُّ ببلاد شرش وخوتان وكشغر ، والفرع الثاني يتجه إلى الشمال ومنه يسير عبر ممر زنجاريا الذي ينحصر بين جبال تيان شان . ثم يعود الفرعان للالتقاء من جديد عند خوقند ، ويواصل بعد ذلك امتداده عبر واحات الصغد (سمرقند وبخارى) . ومنها يتجه إلى بُخارى ومنها إلى مرو ويمر بإقليم خراسان (بمدينة نيسابور) ثم يتابع مسيره حتى الري ثم هران ومنها إلى بغداد ثم يتفرع إلى فرعين يتجه الأول نحو الموصل باتجاه القسطنطينية والثاني عبر الفرات إلى جسر منبج ثم منبج ومنها إلى حلب فأنطاكية المحطة النهائية على ساحل البحر المتوسط[5].

وتعتبر بلاد الشام المرحلة النهائية من مراحل طريق الحرير ، ومن أهم محطاته بها البتراء والتي تعتبر حصن طبيعي يشكله وادي ضيق تحتمي به القوافل بعد عبور الصحراء ، حيث تتقاطع عندها طرق التجارة إضافةً إلى قربها من ميناء أيله (العقبة) عند الرأس الشمالي لخليج العقبة على البحر الأحمر ، ومنها كانت تنطلق القوافل إلى سواحل البحر المتوسط وإلى غزة ومصر[6]، ومن السلع التي كان يحملها التجار على هذا الطريق (خشب الصّبار ،

---

(1) حتي ، تاريخ العرب ، ص(412).
(2) إيرين ، طريق الحرير ، ص(13).
(3) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(35) أيرين ، المرجع السابق ، ص(13).
(4) Tadao, Significance of Silk Road, p(1) .
(5) سلمي ، المرجع السابق ، ص(35-37).
(6) أيرين ، المرجع السابق ، ص(46-47).

الفلفل الطويل[1]، الورق ، الطباعة ، الحرير ، أصـــناف الـــورود ، الفواكـــه[2]) وقـــد كانـــت البضائع على هذا الطريق تحمل على قوافل متعددة تقوم كلٌ منها بإيصال البضائع إلـــى نقطـــةٍ معينة وذلك بالتناوب[3].

1- طريق البخور/1 :

وهو طريق ينطلق من اليمن باتجاه الشمال بمحاذاة البحر الأحمر وكانت محطته النهائية هي منطقة سوريا والموانئ الشرقية للبحر المتوسط[4]، ويعتبر طريق البخـــور طريـــق قوافـــل داخلي عظيم يبدأ من جنوب الجزيرة العربية قاطعاً إيَّاها شمالاً حتى دمشق ، ثم يتـــابع ســـيره شمالاً ليصل إلى حلب وأنطاكيه[5].

2- طريق البخور/2 :

طريق تنطلق من تمنع عبر الحدود الشمالية لمنطقة سبأ ثم إلى مكة التي كانت إحـــدى محطات القوافل ومركز تجاري هام ثم شمالاً إلى (ديدان[6] العُلا) ثم إلى مدين ثـــم إلـــى أيلـــه (العقبة) ومن ثم إلى البتراء ومن هناك تتفرع إلى طريقين أحدهما يتجـــه شـــمالاً إلـــى تـــدمر والآخر يتجه إلى غزة على الساحل الفلسطيني[7].

3- الطريق من مكة إلى فلسطين (التبوكية) :

وهي الطريق التي كانت تنطلق من مكة باتجاه فلـــسطين وهـــي تمـــر بـــالقرب مـــن المدينة المنورة وكان المسافرون يسلكونها للسفر من مكة إلى المدينة ثم إلى بلاد الـــشام وهـــي تمر في مكة وخيبر وتيماء وتعبر غرب دومة الجندل إلى وادي السرحان حتى بصرى[8].

---

(1) Miller, Spice Trade, pp(148-149) .
(2) أيرين ، طريق الحرير ، ص(14).
(3) حتي ، فيليب ، تاريخ العرب ، ص(412).
(4) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(314).
(5) إيرين ، المرجع السابق ، (47).
(6) يحيى ، المرجع السابق ، ص(314).
(7) يحيى ، المرجع السابق ، ص(314).
(8) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(14).

4- طريق عرضي يمتد في أقصى شمال شبه الجزيرة العربية وهي تشكل امتـداداً صـحراوياً لطريقٍ تجاري يبدأ من الرمادي على نهر الفرات ويسير بمحاذاة النهر حتى ماري بالقرب مـن منطقة (أبو كمال) على نهر الفرات ثم تمتد غرباً إلى تدمر ومن هناك تمتد إلى حمص ثم إلـى الموانئ الفينيقية ثم دمشق[1]، - التي أصبحت بسبب موقعها ووفرة المياه فيهـا قلـب شـبكة المواصلات في بلاد الشام حيث تلتقي فيها الطرق الطولية والعرضية القادمة من داخـل بـلاد الشام أو من خارجها[2]-، ومن دمشق تتجه الطريق إلى فلسطين ، وقد ساهمت تدمر في إقرار الأمن على هذه الطريق التي كانت مهددةً بشكلٍ شبه دائم بسبب غارات القبائل البدوية عليها[3].

5- طريق تراجان :

من أشهر طرق التجارة في بلاد الشام ، كان قد أمـر ببنائـه الإمبراطـور الرومـاني تراجان في القرن الثاني الميلادي (110م–111م) وهو يصل بين مدينـة تـدمر فـي أقـصى شمال شرق بلاد الشام مع العقبة/أيله في أقصى الجنوب الغربي من بلاد الـشام علـى سـاحل البحر الأحمر (خليج العقبة)[4]، وهو يعبر عن الاهتمام الكبير الـذي أولاه الأبـاطرة والقـادة الرومان والبيزنطيون حيث قاموا بتحديث وتطوير الطرق في كافة أنحاء بـلاد الـشام فبنـوا الطرق الجديدة وفق مواصفات معينة لديهم تجعلها صالحةً للاستخدام بشكلٍ ممتـاز (عـسكرياً ومدنياً) وقاموا كذلك بوضع إشاراتٍ للمسافات عليها ، وقد كانت بـصرى هـي مركـز هـذه الطرق التي كانت في أغلبها تتجه نحو الجنوب[5].

اعتبرت طريق تراجان وما تفرع عنها من طرق القاعدة الأساسية لمجموعـة الطـرق القديمة والحديثة في المنطقة بما في ذلك طريق الحج الشامي.

وقد وصف الأستاذ صالح درادكه طريق تراجان من خـلال بحثـه الميـداني خـلال حديثه عن طريق الحج الشامي بما يمكن تلخيصه بما يلي :

---

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمه ، ص(343).

(2) درادكة ، طريق الحج الشامي ، ص(54).

(3) يحيى ، المرجع السابق، ص(323).

(4) نفس المرجع، ص(314-315).

(5) درادكة ، المرجع السابق ، ص(55،51).

أ- طريق مرصوف بالحجارة مما يسهل مرور العربات عليه بحيث لا تغور عجلاتها بالرمال أو الطين .

ب- الطريق مصمم للسير عليه باتجاهين الأمر الذي يسهل مرور قافلتين بنفس الاتجاه أو باتجاهين متعاكسين دون أن يحدث ازدحام على الطريق .

الطريق مفصول من الوسط بما يمكن أن يسمى اليوم بالجزيرة الوسطية مما يسهل مرور القوافل وخصوصاً الجمال المحمَّلة دون أي احتكاكٍ بينها[1]، والصورة المرفقة توضّح ذلك . هذه كانت صفات الطريق أما محطاته أو امتداده فهو يمتد من شمال سوريا إلى مدينة دمشق[2] ثم يمتد إلى بُصرى حيث يخرج من البوابة الغربية لها ليتفرع إلى فرعين :

1- فرعٌ يتجه غرباً إلى (درعا – جرش) من الرمثا – خربة كبر – وادي وران – الكوم – حول ثغرة عصفور من وادي عصفور – خربة بصاص الروم – البركتين – وادي الدير – جرش من البوابة الشمالية .

2- فرع يتجه جنوباً إلى عمان . ومنها إلى مؤاب ثم البتراء حتى يصل إلى أيله (العقبة) على الرأس الشمالي للبحر الأحمر[3].

الشروط الواجب توفرها في طرق التجارة :

لا يعتبر كل طريقٍ تسلكه القوافل التجارية طريقاً تجارياً بالمعنى الصحيح ، فهناك شروط يجب أن تتوفر في ذلك الطريق ، تؤدي في مجموعها إلى اعتماده كطريقٍ تجاري داخلي أو خارجي ، وهذه الشروط هي :

أ- توفر المياه العذبة لتزويد القوافل بالمياه اللازمة ، ويمكن توفر هذه المياه من خلال (الآبار ، الينابيع ، البحيرات ، الأنهار ، البرك ، أنابيب المياه الفخارية) التي كانت قد استخدمت من قبل الأنباط .

---

(1)درادكة ، طريق الحج الشامي ، ص(56) والملحق ( ) المرفق يبين صورة لمقطع من الطريق توضح وصف الأستاذ الدرادكة للطريق.

(2) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(31).

(3) سلمي ، المرجع السابق ، ص(31). درادكة ، المصدر السابق ، ص(57-66).

ب- ابتعاد الطريق عن المناطق الجبلية الصخرية لتسهيل التنقل والحركة وتوفر الأمن لأن احتمالية اختفاء قطاع الطرق بين الصخور واردة .

ج- توفر الحصون والقلاع والمواقع المحمية وذلك لحماية القوافل من الهجمات المفاجئة من قطّاع الطرق أو القبائل الواقعة حول الطريق مثل (حلب ، الكرك ، دمشق ، حمص ، عسقلان ، صور ، الخناصرة على سيف الصحراء)(1)، حيث أن عدم توفر عامل الأمن بسبب الحروب البيزنطية الفارسية في أوائل القرن السادس الميلادي في عهد الإمبراطور أنستاسيوس (491م-515م) كان من الأسباب التي أدَّت إلى تحوُّل طريق التجارة من شرق الجزيرة العربية إلى غربها ، ذلك أن الطريق في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية كانت هدف الهجمات التي كانت تستهدف بشكلٍ خاص محطات القوافل(2).

كما أنه وبسبب الاضطرابات الأمنية التي كانت تقع أحياناً فقد كان يتم تجميع أكبر عددٍ من الإبل في قافلة واحدة خاصةً إذا كانت تحمل سلعاً ثمينة وكان يرافقها عددٌ كبيرٌ من الحراس ليقوموا بواجب الحماية من قطّاع الطرق ، لذلك أصبح لزاماً على التجار العمل بنظام القوافل التي كانت تقوم بحماية نفسها ، إضافة إلى استرضاء كبار سادات القبائل وذلك للحصول على حمايتهم ضمن أراضيهم(3).

د- وجود الحمامات والفنادق أو الخانات والتي كانت تقوم بتقديم خدمات الاستراحة للقوافل والمبيت للمرافقين عند الحاجة .

هـ- الأحلاف التجارية التي تعتبر أهم الشروط جميعاً حيث أنه عند عدم توفرها فإنه لن يتوفر الأمن للقوافل ومن أشهر هذه الأحلاف كان حلف (الإيلاف) بين قريش والإمبراطورية البيزنطية والقبائل الواقعة على طريقي تجارتها باتجاه الشام واليمن(4) ، وقد كانت هذه الاحلاف تعتبر اتفاقيات امنيه تجاريه بين القبائل الهدف منها هو الحفاظ على امن القوافل التجارية اثناء عبورها في اراضي القبائل الداخله في تلك الاحلاف وقد كانت هذه القبائل تحمل في نفس الوقت

---

(1) سلمي ، التجارة في بلاد الشام ، ص(30-34).

(2) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(193-194) ، بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص(260).

(3) جواد علي، المفصل ، ج7 ، ص(319-320).

(4) سلمي ، المرجع السابق ، ص(30-34)، للمزيد من المعلومات أنظر فكتور سحاب ، إيلاف قريش .

بعض السلع التي ترغب القبائل في بيعها فكان التجار يقومون ببيع تلك السلع في الاسواق التي يقصدونها مقابل خدات الحماية التي تقدمها القبائل لهم ولقوافلهم ، وبذلك كانت الشروط السابقة للطرق من عوامل ازدهار التجارة الداخلية والخارجية في بلاد الشام والجزيرة العربية وقد أدَّت إلى انتعاش حركة المسافرين والقوافل على الطرق التجارية والتي قدمت خدماتٍ كثيرة للدولة البيزنطية في الشام والقوافل والقبائل العربية في الجزيرة العربية ومن هذه الخدمات :

1- حماية القوافل التجارية وبالتالي حماية مصالح الدولة الرومانية ومن بعدها البيزنطية والقبائل العربية داخل وخارج بلاد الشام وكل من يستخدم تلك الطرق .

2- تسهيل انتقال الجيوش مما يساهم في نشر الأمن في مختلف مناطق الإمبراطورية البيزنطية وبالتالي منع أي تمرُّد أو ثورة يمكن أن تقع .

3- منع البدو من تهديد المناطق الزراعية والمدن الحدودية وذلك بسبب السرعة العالية التي ستتحرك بها القوات العسكرية لمنع أيّ اعتداء بوجود الطرق الجيدة[1].

(هـ) أسواق العرب في بلاد الشام قبل الإسلام :

ليس من المنطق أن يقتصر التبادل التجاري بين بلاد الشام والجزيرة العربية على محطات القوافل أو الموانئ البحرية فقط ، بل لقد أقام العرب أسواقاً موسميةً ، تقصدها القوافل من داخل وخارج الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وبعض هذه الأسواق كان يُقام في محطةٍ معينة من محطات القوافل أو في أحد الموانئ البحرية على ساحل البحر المتوسط .

ومن أشهر هذه الأسواق والتي ضربت شهرتها في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ما يلي :

1- دومة الجندل (الجوف حالياً) أو دوماء الجندل[2]:

بلدٌ يقع في نقطةٍ متوسطة بين الشام والخليج العربي والمدينة على منتصف الخط الواصل بين العقبة والبصرة[3]، ورد ذكرها في نص أكدي كإحدى المدن التي استولى عليها

---

(1) درادكة ، طريق الحج الشامي ، ص(57).

(2) العاني ، أسواق العرب التجارية ، ص (47-52) .

(3) الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص(38) ، الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(231) ، يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(322 ، 384).

سنحريب الملك الآشوري (704-681ق.م)[1] وكانت محطةً هامة من محطات القوافل التي تزود المسافر بما يحتاجه من الماء والغذاء[2]، وكان يُقام بها سوقٌ تجاري هو أول سوق يقام في العام بعد انقضاء الأشهر الحُرُم ويكون موعدها في أول ربيع الأول وحتى منتصفه ، وقد كانت السوق لكنانه من كلب أو لغسان[3]، كانت قبائل العرب تنزلها في أول يومٍ من ربيع الأول للبيع والشراء ، وكان البيع فيها يتم بالحصاة[4]، ويمكن أن يكون السبب في ذلك هو اجتماع أعداد كبيرة من الرجال لشراء السلعة الواحدة فأيهم رضي بالسعر رمى حجر[5].

كانت سوق دومة الجندل تخضع لإشراف أمراء من العرب وكان رؤسائها إما من كلب أو من غسان (حسب القبيلة المسيطرة على السوق)، وكانت السيطرة فيها خلال فترة انعقاد السوق إما للملك أكيدر العبادي من السكون أو للملك قنافة الكلبي ، وكانت السيطرة تتم بأن يتحاجيا فأيهما غلب صاحبه بما يلقي عليه تركه والسوق يفعل بها ما يشاء[6]، فإذا كانت الغلبة للسكون وكان أكيدر مسيطراً كان يقوم برعاية الناس في اليوم الأول وكانت السوق تدوم إلى منتصف الشهر ، أما إذا كان قنافة الكلبي هو المسيطر فكانت السوق تدوم إلى آخر الشهر[7] .

أما العشور فكانت تجبى لصالح الملك المسيطر على السوق[8].ومن أجل تأمين الحماية للقوافل التجارية فقد كان التجار القادمون إلى السوق وتجنباً لعمليات السلب أو النهب يلجئون إلى حماية القبائل القاطنة على الطريق التي يريدون عبورها ، إلا تجار قريش ، فلم يكونوا

---

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(322).

(2) جواد علي، المفصل ، ج(7) ، ص(373).

(3) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(284) ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(270).

(4) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(236) ، البغدادي ، المحبر ، ص(266).

(5) سحاب ، المرجع السابق، ص(284).

(6) البغدادي ، المرجع السابق ، ص(263).

(7) جواد علي، المفصل ، ج(7) ، ص(372).

(8) البغدادي ، المرجع السابق ، ص(263) ، جواد علي، المرجع السابق، ج(7) ، ص(372).

يلجئوا لأحدٍ والسبب في ذلك حلف الإيلاف الذي كان يؤمن الحماية لهم ولتجارتهم مع القبائل تحالفت مع قريش بموجبه[1].

ومن السلع التي كانت تباع في هذه السوق كانت (اللبان ، المُهر ، اللادن ، العقيق اليمني ، العطور ، الذهب ، العاج ، خشب الأبنوس ، الرقيق ، القمح المصري)[2]، ومن العادات السيئة التي كانت تُمارَسُ في السوق كانت عادة البغاء من قبل الإماء العائدات لقبيلة كلب اللواتي كن يجبرن على ذلك مقابل أجور كانوا يأخذونها[3]، وكانت العشور يجبى في السوق لصالح الملك الذي يُسيطر عليها في عام انعقادها[4] ، وكان لا يتم في السوق بيع ولا شراء إلا بإذن الملك المسيطر على السوق حيث كان الشراء في السوق يبدأ بعد أن يبيع الملك كل شيءٍ يريد بيعه[5].

- سوق دير أيوب :

دير أيوب : قرية بحوران من نواحي دمشق يُزعم أنها كانت مسكن النبي أيوب عليه السلام[6]، وهي شمالي بصرى وغرب أذرعات (درعا) وتعرف اليوم باسم (شيخ سعد) وفيها عين ماء ، وسوقها هو أول أسواق الشام قياماً ، وقد كانت القبائل بعد أن تنتهي من أسواقها وتعود منها تنظم قوافلها استعداداً للسفر إلى الشام[7]، وكانت قريش تقصدها بقوافلها ، وكانت هذه السوق تحت السيطرة البيزنطية[8]، حيث كانت الدولة البيزنطية قد وضعت ما يمكن أن يُسمى بالتعليمات للأسواق منها :

أ- إنجاز المعاملات التجارية مع العرب على الحدود السورية .

ب- تحديد عدد التجار في المدن السورية .

---

(1) العاني ، أسواق العرب التجارية ، ص (47-52) .

(2) سحاب ، ايلاف قريش، ص(384).

(3) جواد علي، المفصل ، ج(7) ، ص(372).

(4) البغدادي ، المحبر ، ص(263-264) ، جواد علي، المرجع السابق ، ج(7) ، ص(372).

(5) البغدادي ، المرجع السابق ، ص(264).

(6) الحموي ، معجم البلدان ، ج(2) ، ص(499) .

(7) الأفغاني ، أسواق العرب، ص(362).

(8) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(389).

ج- وضع أي شخصٍ غريب يدخل الأراضي البيزنطية تحت المراقبة[1].

د- إلزام التجار الوافدين بالمرور عبر مراكز تجارية مخصصة يشرف عليها موظفون ماليون والسبب وراء ذلك هو جباية الضرائب وحماية الاحتكارات التجارية[2].

- سوق بصرى *:

بصرى : هي عاصمة حوران ومن أكبر مدن الشام قبل الإسلام وقد اشتهرت في العصر الجاهلي أكثر من دمشق والسبب في ذلك أنها كانت محطةً للتجار القادمين من الهند والحبشة واليمن (تجار طريق البخور)، وكانت على درجةٍ كبيرةٍ من العظمة أيام الرومان حيث أنها كانت مسقط رأس الإمبراطور الروماني (فيليب العربي) الذي تولى الحكم سنة (244م) والذي يعود أصله إلى منطقة حوران.

وبسبب أهميتها كمحطة قوافل كبرى فقد عمل الرومان والبيزنطيون من بعدهم على تحصينها وجعلوا فيها حاميات قوية تقوم بمراقبة حركات القبائل داخل الصحراء وصد هجماتهم عن بلاد الشام ، وكانت مطروقة جيداً من قبل تجار قريش[3].

كانت تقوم بعد سوق دير أيوب ولم يكن لها مدة محدودة بل كانت مدتها تتناسب مع ما قطعته القوافل من مسافة والزمن الذي قضته حتى وصلت إليها .

وقد اشتهرت بصرى كسوق تجاري بنوعين من السلع هما من أهم السلع التي كانت مطلوبة في جزيرة العرب وهما :

1- السيوف المشرفية والسيوف البصروية .

2- الخمور التي كانت تصنع بها ، وفي ذلك يقول الشاعر :-

سندفة راح ضُمنتها إدلوه   مقبرة ردف لمؤخرة الرحل

تزودها من أهل بصرى وغزة   على جدة مرفوعة الذيل والكفلِ[4]

---

(1) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(385) ، سحاب ، إيلاف قريش ، ص(214).

(2) سحاب ، المرجع السابق، ص(214).

* أنظر ، الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(365 وما بعدها).

(3) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(364-366) ، سالم ، المرجع السابق ، ص(358).

(4) الأفغاني ، المرجع السابق ، ص(370-371).

كان الغساسنة يقومون على هذه السوق والسبب في ذلك يعود إلى أنها تقع ضمن منطقة سيطرتهم ، حيث كانوا يجبون الضرائب للبيزنطيين.

- سوق أذرعات (درعا) :

أذرعات : بلدٌ بالشام قرب البلقاء (اسمها اليوم درعا) ، تقارب بصرى بالأهمية ، كانت علاقات العرب التجارية بها مقاربةً لعلاقتهم ببصرى ، اشتهرت أذرعات بإنتاج الخمور ، وفيها قال الشاعر :

فما فضلة من أذرعات هوت بها   مذكرةٌ عنس كهاية الفحل

ويُقال خمر أذرعيه ، كانت خاضعةً للدولة البيزنطية وكان حكامها من عمال الروم ، والراجح أنهم من الغساسنة لأن أذرعات كانت ضمن مناطق سيطرتهم[1].

كانت سوق أذرعات تقوم بعد انقضاء سوق بصرى بـ(70) ليلة وتستمر طويلاً خلال الصيف وربما امتدت الصيف كله[2].

(1)الأفغاني ، أسواق العرب ، ص(373).

(2) سحاب ، إيلاف قريش ، ص(389).

الفصل الرابع

الحياة الدينية عند القبائل العربية

في بـــــلاد الشـــام

الفصل الرابع

الحياة الدينية عند القبائل العربية في بلاد الشام

كانت ديانة العرب في بلاد الشام قبل الإسلام خليطاً من المعتقدات الدينية التي كانت منتشرة في المنطقة ، فقد أحضر اليونان آلهتهم وعبدوها ، وعبد الفينيقيون آلهة تختلف عن اليونان وعبد الأنباط آلهةً أخرى ، مما أدّى إلى نوع من التمازج والتداخل فيما بينها، فأصبحت بذلك موضع احترام الشعوب القاطنة في بلاد الشام على اختلاف اجناسهم .

أما العرب فقد كان لهم رأي في عبادة الأوثان وهو أنهم لا تتوفر فيهم الأهلية لعبادة الله بلا واسطة ، وهذه الواسطة هي الأصنام وقد ورد قولهم في القرآن الكريم . قال تعالى :" ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لايهدي من هو كذاب كفار "[1]. فقد عبد العرب الكثير من الأصنام والأوثان والكواكب وذلك ظناً منهم أنها تقدم لهم العون أو الشفاء أو الحماية من الأعداء والأمراض ، وقد أقاموا لها النصب وبنوا المعابد وقدموا لها القرابين . بل لقد تعدّى الأمر ذلك فقد سموا أبناءهم بأسمائها وقاوموا كل من تعرَّض لها أشد المقاومة بل وخاضوا من أجلها الحروب . فقد كان لكل قبيلة من القبائل إلهاً خاصاً بها ، وقد ردَّ المؤرخون سبب عبادة العرب للأصنام إلى أسباب مختلفة سيرد ذكرها لاحقاً . كما كان العرب يحجون إلى مكة للطواف بالكعبة وزيارة أصنامهم التي نصبوها حولها وداخلها وقد كانت شعائر الحج قريبةً نوعاً ما إلى ما أصبحت عليه بعد ظهور الإسلام .

وقد أورد ابن هشام فيما رواه عن ابن اسحق وجواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ج5) أن عمر بن لُحيٍّ هو أول من أدخل عبادة الأصنام من بلاد الشام إلى الجزيرة العربية بعد أن كان قد ذهب إليها ليتعالج من مرضٍ كان قد أصابه وأنه قد أحضر أول صنمٍ له من منطقة مآب في البلقاء جنوب بلاد الشام في طريق عودته إلى مكة[2]،

---

(1) سورة الزمر ، الآية (3) .

(2) ابن اسحق ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص72 . جواد علي، المفصل ، ج5 ، ص(73-74).

وكذلك يروى أن عبادة الأصنام قد أدخلت إلى الجزيرة على يد " هذيل بن مدركه " عن طريق التجارة . التي كان لها دورٌ كبيرٌ في نشر عبادة الأصنام ثم الديانة المسيحية بعدها والديانة الإسلامية من بعدهن جميعاً .

بعد أن انتشرت الأصنام وعبادتها في مختلف أنحاء بلاد الشام والجزيرة العربية ، ظهرت الديانة المسيحية إلى حيز الوجود وقد جاءت لمناهضة كل الأديان التي سبقتها دون أن تختلط بها كغيرها من الديانات الجديدة تعرَّضت الديانة المسيحية لمقاومةٍ شديدة من عبدة الأوثان ومن اليهود ، إلا أن المقاومة الشديدة كانت من قبل الإمبراطورية الرومانية التي كانت تسيطر على المنطقة ،فقد دعي الرهبان بالهراطقة على الرغم من محاولتهم ايجاد حل وسط بين الوثنية والمسيحية[1] وقد استمرت هذه المقاومة حتى بدايات القرن الرابع الميلادي ، إلا أنه وعلى الرغم من طول مدة المقاومة فقد دأب الرهبان على نشر المسيحية سراً في المدن وعلناً بين القبائل البعيدة عن مراكز السلطة الرومانية ، حيث أنهم كانوا قد هربوا من الاضطهاد الذي لحق بهم إلى المناطق البعيدة على أطراف الصحراء ، حيث نجحوا هناك في نشر المسيحية شيئاً فشيئاً .

وقد وصف بحث عن " أشهر الديانات في الجزيرة العربية قبل الإسلام " انتشار المسيحية بـ " ولكن انتشار المسيحية لاقى من الصعوبات ما يحده عن سرعة التقدم ، فسار سير السلحفاة في القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، وما ذلك إلا لوقوف الوثنيين من جهة وعلى رأسهم أباطرة روما والعبرانيين من جهةٍ أخرى وتعصبهم ليهوديتهم ، وكلا الفريقين رأى في الدين الجديد انهيار لمعتقدات آبائه وأجداده ، ولكن قطار المسيحية لم يتوقف في هذه القرون وإن كان يسير بطيئاً ... " إلا أن الوضع اختلف تماماً في بداية القرن الرابع الميلادي (313م/314م) وذلك عندما أعلن الإمبراطور قسطنطين الكبير المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية البيزنطية عند ذلك تحرك الأساقفة والرهبان بحرية فانتشرت المسيحية بين القبائل العربية في بلاد الشام وداخل الجزيرة العربية ، بل وأصبحت المسيحية من الشروط الهامة التي يجب أن تتوفر لدى زعماء القبائل والقبائل نفسها وذلك للحصول على رعاية

---

(1) الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ص (48 – 49) . العهد الجديد ، سفر اعمال الرسل ، الاصحاح السادس .

وحماية ودعم الإمبراطورية البيزنطية ، فكثرت عند ذلك الأديرة والكنائس وأعداد الرهبــان والأساقفة في بلاد الشام ، وقد استمر الوضع على هذه الحال حتى جاء الفتح الإســلامي فـــي النصف الأول من القرن السابع الميلادي لتدخل بلاد الشام تحت حكم الدولة الإسلامية .

وسوف أتطرق في هذا الفصل إن شاء الله إلى جوانب مختلفة من الحياة الدينية للقبائل العربية في بلاد الشام قبل الإسلام وهي :

1- المعتقدات الدينية للقبائل العربية قبل ظهور الديانة المسيحية .

2- الأسباب التي دعت إلى عبادة آلهة مختلفة عند القبائل .

3- عبادة الأصنام عند القبائل العربية .

4- الطقوس الدينية عند القبائل العربية في بلاد الشام .

5- تلبيات القبائل في الحج

6- أصنام القبائل العربية

7- ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد الشام

8- العوامل التي أدّت إلى انتشار المسيحية .

9- الأساقفة العرب الذين ساهموا بنشر المسيحية .

10- الرهبان الذين قتلوا في سبيل نشر المسيحية .

11- الأدير التي تمّ بنائها في بلاد الشام .

12- القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية .

13- المونوفيزيقية (مذهب الطبيعة الواحدة).

1- المعتقدات الدينية للقبائل العربية قبل ظهور الديانة المسيحية :

لم يكن للقبائل العربية سواء في الجزيرة العربية أو في بلاد الشام آلهة أو إله واحد تعبده كما أصبحت عليه الحال بعد ظهور الدين الإسلامي ، فقد كانت لهم معبودات شتى اختلفت من عبادة الأصنام إلى عبادة قوى الطبيعة من كواكب ونجوم ، فقد كانت هذه المعتقدات شائعة بشكل واضح عند القبائل العربية في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية [1] ، فقد كان لكل قبيلة مفهومها الديني المختلف عن القبيلة الأخرى[2] بحيث كان لكل قبيلة إلهاً خاصاً بها وبعض الأشياء المقدسة كالحجارة والأشجار والينابيع[3] وقد جاء هذا الاختلاف في الديانات نتيجةً لمجاورة أهل الملل الأخرى والانتقال (الارتحال أو التجارة أو الهجرة) إلى تلك البلدان من قبل القبائل العربية[4].

أما لماذا عبادة الأصنام – ما هي الأسباب التي جعلت العرب يعبدونها ؟ يورد الكلبي في كتاب الأصنام السبب الذي دفع العرب لعبادة الأصنام قائلاً : «...إن إسماعيل بن إبراهيم (ص) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات . وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش ، وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يضعن من مكة ضاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيقناً منهم بها وصبابة بالحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا نسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان »[5].

---

(1) الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ص (31) .

(2) Syed , A short history of saracens, p(4).

(3) Vasiliev .A.A , history of Byzantine empire, p (202) .

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(254) .

(5) الكلبي ، الأصنام ، ص(6–7).

وقد مرت الوثنية العربية بأطوار مختلفة تشبة الى حد ما مرت به الوثنيات الاخــرى ويمكن تلخيصها بــ :-

أ - الطور الحيوي : حيث اعتقد العرب ان كل ما هو موجــود علــى الارض ينبض بالحياة فعبدوا لذلك الشجر والحجر والجن وغيرها ، وكان مما اعتقدوه بان حجارة الحرم مقدسة كقدسية الحرم ذاته فحملوا منها معهم ليعبدوها في بلادهم .

ب- الطور الطوطمي : حيث تنحصر الحياة والارواح في اشياء محددة ، وقد بدا تاثير هذا الطور واضحا في تسمية الانسان باسماء الحيوانات أو الطيور (اسد ، نمر ، ذئب ، صقر ، ليث ، عقـــــــــاب... الخ) أو التشاؤم من البعض الاخر (كالبوم والغراب وغيرها) .

ج ــ الطور الوثني : وفي هذا الطور تصور العرب الالهة بالشكل الانساني حيث تعددت الالهة عند ذلك[1].

2- أما الأسباب التي دعت العرب إلى عبادة آلهة مختلفة فيمكن أن أجملها بما يلي :

أ- التأثير البابلي والذي ظهر واضحاً في عبادة النجوم والكواكب[2] ويمكــن إرجــاع ذلك إلى أن سكان بلاد ما بين النهرين هم مزارعون بطبعهم . لذلك كانوا يعتمدون علــى حركة الكواكب وغيرها من الأجرام السماوية في حساب المواقيت الفيضان الذي تعتمد عليه زراعاتهم ثم توسعوا ليجعلوا تلك الأجرام هي سبب الفيضان وهي التي تهب المحــصول[3] وقد كانت عبادة الكواكب والأجرام السماوية منتشرة بشكلٍ خاص في العربية الجنوبية وكان أهمها هو الثالوث الذي يمثله (القمر ، الشمس ، الزهرة)، فقد عرف : السبئيون القمر باسم (المقه) والمعينيون باسم (ود) والحضرميون باسم (سن) والقتبانيون باسم (عم) ، أما الشمس فقد اعتبرت زوجة القمر وقد أطلق عليها عدة أسماء هــي (ذات صــمم) عنــد الــسبئيين و(نكرح) عند المعينيين ، أما الزهرة فقد عرف على أنه ابن الشمس والقمر الإلهــي وقــد

---

(1) الفيومي ، في الفكر الديني الجاهلي ، ص (264) .

(2) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(14) ؛ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص72 .

(3) أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(212) ؛ يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(379-388).

سمي (عشتر) إلا أن عبادة القمر قد بقيت متفوقة على عبادة الشمس[1]، وقد قـام العـرب الجنوبيون ببناء معبد للقمر (المُقة) لا تزال أطلاله باديةٌ إلى اليوم .

ومن الكواكب أو النجوم التي عبدها العرب في الجاهلية كانت (الدبران ، الـشعرى ، المريخ)[2]، وقد سمي من عبد الكواكب والنجوم (بالصابئه)[3]، كما سمّى العرب الزهرة فـي بعض الأحيان (عشتر) أو (كوكب الصبح) وقد كانوا يتعبدون له بتقديم قرابين بشرية ، ودائماً يكون القربان طفلاً ، ولذلك فقد كانوا يصورون (عشتر) في صورة طفـل صـغير ، ومـن الأدعية التي كانوا يدعونها (إننا نقدم لك قرباناً يشبهك أو قد ذكر نيلوس أن العرب سرقوا ابنه الجميل ثيودولس وعزموا على تقديمه قرباناً لكوكب الصبح[4] كذلك فقد كان المنذر بن مـاء السماء يقوم بتقديم الكثير من أسرى المسيحية قرابين تكريماً للسيار (فينوس/الزهرة) وكـذلك كان عرب شبه جزيرة سيناء يقدمون القرابين البشرية لنفس هذا الكوكب[5].

ويمكن اعتبار عبادة الشمس عند العرب في البتراء وتدمر نوع من التطور الذي يعتبر مؤشراً من مؤشرات التقدم العلمي حيث اكتشف العرب العلاقة بين الشمس ونمو المزروعات والنباتات[6].

ب- كانت أكثر العرب في الجاهلية يؤمنون بوجود قوى إلهية كثيرة في الكواكـب ومظـاهر الطبيعة ، ويتضح ذلك من أسماء القبائل مثل (كلب ، ثور ، ثعلبة) والذي يدل على أنهـم كانوا قريبي عهد بالطوطمية (Totemism)، حيث تلتف القبائل حـول الطـوطم/العـثم وتتخذه حامياً لها ومدافعاً عنها[7]، فقد آمن البدو العرب بوجـود أرواحٍ فـي الأشـجار والرماد والحجارة أو في مظاهر الطبيعة كالرياح والأمطار والنجوم والـشمس والقمـر

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(379-388) ؛ ضيف ، العصر الجاهلي ، ص (90) ، حتي ، تاريـخ العرب ، ص (143).

(2) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(14) .

(3) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(72) .

(4) " بحث الموروث التشريعي للجزيرة العربية قبل الإسلام "، جواد علـي، المفـصل ، ج6 ، ص(171) . شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(17).

(5)حسن إبراهيم ، المرجع السابق ، 4ج ، ج1 ، ص(72).

(6) حتي ، المرجع السابق ، ص(142).

(7) ضيف ، المرجع السابق ، ص(89).

وبالتدريج أصبحت تلك القوى آلهةً أما القوى السفلى فقد أحيلت إلى مراتب الجن والعفاريت[1].

ج- عبادة الأنصاب التي تعتبر مساكن الأرواح ومثال ذلك الحجر الموجود في واجهة بيت إيل- بالقرب من غزة[2] - والتي تذكرها العهد القديم ، وقد كان هذا الحجر يعتبر نموذجاً قديماً للمذبح[3] فقد تخيل البدوي أن الصحراء آهلةً بأحياء لها طبائع وحشية سمَّاها (الجن والعفاريت) وهي مؤذية للإنسان وقد كانت الآلهة في نظر البدوي تسيطر على الأراضي المأهولة ، أما الجن والعفاريت فتسيطر على الأراضي الخالية[4]، وقد قال تأبط شراً في ذلك شعراً منه :

ألا من مبلغ فتيان فهم   بما لاقيت عند رحى بِطَانِ
بأني قد لقيت الغول تهوي   بسهب كالصفيحة صحصحانِ
إذا عينان في رأس قبيح   كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخْدَجٍ وشواة كلب   وثوب من عباء أو شَنَانِ [5]

د- خوف العرب من الآلهة بأن توقع بهم غضبها ، فحاولوا أن يتغلبوا على هذه الظاهرة ، بالقرابين التي كانوا يقدمونها للإله الذي يخشون غضبه ، وكذلك يقدمونها للآلهة التي كانوا يرجونها أن ترحمهم[6].

هـ- عبد العرب بعض الأشياء المادية التي وجدوا أنها تقدم لهم خدماتٍ هامة جداً في حياتهم ومنها :

1- الحجارة المميزة الألوان : التي كانت تعتبر إشارات يستدل بها البدوي على طريقه في الصحراء وتساعده في معرفة الاتجاهات .

---

(1) حتي ، تاريخ العرب، ص(142) ؛ أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(213-214) ؛ ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(89).

(5) Shahid ,Irfan,Byzantum And The Arabs In The 4^{th} Century ,P (275)

(3) أوليري ، المرجع السابق، ص(214).

(4) حتي ، المرجع السابق، ص(145).

(5)علي ذو الفقار شاكر ، ديوان تأبط شراً وأخباره ، ص(222-227).

(6) " بحث في الموروث التشريعي للجزيرة العربية قبل الإسلام " شبكة الإنترنت : www.arabia.com .

2- الأشجار : وخاصةً شجرة النخيل التي كانت تشكل عنصراً أساسياً في حياة البدوي فهو يعتمد على تمرها كغذاءٍ رئيسي له ولتغطية حاجات وضرورات أخرى تهمه وخصوصاً في المناطق التي تقل فيها الأشجار .

3- الكهوف : وكانت تمثل بالنسبة للعربي في الصحراء نقطة حماية يلجأ إليها للاحتماء من الشمس أو من الأعداء ومن هذه الكهوف والتي اشتهرت في بداية الدعوة الإسلامية (غار حراء ، غار ثور) .

4- الينابيع : وهي تمثل نبع الحياة في الصحاري المقفرة التي لا تعرف الأنهار ، بل قد تمر سنوات قبل أن تنزل الأمطار فيها .

وقد أطلق على هذا النوع من الحياة أو التقديس هو ما يعرف باسم (الأرواحية أو حيوية المادة أو Animism) أي أن يتصور البدوي أن هنالك روحاً تحل في هذه الأشياء فتعطيها هذه الفائدة الحيوية بالنسبة له ، وقد ظل تقديس هذه الأشياء قائماً حتى بعد أن انتقلت الجزيرة العربية لعبادة الأصنام[1].

و- كان للعرب عدة آراء في وثنيتهم ، فقد قال بعضهم : ليس لنا أهلية لعبادة الله بلا واسطة لعظمته ، فلذلك نعبدها (الأصنام) لتقربنا منه ، وقال آخرون هي قبلة لنا مثل الكعبة ، ومنهم من اعتقد أن لكل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله ، فمن عَبَدَ الله حق عبادته قضى له الشيطان حاجته[2].

- **عبادة الأصنام عند القبائل العربية :**

انتشرت بين العرب قبل الإسلام عدة معتقدات منها ما هو وثني ومنها القائل بوجود الأرواح والجن ومنها ما هو شركي ومنها ما هو توحيدي ، إلا أن الوثنية كانت هي الديانة الغالبة عليهم ، فقد كانت عبادة الأصنام أو الأوثان هي العبادة الأكثر انتشاراً بين العرب قبل الإسلام ، وهي ليست عبادة خاصة بالعرب[3] فقد أورد ابن هشام في سيرته :" أن عمر بن

(1) يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص(379-380).
(2) الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج2 ، ص(197).
(3) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(13).

لحي وإسمه عمر بن حارثة بن عامر خرج من مكة إلى الشام[1] بعد أن مرض مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من الشام (حمَّة إن أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ[2]، فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذٍ العماليق – وهم ولد عملاق / عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح – رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه أصنام نعبدها ، نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له (هُبَل)، فقد به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[3] ويبدو ان ذلك مرده الى ان عمر بن لحي كان قد تولى أمر البيت الحرام عندما كانت السيطرة في مكة لقبيلة خزاعة حيث أمر العرب بعبادة الاصنام في مكة بعد ان اكثر من نصبها حول البيت الحرام وفي ذلك يقول شحنة بن خلف الجرهمي :

ياعمر انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس اربابا
لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفي دونكم للبيت حجابا[4]

إلا أن ابن هشام يذكر أيضاً أن عبادة الأصنام قد أدخلت إلى الجزيرة العربية من بلاد الشام على يد (هذيل بن مدركة)[5].

عندما أحضر عمرو بن لحي الصنم (هُبَل) من الشام ووضعه عند الكعبة فكان أول صنم وضع حول الكعبة[6]، وهذا يبين بأن عبادة الأصنام والأوثان هي عبادة دخيلة على عرب الجاهلية من جيرانهم وأنها طرأت عليهم في زمنٍ متأخر ، ويتضح ذلك من قلة احتفال الجاهليين بها إلا في مناسبات معينة ، وأن هذه الأصنام والأوثان لم تحل عند العرب محل الله وإنما هي وسيلة لتقربهم إلى الله ،قال تعالى : " إلا لله الدين الخالص والذين

---

(1) ابن اسحق ، السيرة النبوية ، ج1، ص(72) ، المسعودي ، مروج الذهب ،ج2 ،ص(30) .
(2) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(69).
(3) ابن اسحق، المصدر السابق ، ج1 ، ص(72) . جواد علي، المفصل ، ج5 ، ص(73-74).
(4) المسعودي ،المصدر السابق ، ج2 ، ص (29 – 30)
(5) أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(215).
(6) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2ج ، ج1 ، ص(255) .

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى[1] ، وبذلك يكون عرب الحجاز ونجد قد تأثروا تأثراً كبيراً بأصنام العرب الشماليين ، حيث أن الصلات الثقافية بينهم وبين العرب في بلاد الشام كانت أمتن وأقوى من صلاتهم بعرب الجنوب ، حيث عَبدت أصنام العرب الشماليين من قبل عرب الحجاز ونجد[2].

إلا أنه ومع ذلك فقد وجد هنالك من عرب الشمال من كان يعترف بإلهٍ واحد هو الله إلا أن (الله) في الجاهلية يختلف عن (الله) في الإسلام فالله عند الجاهليين هو رب الأرباب وإله الآلهة ، وقد عرف العرب من لم يعبد الأصنام منهم بالحنفاء[3].

4- الطقوس الدينية عند القبائل العربية في بلاد الشام :

احتوت الحياة الدينية للقبائل العربية قبل الإسلام على الكثير من الطقوس والشعائر الدينية التي كان يمارسها العرب في مختلف نواحي الحياة ، ومن هذه الطقوس والمعتقدات :

أ- تقديم القرابين للآلهة سواء لتجنب غضبها أو طمعاً في رحمتها ورضاها عنهم[4] وقد ورد من الأدعية التي كان يرددها العرب عند تقديمهم القرابين للآلهة ما نصه : " إننا نقدم لك قرباناً يشبهك "[5]، كما كان المنذر بن ماء السماء (505-554م) قد قدَّم الكثير من أسرى المسيحية تكريماً للزهرة[6]، وكان هنالك نوعٌ آخرٌ من القرابين تمثلت في أن عمرو بن لحيّ كان قد فقأ عين عشرين بعيراً ، حيث كانت العادة أن تُفقأ عين الفحل من الإبل إذا بلغت الإبل ألفاً ، فإذا بلغت ألفين فقئت العين الأخرى[7]. ويبدو أن أهم القرابين التي قدمها العرب لآلهتهم كان ما قدمه المنذر اللخمي أمير الحيرة الذي كان يعتنق الوثنية ، حيث قدم أحد أبناء أحد ملوك الغساسنة (الحارث الغساني) قرباناً لآلهه أفروديت أي (العزى)[8].

(1) فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص(159) ، سورة الزمر ، الآية رقم (3) .

(2) جواد علي ، المفصل ،ج5 ، ص(157-158).

(3) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(14).

(4) " بحث في الموروث التشريعي للجزيرة العربية قبل الإسلام " ؛ شيخو ، النصرانية العربية وآدابها في العصر الجاهلي ، ص(9) . جواد علي، المرجع السابق ، ج6 ، ص(286).

(5) جواد علي، المرجع السابق ، ج6 ، ص(171).

(6) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(72).

(7) جواد علي، المرجع السابق، ج5 ، ص(75-76).

(8) نولدكه ، أمراء غسان ، ص(18).

ب- كان العرب يتخذون عند هياكل الأصنام والأوثان أنصاباً من حجارة يصبّون عليها دماء الذبائح التي يتقربون بها إلى آلهتهم وكانوا يقدسونها ويعدونها مقراً لبعض الأرواح ، كما اتخذوا بيوتاً لأصنامهم عدّوها كعبات كانوا يحجون إليها [1].

ج- كانت القبائل تحترم الأوثان وكان كل فرد من القبيلة يعتقد بوجود علاقة نسب بينه وبين واحد من تلك الأوثان ، وقد يكون هذا الوثن أو الطوطم حيوان أو نبات وهي يحمي صاحبه ويدافع عنه ولذلك احترمه صاحبه وقدّسه ، فإذا كان حيواناً أبقى عليه وإذا كان نباتاً لم يتجرأ على قطعه أو أكله إلا في أوقات الشدة وذلك كما فعل بنو حنيفة عندما صنعوا لهم إلهاً من تمر ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه ، فقال بعضهم شعراً منه :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة[2]

د- خوف العرب في بلاد الشام من إزالة الجثث من القبرة، وكل من يخالف ذلك كان يتعرض لعقوبات منها أن لا تؤدى بحقه شعائر الدفن ولا يجد قبراً لنفسه ، وقد سمي القبر (بيت عالَم) وسوف يبقى إلى (يومات عالم) ويسمى (بيت قبور) ، وكانت عند أهل الرها مأدبة جنائزية كالتي كانت عند الأنباط ، إلا أن تحول الرها إلى الديانة المسيحية قد أدّى إلى اضمحلال المظاهر الوثنية التي كانت منتشرة فيها [3].

هـ- كان العرب يقدسون الحيوانات ويعبدونها وذلك ابتغاء تحصيل البركة منه[4]، فقد تسموا بأسماء حيوانات مثل : بنو أسد ، بنو فهد ، بنو ضبيعة ، بنو كلب[5]، كما كان العربي يتفاءل بالطيور كالحمامة وبنباح الكلاب على مجيء الضيوف ، ويتشاءم من الثور الأعضب مكسور القرون ومن الغراب[6]، كما كان يقيم مراسم جنائزية إذا مات حيوان من نوع

---

(1) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(90-92).

(2) سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص(457-459).

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(124).

(4) خان ، الأساطير العربية ، ص(66-88).

(5) جواد علي، المفصل ، 10ج ، ج5 ، ص(32).

(6) الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج2 ، ص(335).

الطوطم/الوثن الموجود في قبيلته ، وكانت القبيلة تحزن عليه مدةً من الزمن تصل إلى ستة أيام .

و- الحج : بعد أن انتشرت عبادة الأصنام بين العرب في العصر الجاهلي على أشكالها المختلفة (بيوت ، أشجار ، حجارة مصورة وغير مصورة ، حتى قيل أنه كان حول الكعبة (ثلاثمائة وستون صنماً) بدأت القبائل العربية بالحج إلى مكة لزيارة تلك الأصنام وتقديسها[1]، حيث أن الحج إلى مزار مشهور في إحدى مدن الحضريين كان أعظم الفرائض الدينية عند البدوي[2]، فكانت كل قبيلة عندما تريد الحج تقف عند صنمها ، ثم تلبي القبائل حتى تصل مكة[3]، ولم تكن مناسك الحج تختلف كثيراً عن مناسك الحج في الإسلام ، فقد كانت تتضمن : الطواف ، استلام الحجر الأسود ، الصعود إلى عرفة ، الإفاضة من عرفة ، التضحية ، الرجم وكانت أشهر الحج في الجاهلية سوقاً تجارية رائجة تدر على الرؤساء المكيين وعلى عامتهم خيراً كثيراً[4].

فقد كان العرب يطوفون بالكعبة أسبوعاً ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون بعرفة ويفيضون منها إلى المزدلفة ثم منى ، وكانت إفاضتهم من عرفة عند غروب الشمس أما في المزدلفة فعند شروقها ، وكان طوافهم بأصنامهم سبعة أشواط وكان يتم على شكلين :

أ- منهم من كان يطوف عرياناً وهم الحلة.

ب- منهم من كان يطوف في ثيابه وهم الحُمس من قريش وكنانه وخزاعة .

وكان رمي الجمرات يتم في منى ، وكانوا يقدمون الضحايا ويذبحونها عند الأنصاب كما كانوا يقدمون الهدايا من الزروع والغلات ، وقد كانت لكل قبيلة تلبية خاصة بها ، كما جعلوا للحج أربعة أشهر معلومات (الأشهر الحرم) وهي (رجب ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، محرم) وكان الحج إلى مكة في شهر ذو الحجة[5].

---

(1) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(70-71).

(2) حتي ، تاريخ العرب ، ص(150).

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،ج1 ، ص(255) .

(4) فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص(161).

(5) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(92-94).

5- **تلبيات القبائل في الحج :** هي الأدعية التي كانت ترددها القبائل ، وكانت العرب إذا أرادت الحج للبيت الحرام ، وقفت كل قبيلة عند ضمها ، وصلوا عنده ثم تلبوا ثم تقـدَّموا مكة ، وقد كانت تلبياتهم لكل قبيلةٍ على النحو التالي :

أ- تلبية قريش : لبيك اللهم ، لبيك ! لبيك لا شريك لك ، تملكه وما ملك .

ب- وكانت تلبية كنانه : لبيك اللهم لبيك ، اليوم يوم التعريف يوم الدعاء والوقوف .

ج- وكانت تلبية بني أسد : لبيك اللهم لبيك ! يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك .

د- وكانت تلبية بنو تميم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أثوابها وأثواب من وراءها ، وأخلصت لربها دعاءها .

هـ- وكانت تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك ، لبيك أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان ، راجلها والركبان .

و- وكانت تلبية ثقيف : لبيك اللهم ! إن ثقيفاً قد أتوك وأخلفوا المال وقد رجوك .

ز- وكانت تلبية هذيل : لبيك عن هذيل ، قد أدلجوا بليل في إبلٍ وخيل .

ح- وكانت تلبية ربيعة : لبيك ربنا لبيك لبيك ! إن قصدنا إليك ، وكان بعضهم يقول : لبيك عن ربيعة ، سامعة لربها مطيعة .

ط- وكانت تلبية حِمْيَّر وهمدان : لبيك عن حمير وهمدان والحليفين من حاشد والهان .

ي- وكانت تلبية الأزد : لبيك رب الأرباب ، تعلم فضل الخطاب ، لملك كل مناب .

ك- وكانت تلبية مذحج : لبيك رب الشعرى ورب اللات والعزى .

ل- وكانت تلبية كندة وحضرموت : لبيك لا شريك لك ! تملكه أو تهلكه ، أنت حكيم فاتركه .

م- وكانت تلبية غسان : لبيك رب غسان راجلها والفرسان .

ن- وكانت تلبية بجيلة : لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة .

س- وكانت تلبية قضاعة : لبيك عن قضاعة ، لربها دفاعه ، سمعاً له وطاعة .

ع- وكانت تلبية جذام : لبيك عن جذام ذي النهي والأحلام .

ف- وكانت تلبية عك والأشعريين : نحج للرحمن بيتاً عجباً مستتراً مغبباً محجباً[1].

ومن تلبية بعض أهل الجاهلية : جئناك للنصاحة ولم نأت للرقاحة[2].

6- أصنام القبائل العربية :

أ- كما ذكر في مكانٍ سابق من هذا الفصل ، فقد تأثّر العرب بجيرانهم وأخذوا عنهم عبادة الأصنام[3] وقد كانت هذه الأصنام عند العرب وسيلةً لتقربهم إلى الله وذلك مصداقاً لقوله تعالى : " ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " صدق الله العظيم[4].

ثم عاد ابن هشام مرةً أخرى وذكر أن الأصنام قد أدخلت إلى الجزيرة العربية على يد (هذيل بن مدركة)[5]، إلا أن الزمخشري يذكر في الفائق في غريب الحديث أن عمرو بن لحي هو أول من بدل دين إسماعيل عليه السلام[6]، ويذكر ابن هشام في سنده عن ابن اسحق أنه قال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول :" سمعت رسول الله (ص) يقول لأكثم بن الجون الخزاعي : " يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قمعه بن خندق يجر قصبة (أمعاؤه) في النار ... ، إنه كان أول من غيّر دين اسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البحيرة ، وسيَّب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي "[7]، وقد عبد العرب أعداداً كثيرة من الأصنام[8].

وقد اهتم العرب بأصنامهم فبنوا لها بيوتاً وأسموها كعبات كانوا يحجون إليها[9]، وبنوا كذلك النصب[10]، والمعابد كالذي بناه التدمريون للإله (بل) وكان يعتبر هيكل كبار الآلهة[1].

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(255-256) .

(2) ابن منظور ، لسان اللسان ، ج1 ، ص(504) .

(3) فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص(159).

(4) سورة الزمر ، الآية (3).

(5) أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(285).

(6) الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج3 ، ص(199).

(7) ابن اسحق، السيرة النبوية ، ج1 ، ص(71).

(8) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(13-14).

(9) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(90-91) ؛ الكلبي ، الأصنام ، ص(44-45).

(10) شيخو، الإله العربي مناف ، مجلة المشرق ، السنة 24 ، 1926 ، ص(197-200).

وقد أوقف العرب الأوقاف لأصنامهم ، فقد كان لكل صنم وقف خاص به من أرض المراعي يسمى الحمى ، فقد كان للات حمى وحرم في جوار الطائف يقصده حجيج مكة وسواها ويقدمون لها الذبائح ، ولقد حُرِمَ قطع الأشجار والصيد والقتل في هذا المكان ، فأصبح ملجأً للقتلة من اليهود(2).

ومن أشهر الأصنام التي عبدها العرب في بلاد الشام والجزيرة العربية قبل الإسلام :

1- (ود) وكان لبني وبره ، وكان موضعه بدومة الجندل ، وكان سدنته من بني الفرافصة بن الأحوص من كلب(3).

2- (مناة)* وكان يعبده الأنصار وأزد شنؤه وغيرهم ، وكان بسيف البحر وكان سدنته الغطاريف من الأزد – وكانوا يعبدون أيضاً صنماً أطلق عليه اسم (السعيدة) وكان موضعه بأحد وكان سدنته بني العجلان(4).

3- (ذو الخلصة) من أصنام الأزد الرئيسية التي تعبدت لها كما تعبدت بصنم اسمه (العائم) كان في السراة ، ولصنم آخر اسمه (باجر) كان للأزد ولمن جاورهم من طيء(5).

4- (الأقيصر) صنم لقبيلة عاملة وهو في مشارف الشام وكانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عقدة(6) وكان هذا الضم كذلك لقضاعة ولخم وجذام وغطفان(7).

5- (الفلس) وهو صنم لطيء وقد اتخذوا بعده اللات بالطائف(8)، وكانت سدنته بنو بولان وبولان هو الذي بدأ بعبادته(9).

---

(1) عاقل، تاريخ العرب القديم ، ص(139).

(2) حتي ، تاريخ العرب ، ص(144-145).

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص (256-257) ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص(316-317) .الكلبي المصدر السابق، ص(10-40) ؛ ابن اسحق ، المصدر السابق، ج1 ، ص(74).

* وهو إله القضاء والقدر عند عرب الجاهلية ولا سيما قضاء الموت . حسن إبراهيم ، ج1 ، ص71 .

(4) ابن حبيب ،نفس المصدر، ص(316-317) ؛ جواد علي ، المفصل ، ج4 ، ص(442) ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(255).

(5) جواد علي، المرجع السابق، ج4 ، ص(442) ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(255).

(6) جواد علي، المرجع السابق، ج4 ، ص(442)

(7) الكلبي ، المصدر السابق ، ص(48).

(8) اليعقوبي ، المصدر السابق ، 2ج ، ج1 ، ص(255).

(9) الكلبي ، الاصنام ، ص(10-40،59-60).

6- (ذو الشرى) وهو صنم بني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد ، وله يقول أحد الغطاريف :

إذا لحللنا حول ما دون ذي الشرى وشبح العدى منا خميس عرمرم[1]

وكان له معبد ضخم في سلع (البتراء) وهو يقابل الاله(ديونيسيوس)عند اليونان[2]

7- (يغوث) وقد اتخذته أنعم من طيء وأهل جُرَس من مذجج وكان مكانه بجرش .

8- (عميناس) وهو صنم لخولان وكان مكانه في أرض الجولان[3].

9- (نسر) وكان لحمير وهمذان وكان منصوبا في صنعاء ؟، وكان على صورة نسر[4].

10- (سواع) وكان لكنانة[5]، وهذيل .

11- (العُزى) وكان لغطفان ، وكان لها مركز خاص عند العرب وهي تمثل الكوكب (فينوس /الزهرة)، وكانت إحدى ثلاث أخوات يعبدن في مكة زمن النبي (ص)[6].

12- (ذو الكعبات) وكان لربيعة وإياد وكان سنداد من أرض العراق .

13- (اللات) وكان لثقيف وكان منصوباً بالطائف ، وكان أبرز آلهة العرب وقد تكرر اسمها في النقوش النبطية ، وهي واحدة من ثلاث أصنام كانت في الكعبة[7].

14- (ذو الكفين) وكان لدوس .

15- (سعد) وكان لبني بكر بن كنانة[8] وقد قيل فيه شعر يذُمه قاله أحد الرجال الذي أحضر إبله إلى موضع الصنم ، فنفرت منه حيث قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

---

(1) الكلبي ،الأصنام ، ص(10-40).

(2) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(90-92).

(3) ابن اسحق ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص(74) ؛ الكلبي ، المصدر السابق، ص(43).

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(255) ؛ ضيف ، المرجع السابق، ص(90-92).

(5) اليعقوبي ، المصدر السابق، ج1 ، ص(255).

(6) ضيف ، المرجع السابق ، ص(89) ؛ أوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ص(212-213).

(7) جواد علي ، المفصل ، ج6 ، ص(228) ؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(255) ؛ أوليري ، المرجع السابق، ص(212-213).

(8) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(255).

وهل سعد إلا صخرة بتنوفه مــن   الأرض لا يُدعى لغي ولا رشد [1]

16- (شمس) وكان لقومٍ من عذرة .

17- (رئام) وكان للأزد[2].

18- (يعوق) وكان لهمدان وخولان وما والاهما من القبائل[3].

19- (إساف ، نائلة ، رضا ، تيم) وهي من أصنام قريش المشهورة[4] وكان اسـم رض قـد ورد في الكتابات الصفوية وفي النصوص الثمودية وكانت عبادته منتشرة عنـد عـرب الشمال[5].

20- (هبل) وهو أول صنم وضع حول الكعبة[6] وهو على صورة إنسان من عقيق أحمـر[7] مكسور الذراع ، وقد قام العرب بعد ذلك بصناعة ذراع له من الذهب الخالص ويذكر ابن هشام أن عمرو بن لحي هو الذي أحضره من (بلاد الشام/من أرض مآب في البلقاء)[8].

21- (يغوث) وكان صنم اتخذته مذحج[9]، وعشائر من مراد وهوازن[10]، وهو فـي جملـة الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي على من استجاب لدعوته من القبائل ، وقد دفعه إلـى أنعم بن عمرو المرادي ، فوضعه باكمة مذحج باليمن[11].

22- (اليعبوب) هو صنم لجديلة طيء ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، فتبدلوا اليعبوب بعده .

فتبدلـوا اليعبـوب بعـد إلهـهم   صنمـاً فقرروا يـا جديـل وأعذبوا

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج6 ، ص(275).

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(255).

(3) ضيف ، المرجع السابق، ص(90-91) ؛ جواد علي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص(262-263).

(4) ابن اسحق ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص(80).

(5) جواد علي ، المرجع السابق، ج6 ، ص(269).

(6) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(255) .

(7) " بحث في الموروث التشريعي للجزيرة العربية قبل الإسلام " شبكة الإنترنت : www.arabia.com .

(8) ابن اسحق ، المصدر السابق ، ج1 ، ص(75).

(9) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(70-71).

(10) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(90-92).

(11) " بحث في الموروث التشريعي للجزيرة العربية قبل الإسلام " شبكة الإنترنت : www.arabia.com .

23- (باجر) قال ابن دريد [وهو] صنم كان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاعة وكانوا يعبدونه[1].

24- (مناف) : هو إله مجهول أكرمه العرب في الجاهلية وقد احتار الكتبة في تعريفه ولم يرد ذكره بالقرآن ، وإنما استدل عليه باسم أحد أجداد الرسول (ص) وهو عبد مناف[2] وقال الطبري أن مناف هو أعظم صنم في مكة[3]. وفي الاشتقاق لابن دريد ، مناف صنم وهو مشتق من الأصل الثلاثي (ناف) ينوف وأناف وينيف أي ارتفع وعلا . وقد ترجم الباحثون النقوش التي كانت مكتوبة على نصب الصنم مناف على النحو التالي : Z ε Ũ M x́

أيها الإله مناف (أمنح)	V ∝ φ ε , μ [i-]
سعداً أوفر	τ O V [α τ η -]
أبو معن من إعنات	[V τ Ú X η V]
الذي عاش بالتقى	β (τ) O Ú μ V O
قرّب تقدمه (هذا المذبح)	ς I γ ά θ η s ε Ů σ ε β ώ S β L ώ σ α S [ά] V ώ θ η χ ε

ويتبين من ذلك أن الإله مناف كان معبوداً من معبودات العرب مكرماً في أواسط الحجاز وبين عرب الشام وكان إلهاً شمسياً أي ممثلاً لبعض خواص الشمس المنيرة[4].

25- ومن الآلهة التي كانت تعبد عند الصفويين كانت الآلهة (اللات ، (هلت) ، لت ، ديان ، هـ ل هـ ، حدعوز ، بعل سمين ، شيع القوم ، يثع ، أثع ، صالح ، ذو الشرى ، رخى ، جد ضيف ، رحيم / رحام ، حمس) .

(1) الكلبي ، الأصنام ، ص(63).

(2) شيخو ، الإله العربي مناف ، مجلة المشرق ، سنة 24 ، 1926 ، ص(197-200).

(3) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج2 ، ص(181).

(4) شيخو ،المرجع السابق ، ص(197-200).

26- ومن الآلهة التي كانت تعبد عند التدمريين فكانت (بل ، عزيزو ، أرصو ، أرضو ، شيع القوم/حامي القوم أو إله القوافل ، شمش/شمس ، اللات ، أيل ، بعل تسمين ، برجال بل ، أعل بل ، ملك بل)[1].

27- ومن الآلهة التي كانت تعبد عند الأنباط فكانت (ذو الشرى ، اللات ، منوتو/مناة ، قيشح ، هبلو/هبل)[2].

28- وقد وجد نقش تدمري احتوى عبارة معناها (بورك اسمه إلى الأبد الرحمن الرحيم) مما يدل على وجود تطور في التفكير الديني ويبدو أن ذلك جاء بعد انتشار المسيحية في بلاد الشام بشكلٍ واسع[3].

29- (عزيز ومنعم) وهما من الآلهة التي عبدها قوم ثمود[4].

ب- الأصنام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم :

لقد ذكر الله تعالى الأصنام التي عبدها العرب في القرآن الكريم في أكثر من آية بعضها يوضح سبب عبادة الأصنام والآخر في زجر واستهزاء بها وسوف أذكرها بأدناه وهي : بسم الله الرحمن الرحيم

1- " أفرءيتم اللات والعُزى . ومناة الثالثة الأخرى ، الكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ضيزى ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى "[5].

وهذه الآيات خطاب من الله تعالى إلى عبدة الأصنام يبين بها بأن هذه الأصنام هي من ابتكار البشر ، لم ينزل بها الله تعالى أي حجة أو برهان وأن عبدتها لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس مما زين لهم الشيطان .

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص(153،155) ؛ دروزة ، تاريخ الجنيس العربي ، ص(283 ،274).
(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ص(155).
(3) دروزة ، المرجع السابق ، ص(275).
(4) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(116).
(5) سورة النجم ، الآية (19-23).

2- " ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كذاب كفار[1].

هذه الآيات توضح بأن عبدة الأصنام قد قاموا بعبادتها من أجل أن تقرّبهم إلى الله ، وهذا دليل على قصر وضعف تفكيرهم الديني في ذلك الوقت .

3- " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون "[2].

وفي هذه الآية ينهى الله عز وجل عن الخمر والميسر والضرب بالأقداح وعبادة الأصنام هي عملٌ خبيث من أعمال الشيطان ويجب الابتعاد عنها .

4- " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحةوما أكل السبع إلاما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق "[3].

في هذه الآيات حرّم الله تعالى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير والقرابين التي كانت تذبح على النصب التي كانت توضع في المعابد أو عند الأصنام .

جـ- ارتباط بعض أسماء العرب بعبادة الأصنام :

نتيجة للاهتمام الكبير الذي أولاه العرب في الجاهلية لعبادة الأصنام فقد بنوا لها المعابد وأقاموا النصب وقدموا لها القرابين ، بل لقد تعدى الأمر ذلك إلى أن أطلقوا على أبنائهم أسماء يدل معناها على أن صاحب الاسم هو عبدٌ لصنم معين ، حيث كان الاسم يتكون من شقين : الشق الأول هو كلمة عبد والشق الثاني هو اسم الصنم .

وقد انتشرت هذه الأسماء في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وبلاد الشام ومن هذه الأسماء : " بر كلب ، بر شمش ، عبد اللات ، مارنشر (سيدنا النسر) ، عبد مناة ، زيد مناة ، زيد اللات ، تيم اللات[4]، عبد العزى ، عبد الأسد ، عبد الله ، عبد سعد ، عبد محرق ،

(1) سورة الزمر ، الآية (3).
(2) سورة المائدة ، الآية (90).
(3) سورة المائدة ، الآية (3).
(4) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص(70-71).

عبد ذي الشرى ، عبد يغوث ، عبد ودّ ، عبد قيس ، عبد شمس ، أمرئ القيس ، أحمس الله ، امرئ مناة ، أنس الله ، أوس الله ، خيليل ، سعد اللات ، سعد مناة ، سعد ودّ ، سكن اللات ، سلم اللات ، شراحيل ، شرحبيل ، شعش اللات ، شكيم اللات ، شهميل ، شيع اللات ، عائذ الله ، عمرو اللات ، عوذ مناة عينيك ، قسميك ، مطرويك ، وهب اللات[1]، عبد مناف[2].

7- ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد الشام :

كانت ديانة العرب في بلاد الشام قبل الإسلام خليطاً من أديان الوثنية ، فقد أحضر اليونان والرومان آلهتهم المتعلقة بالكواكب كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمريخ ، فأكرموها إكرام أجدادهم ومواطنيهم لها في أثينه وروما ، ونشر الفينيقيون عبادة تموز وعشتروت وبعل وقد فضّل الأنباط (ذو الشرى/Dusares) واللات وشمس ، ولكن هذه الآلهة امتزجت فيما بينها وأصبح كل قوم يكرمون آلهة الآخرين ومن خلال ذلك كله ظهرت الديانة النصرانية التي قامت لمناهضة تلك الأديان كلها دون أن تختلط بها أو تبادلها بشيء .

دخلت النصرانية بلاد الشام أولاً في منطقة حوران (بصرى)[3]، وذلك كما تشير إليه التقاليد القديمة ، فقد قام أحد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الأعمال ويدعى (تيمون) بنشر الدعوة النصرانية في مدينة بصرى فعد بذلك رأس أساقفتها ، وقد قام بعض هؤلاء الشماسين بتلمذة العرب وخصوا بهم عرب بادية الشام وحوران[4]، فقد كانت النصرانية تجتذب قلوب أهل البادية بواسطة السياح والنساك الذين كانوا يعيشوا في القفار[5].

فقد كانت القبائل العربية تعتنق الوثنية إلا أن حالات تنصر بدأت بالظهور بينها ، فوصلت تنوخ وسليح ثم غسان إلى الشام في عصر الدولة البيزنطية واعتنقت النصرانية ، ثم رحل فريق من إياد إلى الشام وتنصر ثم نزلت تغلب بأرض الجزيرة وتنصرت ثم تبعها في اعتناق المسيحية كل من طيء ومذحج وبهراء ولخم وجذام وبلي وكثير من كلب وكان أكيدر

---

(1) جواد علي ، المفصل ، ج5 ، ص(16-17).

(2) شيخو ، الإله العربي ، مناف ، مجلة المشرق ، سنة 24 ، 1926 ، ص(197-200) ؛ البكري ، معجم ما استعجم من الأسماء ، ج3 ، ص(1010،923) .

(3) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(31).

(4) شيخو ، المرجع السابق ، ص(28-29).

(5) نفس المرجع ، ص(35).

دومة الجندل نصرانياً[1]، وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه : " وأما من تنصر من أحياء العـرب فقوم من قريش وقوم من طيء وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم وربيعة "[2].

لا يوجد تاريخ واضح يبين تاريخ انتشار المسيحية بين العرب البـدو[3]، وقـد ذكـر (سوزومان/Sozomen) في تاريخه عن عرب الشام " قد تنصَّر كثيرٌ من العرب (الشرقيين) قبل زمان والنس (364م-378م) ممن اجتذبتهم إلى الإيمـان المـسيحي إرشـادات الكهنـة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الأنحاء المجاورة لهم عائـشين بالقداسـة ومجترحين المعجزات الباهرة "[4].

ومما يؤكد أن المسيحية قد انتشرت في بلاد الشام في القرن الرابع الميلادي :

أ- لم يتأكد الوجود العربي في بلاد الشام بشكله القبلي الواضح إلا في القرن الرابع الميلادي .

ب- لم تورد الكتب النصرانية أية إشارات واضحة تبين بداية تنـصر العـرب ، حيـث أن معلوماتها جزئية غير واضحة .

ج- لم تتركز وتستقر الديانة المسيحية في مختلف جهات بلاد الشام إلا مـع بدايـة القـرن الرابع الذي يمكن اعتباره منطلقاً للمسيحية وذلك بتقسيم القـرن إلـى مـرحلتين هـامتين مميزتين هما :

أ- أصول المسيحية العربية في بلاد الشام خلال القرنين الرابع والخامس ، فقد عرفت الديانة المسيحية منذ القرن الثالث تطوراً هاماً من حيث الانتشار وعدد الأتباع وهو ما ساعد على بروزها في شكلٍ منظم في العديد من المناطق الشامية ، فقد تمَّ منحها الاعتراف الرسـمي من الدولة الرومانية بموجب أمر ميلانو الذي تمَّ إعلانه سنة (313م)، وبذلك تكـون قـد دخلت مرحلةً جديدةً من تاريخها ، فامتدت هذه الديانة إلى الأطراف الجنوبية لبلاد الـشام

---

(1) البطاينه ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص(46-47).

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(257) ؛ شيخو ، النصرانية ولآدابهـا عنـد عـرب الجاهليـة، ص(31).

(3) Trimingham, Christianity among the Arabs, p(116) .

(4) شيخو ، المرجع السابق ، ص(35) .

حيث ترتفع كثافة السكان العرب الموجودين فيها ، حيث تكونت في تلك المناطق أسقفيات كثيرة وذلك منذ منتصف القرن الرابع وتكاثر عددها بشكلٍ واضح خلال القرن الخامس[1].

إضافةً إلى ما سبق فقد ساهم اعتناء الرهبان بالمرض والدعاء لهم في ازديـــاد عـــدد أتباع الديانة المسيحية ، كما ساهم بعضهم الآخر في تنصير الوثنيين (القبائل في بلاد الشام)، فقد سخر القديس هيلاريون (291م-271م) نفسه للتبشر بين الوثنيين في صـــحراء جنـــوب فلسطين (منطقة النقب) خلال النصف الأول من القرن الرابع ، وممن تأثر به القبائـــل التـــي كانت تعبد العُزى (نجم الصباح)، ويبدو أن النشاط التبشيري لهم كان ناجحاً في تلك المنطقة ، فقد ورد في المصادر الكنسية أن رئيس قبيلة يدعى (زوكوموس) قد تنصَّر هو وقبيلتـــه وقـــد يكون الراجح أن هذا هو خجعم جد قبيلة الخجاعمة من بني سليح[2]، وقد نسبت إليهم المصادر العربية ملكاً هو داوود بن الهبوله (اللثق)، الذي ينسب إليه دير داوود في مادبـــا مـــن أرض البلقاء . وهذا دليل على أن تنصر قبيلة سليح قد كان في هذا القرن .

ومع بداية القرن الخامس أخذت عملية التنصر واعتناق المسيحية مظهراً جديداً حيث تنظمت القبائل بشكل محلات أو مخيمات وهو ما أُطلق عليه لفظ (Parembolae) وكانت هذه التجمعات تحت سلطة الأساقفة وكانت مناطق تلك التجمعات في (القدس ، دمشق ، بعلبك) أما عرب الشمال فقد كانت تبعيتهم للقديس شمعون/S. Simeon وقد أشارت الروايات إلى أنهـــم قد تركوا عبادة الأوثان وأكل لحوم الجمال[3]، مما سبق نستنتج ما يلي :

1- أن قسماً من عرب الشام قد اعتنق الديانة المسيحية منذ القرنين الرابع والخامس وذلك عن طريق الرهبان والنساك والمتزهدين .

2- تأسست أسقفيات عربية عديدة منذ القرنين الرابع والخامس إلا أنها بقيت مشتتة معزولـــة عن بعضها البعض .

كانت المسيحية التي نشأت بالشام في القرنين (4م،5م) هي المسيحية الأرثوذكسية .

---

(1) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(29-30).

(2) Shahid, Irfan, Byzantum & Arabs in 5th cent., p(4) .

(3) العايب ، المرجع السابق، ص(32) ؛ Shahid, op cit., pp(3-4) .

ب :- المسيحية العربية اليعقوبية والملكانية في بلاد الشام

لقد أصبحت المسيحية الشرقية منذ القرن الخامس مقسمةً إلى ثلاث فرق كبرى هي :

1- الملكانيون 2- اليعاقبة 3- النساطرة

وقد انتظمت كل فرقة في كنيسة منشقة عن الأخرى وسيتم التطرق لهـذا الموضـوع عند الحديث عن مذهب الطبيعة الواحدة والملكة ماوية العربية[1].

8- العوامل التي أدَّت إلى انتشار المسيحية :

كأية ديانةٍ سماوية نزلت وطلب من الناس اعتناقها فقد واجهـت الديانـة المـسيحية بمعوقاتٍ كثيرة ، إلا أنه في الوقت ذاته كان هنالك عوامل أدَّت إلى انتـشارها بـين النـاس والقبائل ومن العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية ما يلي :

أ- الرهبان والنساك المنعزلين الذين أثروا بشكل كبير على تنصر القبائل العربية ، وفي ذلك يقول دوشاس : " كانت صحراء سوريا من لبنان إلى جبـال أرمينيـة تزخـر بالنـساك المنعزلين ". فقد انتشر العرب في بلاد الشام شمالاً حتى ماردين وخلال الاضطهاد الـذي أصاب أصحاب مذهب الطبيعة الواحد فقد انتشر الرهبان وتفرقوا من أديرتهم التي كانـت موجودة في منطقة الجزيرة الفراتية ، فقد ارتحل بعضهم جنوباً حتى الصحراء الجنوبيـة (أقصى جنوب بلاد الشام) وغيرها من المناطق[2].

ب- ظهور الإمبراطور فيليب العربي الذي كان عربي الأصل ومسيحي الديانة ، وقـد مثَّـل ظهوره انتصاراً للمسيحية العربيـة علـى أعلـى المـستويات ، وخـصوصاً الـسلطة الإمبراطورية[3].

ج- انتشار الأسقفيات والمراكز الدينية المسيحية في بلاد الشام ومختلف مناطق الولاية العربية منذ منتصف القرن الرابع وتكاثر عددها بشكلٍ واضح خلال القرن الخامس[4] وقد كانـت

---

(1) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(35).

(2) العايب ، المرجع السابق، ص(32-33). Segal, Arabs in Syriac leterature , p(100) ؛ دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ص(356).

(3) Shahid, Irfan, Rome & Arabs , p(36) ؛ شيخو ، النصرانية وآدابها ، ص(32-33).

(4) Meyers, Oxford Encyclopedia of Archaelogy, 5 vol, vol 5, p(140) .

مناطق نفوذ القبائل العربية تحوي عواصم ومراكز دينية عديدة منها (جرش ، عمان ، مادبا ، حسبان ، درعة ، صنمين ، نوى ، بُصرى ، هرّان ، الكرك ، ربّه ، الرصافة ، تدمر[1]، أنطاكيه التي كانت من أكبر مراكز انتشار النصرانية[2].

د- دخول أعدادٍ كبيرة من القبائل العربية في الديانة المسيحية وقد جاء تنصر بعض القبائل بعد تنصر زعمائها ، والبعض الآخر تنصر زعماؤها فتنصرت القبيلة[3].

هـ- وجود بعض كبار رجال الدولة في الإمبراطورية والممالك العربية الذين قدموا الحماية للمسيحيين وخصوصاً أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، ومن هؤلاء الملوك أو الأمراء كانت الأميرة ماوية العربية ، الملك الحارث الخامس ، الأسقف يعقوب الرادعي ، الإمبراطوره ثيودورا زوجة جستنيان[4].

و- الخطب والعظات التي كانت تُلقى في الأسواق والمجتمعات والتي كانوا يذكرون بها الناس بالبعث والحساب والجنة والنار (الحياة الآخرة)[5] ومن الشواهد على ذلك الخطبة التي ألقاها قس بن ساعدة (الإيادي) ، في سوق عكاظ والتي جاء فيها :

" أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، ... ، وإن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ... ، يقسم قُس بالله قسماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى له ، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً "[6].

---

(1) العايب ،المسيحية العربية وتطورها ، ص(29-31).

(2) دروزة ، تاريخ الجنس العربي، ص(364).

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(258) ؛ شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(124-141) ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(124) ؛ Encyclopedia of Islam , p(938,1020), . Trimingham Christianity among the Arabs, p(122)

(4) Encyclopedia of Islam , vol.5, p(292), Trimingham ,op cit, pp(166-168), Browing, Justinian and Therdora, p(220) ؛ بيزنطة وعرب الشام ، الحوليات الأثرية ، السورية ، ص(317).

(5) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(91).

(6) صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج3 ، ص(38).

ز – تشجيع الأمراء والملوك الغساسنة لعملية بناء الأديرة والقرى ، فقد بنى عمرو بن جفنة (دير صالي ودير أيوب ودير حنا) ثم بنى الأيهم بن الحارث (دير ضخم ، ودير النبوة ودير سعف ")[1].

إلا أن عملية بناء الأديرة لم تكن قصراً على الملوك والأمراء فقد ساهم الرهبان كذلك في عملية بناء الكنائس في بلاد الشام إضافةً إلى من كانوا يستأجرونهم من العمال ، فقد بين النقش الذي تمَّ اكتشافه على أرضية كنيسةٍ بيزنطيةٍ في منطقة النعيمة/شمال الأردن

ويبين هذا الشريط أسماء المتبرعين لبناء الكنيسة من القديسين والشهداء والترجمة الأولية لهذا الشريط هي (رصفت هذه الأرضية من قبل القديسين مكسيميوس ، جرمانوس ، سباتيوس ، كابوينوس ، أورنيتوس ، إيكوسيوس وآخرين على روح الشهيد روتابي أوها توفي السني الخمس عشر الأخيرة من حياتهم ، وفي 653م)[2].

حـ– وجود أعدادٍ كبيرةٍ من الأساقفة المنتشرين في بلاد الشام فقد ورد في إحدى المخطوطات في المتحف البريطاني والتي حملت عنوان (رسالة البطريق الحارث المجيد) التي كتبها إلى المطران مار يعقوب البرادعي ، والتي تحمل الرقم (29) حيث وقعها (45) رئيس من رؤساء أديرة السريان الذين اجتمعوا في 567/5/17م في دير (ماريسّ) أوبسوس بقرية إبيتو قرب أنطاكية ، وفي رسالةٍ أخرى تحمل رقم (31) وقعها (58) رئيساً في نفس الدير في سنة 571م ، ورسالة ثالثة تحمل الرقم (41) أنشأها رؤساء أديار العربية وبعثوا بها إلى الأساقفة الأرثوذكس (السريان المونوفيزيقين) وقد وقع هذه الرسالة (124) رئيساً من رؤساء أديار سوريا الجنوبية الغربية بينهم (18) رئيساً سريانياً كتبوا أسماءهم باليونانية[3].

ح– ساعد الانشقاق الكبير الذي حدث بعد انعقاد مجمع خلقيدونية على تغلغل المسيحية بين سكان بلاد الشام الذين اعتنقوا مذهب الطبيعة الواحدة ، وقد كان في بلاد الشام أعداد هائلة

---

(1) الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ص(99–101) ؛ شيخو ، النصرانية وآدابها ، ص (30).

(2) مجلة آثار ، دائرة الآثار العامة ، العدد4 ، 2001 ، ص(34).

(3) رملة ، نصارى غسّان والسريان ، مجلة المشرق ، سنة 58، 1964 ، ص(287–288).

من الرهبان الذين كان لهم أكبر الفضل في نشر هذا المذهب بين السكان بعد الحارث وابنه المنذر والأميرة ماوية الذين قدموا الدعم لأصحاب هذا المذهب[1].

ط- ساهم وجود الرقيق القادم من بلاد الحبشة جنوب شرق الجزيرة العربية ومن شمال بلاد الشام والذي كان في أغلبه يعتنق المسيحية في نشر المسيحية داخل الجزيرة العربية ، والذي كان يجلب من قبل التجار ليباع في أسواق النخاسة ، فوجد العبيد والجواري ممن كانوا يعتنقون المسيحية[2]، ومن أشهر الأمثلة على ذلك الصحابي الجليل (صهيب الرومي).

9- الأساقفة العرب المتنفذين الذين ساهموا في نشر المسيحية :

لا بُدَّ لأية ديانةٍ سماوية أو من وضع البشر من وجود رجال دين يقومون بخدمتها ونشر تعاليمها بين الناس في محاولةٍ منهم لإقناعهم باعتناقها ، وعند ظهور المسيحية في بلاد الشام فقد ظهر العديد من رجال الدين المسيحيين الذين ساهموا في نشرها سراً أو علانية ، وقد ذكر المؤرخون من العرب وغيرهم أنه كان هنالك أعداد هائلة من الرهبان في بلاد الشام كان لهم دور في نشر المسيحية فيها[3]، وقد تمثلت هذه الأعداد في الرهبان الذين هربوا في البداية من الاضطهاد الروماني إلى الأطراف الجنوبية لبلاد الشام / شمال الجزيرة العربية حيث استطاعوا لبعدهم عن سلطة الدولة التحرك بحرية لنشر تعاليم الديانة الجديدة ، وقد تغيَّر الحال بالنسبة لهم عندما تنصر قسطنطين الكبير وأعلن المسيحية ديانةً للإمبراطورية البيزنطية وذلك في بداية القرن الرابع الميلادي ، فقد ترك العرب الكثير من النقوش التي تبين أنه كان هنالك تحول نحو الديانة المسيحية في بلاد الشام[4]، ومع ذلك فقد تعرَّض الرهبان المسيحيين في بادية الشام إلى القتل بسبب الإيمان ، وهؤلاء الرهبان كان :

أ- (كيرلس وأكويلا ودومطيان) الذين قتلوا في عمان في عهد دقلديانوس .

ب- (كزينون وزيناس) اللذان قتلا سنة (305م) .

---

(1) STRATOS, Byzantine in the 7th Century, p(19) .

(2) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(100).

(3) STRATOS, op cit, p(19) .

(4) Trimingham Christianity among the Arabs, p(93) .

ج- وقد ذكر أوسابيوس القيصري أن في زمن دقلديانوس عدد لا يحصى من الشهداء في بلاد العرب[1].

أما في القرن الخامس الميلادي فقد بدأ الرهبان يعيشون عيشة اجتماعية بعد أن كانوا يعيشوا منعزلين في القفار ، وقد كان بعض الأساقفة يتنقلون مع القبائل فيسكنون الخيم ولذلك سموا (أساقفة الخيام)[2]، وكانوا يوقعوا المجامع الدينية بـــ (فلان أسقف أهل الوبر) أو (فلان أسقف القبائل الشرقية المتحالفة) أو (فلان أسقف العرب البادية) وهذه من الشواهد الهامة التي تدل على سعة انتشار الديانة المسيحية في بلاد الشام[3].

ومن أشهر الأساقفة العرب الذين وردت أسماؤهم في كتب التاريخ المختلفة :

1- (تاويتموس) الذي ورد اسمه في مجمـــع أنطاكيـــة ســـنة (363م) وقـــد وقـــع أعمالـــه بـــ(تاوتيموس أسقف العرب)[4].

2- (موسى) وهو أحد أشهر الأساقفة العرب والذي كان تنصيبه أسقفاً للعرب أحـــد شـــروط الملكة ماوية لعقد الصلح مع الإمبراطور البيزنطي[5].

3- (اسكزيريوس) أسقف جرش .

4- (عرابيون) أسقف أذرعات .

5- (جرمانوس) أسقف البتراء .

6- (بروخيوس) وهو ينتمي إلى مقاطعة فلسطين الثالثة .

7- (تيتوس) أسقف بصرى .

8- (ثيوتيموس) أسقف العرب[6].

---

(1) شيخو ، النصرانية وآدابها ، ص(36).

(2) شيخو ،المرجع السابق ، ص(385-387) ؛ Trimingham ,op.cit, p(93) .

(3) شيخو ، المرجع السابق، ص (37).

(4) المرجع السابق ، ص (44).

(5) Trimingham , op.cit, p(93) ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(121-123).

(6) Trimingham op.cit, pp(117-118) .

9- (يعقوب البرادعي) مطران البرها الذي قام بتنصيب (89) أسقفاً وبطريريكين ومائة وألف كاهن[1]، وهو صاحب المذهب الديني المشهور باسمه (اليعقوبي) والذي أطلق على أتباعه اسم (اليعاقبة)[2].

10- (جورجي) أسقف أدرع/درعاء .

11- (ملكيصادق ، شمعون) مطارنة الرصافة .

12- (أيونيس) أسقف بالس .

13- (سامخت) أسقف قنسرين وصاحب التصانيف النادرة .

14- (شمعون) أسقف تدمر في عهد الإمبراطور قريقاس و(يوحنا) أسقف تدمر في عهد البطريرك دينيوس التلمحري.

15- (ثيودور ، يوحنا) مطارنة حلب[3].

16- (يوحنا) أسقف الرهبان العرب في حوارين .

17- (توما يبرود) إيسيدور قنسرين .

18- (توما) أسقف قرقيسيا .

19- (فولا) أسقف الرقة .

20- (بطرس) أسقف قبيلة معد .

21- (فالغ) أسقف المناذرة[4].

22- (بامفيلوس/Pamphilos) أسقف عربي من البدو مثل العرب في مجمع نيقية إلى جانب أساقفة الجزيرة الفراتية ونصيبين .

23- الأساقفة التالية أسماؤهم مثلوا العرب البدو في مجمع خالقيدونيه وهم :

أ- (جون/John/يوحنا) وكان يدعى أسقف أصحاب الخيام وقد كان يدعى (جون صاحب الطيابي) في المخطوطات السورية .

---

(1) رملة ، نصارى غسان والسريان ص(382-383).

(2) ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(100).

(3) رملة ، المرجع السابق، ص(385-387).

(4) نفس المرجع ، ص(382).

ب- (أيوستاثيوس) صاحب سكان الخيام (السراقنة) في منطقة فينيقيا الثانيــة ، وهــو أحــد الأساقفة الذين وقعوا الرسالة التي أرسلها الأساقفة فينيقيا الثانية إلى (البابا ليو/بخــصوص اعتصام الاسكندرية سنة (457م).

ج- (جون/يوحنا) أسقف المنطقة الواقعة بين القدس والبحر الميت والذي تمَّ تنصيبه فيما بعــد كأسقف لأمة أصحاب الخيام .

د- (جون/يوحنا) أسقف العرب البدو (الطيابي) والذي دُعي (زيزاي/Zizaye) في حوران .

هـ- (بروخيوس) – ورد ذكره سابقاً – وقد تمَّ تعيينه أسقفاً للعرب في البتراء التي أصبحت مشهورة كمنفى للهراطقة على كونها مركزاً للديانة المسيحية[1].

24- (مارينيوس) أسقف تدمر الذي حضر مجمع نيقية الذي عقد سنة (325م) .

25- (يوحنا) الذي شهد مجمع خلقيدونية عام (451م) وهو من أساقفة تدمر .

26- (يوحنا الثاني) الذي اشتهر أيام القيصر أنستاسيوس (491-518م)[2].

27- (الحارث ، كتاودولس/عبد الله ، ثاودوراس/عبد الله) من الأساقفة العرب الذين يــسكنوا مدن بادية الشام وقد حضروا المجامع الكنسية الأربعة الأولى في (نيقية ، القــسطنطينية ، أفسس ، خلقيدونية).

28- (طيطس) وهو من أشهر أساقفة العرب وكان رئيس أساقفة بصرى ، وقد وضــع عــدة تآليف أعظمها ما كتبه في تزييف بدعة ماني والمانويين[3].

10- الرهبان الذين قتلوا في سبيل نشر المسيحية :

بعد أن ظهرت الديانة المسيحية إلى حيز الوجود وبدأت الدعوة لها اعتبرت في نظــر أتباع الديانات الأخرى ديانةً مناهضة لدياناتهم ومعتقداتهم ، فقد قتل نتيجة لذلك الكثيــر مــن الرهبان المسيحيين . بسبب إيمانهم في بادية الشام في عهد (الملك دقلديانوس)[4]، وغيره مــن

---

(1) Trimingham Christianity Among the Arabs, p(118) .

(2) دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ص(374).

(3) شيخو ، النصرانية العربية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(34).

(4) شيخو ، المرجع السابق ، ص(34).

القياصرة والملوك الوثنيين حيث قاموا نتيجةً لذلك بالهرب إلى مناطق القبائل العربية القاطنة على أطراف بلاد الشام وذلك للحفاظ على حياتهم ونشر تعاليم دينهم بين القبائل(1).

لذلك فقد كانت المسيحية في شمال الجزيرة العربية/جنوب بلاد الشام منتشرةً بشكل كبير والسبب في ذلك كان نصرانية النعمان وملوك الغساسنة(2).

ففي سنة (31م) قام شاب يدعى (شاؤول بولس) بمحاولةٍ لوقف انتشار النصرانية إلا أنه وخلال طريقه إلى دمشق اعتنق المسيحية حيث بدأ عمله التبشيري بين يهود دمشق ، فضجوا وطلبوا حبسه إلا أنَّه تمكن من الهرب . فقضى ثلاث سنوات أو أكثر في البادية يتأمل رسالته ويبشر العرب إلا أنه قتل في رومه سنة (64م)، وفي أيام دوميتيانوس (81-96م) حلَّ بالمسيحيين وعلى أثر ثورة اليهود دور آخر من العذاب ، فاستشهد في رومه عددٌ من الأشراف . أما في عهد تريانوس (98-117م) فقد لقي أسقف (أورشليم/القدس) مصلوباً وقتل أسقف أنطاكية في روما ، بعد ذلك وفي عهد الإمبراطور فيليب العربي فقد مرَّت العلاقات بين المسيحيين والدولة الرومانية بحالةٍ من السلام ، حيث لم يتعرض المسيحيين لما تعرَّضوا له من قبل خصوصاً أنه قد تساهل الإمبراطور معهم مما جعل خلفائه يحقدون عليهم ، بعد ذلك وفي عهد (دقليدتيانوس) تمَّ تدمير الكنيسة وتمَّ إخفاء معالمها ولحق المسيحيين الاضطهاد والظلم وفي عهد قسطنس والد قسطنطين الكبير تعرَّض المسيحيين ــ لمذابح ــ حيث يذكر القديس يوسيبوس أن الرؤوس بُترت في العربية (البادية المتاخمة للشام)(3).

وقد اتبعت أساليب أخرى للعقاب ضد أتباع المسيحية وخصوصاً أتباع مذهب الطبيعة الواحدة ، فقد كان موظفو الدولة يقومون بعملية التهجير الجماعي القسري لسكان قرى بأكملها إلى أجزاء أخرى من الإمبراطورية ، حيث يتم إسكانهم داخل مجتمعات تؤدي إلى ذوبانهم بها أو إجبارهم على الرجوع عن مذهبهم الجديد ، فقد تمَّ حمل (المردانية) وهم السوريون

---

(1) شيخو ، النصرانية العربية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(35-36).
(2) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(89-91).
(3) رستم ، الروم وصلاتهم بالعرب ، ص(28-36،29).

المؤمنون بوحدة إرادة المسيح (Monothelites) من لبنان في القرن السابع إلى شواطئ آسيا الصغرى[1].

11- الأديرة التي تمَّ بناؤها في بلاد الشام :

لقد ساهم انتشار الأديرة في أنحاء بلاد الشام المختلفة إضافةً إلى الأعداد الكبيرة من الرهبان في نشر الديانة المسيحية في المنطقة . فقد احتوت مناطق نفوذ القبائل العربية على مراكز دينية هامة مثل (جرش ، عمان ، مادبا ، حسبان ، درعة ، صنمين ، نوى ، بصرى ، سويداء ، قنوات ، شهبة ، سكة أم الجمال ، بوارق ، مسيحية ، عذرا ، هزان ، الكرك ، ربّه ، الرصافه ، تدمر ، أنطاكيه)[2]، كما انتشرت الأديرة على جانبي نهر الأردن حيث عرف منها حوالي (20) ديراً ، كما بلغ عدد الكراسي فيها أكثر من أربعين كرسياً ، وقد كانت هذه الأديرة والرهبان تتعرض لهجمات اللصوص الذين كانوا ينهبون محابس الرهبان والأديرة ويسلبون ما يجدونه فيها[3].

وكان بعض العرب قد تنصّروا ومالوا إلى الرهبنه وبناء الأديرة ومثال ذلك حنظلة الطائي الذي فارق قوقه ونسك وبنى دير (دير حنظله) بالقرب من شاطئ الفرات وترهب به حتى مات سنة (590م)[4]، هذا إضافةً إلى الأعداد الضخمة من الكنائس التي تمَّ تشييدها في أنحاء بلاد الشام وقد اكتشفت البعثات الأثرية الكثير من بقاياها[5]، وكما ذكر سابقاً فقد ساهم الرهبان المسيحيون وشاركوا في بناء تلك الكنائس[6].

12- القبائل العربية التي اعتنقت الديانة المسيحية :

بعد أن انتشرت الديانة المسيحية في بلاد الشام خصوصاً عندما أعلن الإمبراطور

---

(1) رانسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ص(115).

(2) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(29-31) ؛ دروزة ، تاريخ الجنس العربي ، ص(364).

(3) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(44) ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص (495-543).

(4) الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص(89-91).

(5) شيخو ، المرجع السابق ، ص(33).

(6) مجلة آثار ، دائرة الآثار العامة ، العدد4 ، 2001 ، ص(34).

قسطنطين المسيحية ديانةً للإمبراطورية البيزنطية ، فقد اعتنق كثير من القبائل العربية تلك الديانة ، وبذلك تكون قد تحولت من الوثنية شيئاً فشيئاً ، وقد أصبح الاهتمام بشؤون النصارى من رعايا الدول الأجنبية عنصراً هاماً في السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية[1]، وقد كانت قبيلة قضاعة من أوائل القبائل التي دانت بالنصرانية في بلاد الشام ، ثم تلتها قبيلة سَلِيح ثم غسان ، وقد دخلوا باعتناقهم المسيحية تحت حماية ورعاية الإمبراطورية البيزنطية وأولتهم اهتمامها[2]، ويذكر اليعقوبي في تاريخه :" فكانت قضاعة أول من قدم الشام من العرب ، فصارت إلى ملوك الروم فملكوهم ، فكان أول الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ... بن قضاعة . فدخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب "[3].

ويذكر اليعقوبي كذلك حول أول من تنصّر من العرب ما يلي : " وأما من تنصّر من أحياء العرب ، فقومٌ من قريش من بني أسد ... ومن بني تميم ... ومن ربيعة ... وطيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم "[4]. وهنالك الكثير من القبائل التي دخلت الديانة المسيحية وسأذكر أدناه أهم تلك القبائل التي وردت في كتب التاريخ العربي وغيره وهي :

1- الأزد : ونصرانيتهم تثبتها نصرانية القبائل المتفرعة منهم[5]، إضافةً إلى تأسيس الأسقفيات الغسانية[6] ومساندة ملوك الغساسنة لمذهب الطبيعة الواحدة[7]، حيث كانوا عنصراً حاسماً في تاريخ الإيمان به في سوريا ، حيث أدت جهود الملك الحارث بن جبله إلى إحياء الكنيسة التي تأخذ بهذه العقيدة بعد أن كانت غير معترفٍ بها[8].

2- امرؤ القيس : وهو ممن صرّح اليعقوبي بنصرانيتهم حيث يقول : " أما من تنصر من

---

(1) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص(38-39).

(2) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(29).

(3) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(206) .

(4) اليعقوبي ، المرجع السابق ، ص(257) ؛ شيخو ، المرجع السابق ، ص(30).

(5) شيخو ، المرجع السابق ، ص(124-141).

(6) رملة ، نصارى غسان والسريان ، ص(381).

(7) بيزنطة وعرب الشام ، الحوليات الأثرية السورية ، ص(317).

(8) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ص(7127) ؛ ضيف ، العصر الجاهلي ، ص(100).

أحياء العرب ... ومن بني تميم بنو إمرئ القيس بن زيد مناة ... "[1]، وفي ذلك يقول ذو الرمة :

ولكن أهل امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم أكل الخنازير والخمر[2]

3- إياد : من أقدم القبائل العربية المتنصرة ، كان أغلبهم نصارى يقرأون بالعبرية .

4- بكر بن وائل : قبيلة كبيرة ، هي أخت تغلب كانت تسكن الجزيرة العربية وإليها تنسب ديار بكر في اقصى الجزء الشمالي من بلاد الشام .

6- بلي بن عمرو ، أخو بهراء ، كانوا نصارى وحاربوا مع بهراء ونصارى العرب ضد جيوش المسلمين .

7- بهراء : تحولت مثل جاراتها القاطنات في حوض نهر الفرات مثل (تغلب وتنوخ) إلى الديانة المسيحية[3]، وهي فرع من قضاعة اشتهروا بالنصرانية[4].

8- تغلب بن وائل : بلغت في الجاهلية مقاماً قلما أدركته قبيلةٌ عربية أخرى ، قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب : كانت تغلب بن وائل من أشد الناس في الجاهلية ، وقالوا : لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس ، وقد كانت إضافةً إلى نصرانيتها عريقةً بالدين (النصرانية). وعنهم يقول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ضعائن من بني جُشم بن بكرٍ جمعن بميسم شرفاً ودينا

9- تميم : ابن مرة بن أد من بني مُضر العدنانيين ، كانوا عدة قبائل ، دخلت النصرانية بينهم (بني إمرؤ القيس ، بني شيبان ، بني أيوب)، وكان منهم أسقفٌ نصراني هو (محمد بن سفيان ابن لجاشع بن دارم التميمي .

10- تنوخ : إحدى قبائل اليمن ونصرانيتها مٌجمع عليها .

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج1 ، ص(257) .

(2) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(124-141).

(3) Islamic Encyclopedia, p(938) .

(4) شيخو ، المرجع السابق، ص(124-141).

11- ثعلبة : بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيء وهم (ثعلبة بن ذهل ، ثعلبة بن رومان ، ثعلبة بن جدعا).

12- جُذام : بن مالك بن نصر ، قبيلة يمنية من الأزد ، كانت تدين بالنصرانية ، وهي من أكبر وأقوى القبائل ، وقد كان لسعة نفوذها وقوة ارتباطها مع العشائر والقبائل وتعاونها معها ما مكّنها من إقامة علاقات مع بنو ثعلبة من كندة ومع الغساسنة ومع بنو كلب[1].

13- جَرْم : بن ريات ، من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانية قضاعة ، كانت النصرانية فيهم منذ أوائل القرن الرابع .

14- الحداء والسعط : فروعٌ من بني إمرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين أهلها ، وقد مدحهم طخيم بن أبي الطخماء الأسدي قائلاً :

بنو السمط والحداء كلّ سميدع له في العروق الصالحات عروقاً
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ

15- ربيعة : اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة إلى ربيعة بن نزار وهي أكبر قسمٍ من القبائل العدنانية ، انتشرت النصرانية فيها حتى أوشكت أن تشمل كل بطونها وفروعها .

16- السكاسك والسكون : قبيلتان عظيمتان ، وهما أبناء أشرس بن ثور الكندي[2] ومما يؤيد تنصرهما أنهما كانتا في دومة الجندل ويذكر ابن خلدون في تاريخه :" وكان لقضاعة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة ، فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ، دخلوا في دين النصرانية وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون "[3].

17- سَلَيح : مرَّ ذكرها سابقاً ، وهي من أول من دخل الشام ، دانت بالنصرانية ، وملك عليها ملوك للروم رجلاً يقال له : " النعمان بن عمرو بن مالك "[4]. وقد ملكوها بعد تنصرها عن عرب الشام[1].

---

(1) Trimingham, Christianity Among the Arabs, p(122) .

(2) ابن دريد ، الاشتقاق ، ص(368).

(3) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، ص(246) .

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص(206).

18- شيبان : هي من بكر بن وائل ، قبيلتان عظيمتان على بطون وأفخاذ ، ونصرانية القبيلتان شائعة كنصرانية جذرهما بكر بن وائل ، وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر بالقرب من دجلة . ويعرف بني شيبان ببني ثعلبة عند المؤرخين الروم والسريان .

19- ضبيعة : أخوة بني شيبان يعرفون مثلهم بالثعالب ، وهم نازلون في ديار بكر ويدينون بالنصرانية ومنهم كان الشاعر الجاهلي الشهير طرفة بن العبد .

20- طيء : من أكبر قبائل العرب وأطولها باعاً وأرقاها حضارة ، أصلهم من اليمن وينسبون إلى طيء بن أود بن كهلان . كانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي (طيء) وهما (أجا وسلمى)، كانوا يسكنون في أطراف اليمامة في نواحي تيماء . كانت ديانتهم أولاً الوثنية ، ومن آثار النصرانية في طيء أديرة للرهبان في أنحائهم .

21- عامله : ينسبون إلى عامله بن سبأ من بني قحطان ، سكنوا العراق ثم انتقلوا إلى الشام ، وإليهم تنسب جبال عامله ، كانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام ، حاربوا مع البيزنطيين ضد المسلمين في معركتي مؤتة واليرموك .

22- العباد : عدة بطون من قبائل مختلفة نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب إليهم خلقٌ كثير منهم عدي بن زيد العبادي ، وقد ذكرهم ابن خلدون في حديثه عن نصارى العرب في العراق بقوله : " كانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة ... والثانية العباد الذين يسكنون الحيرة وأوطنوها ... ".

23- عبد الدار : فرعاً من لخم ، سكنوا مدةً في مكة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية ، ثم لحقوا بعرب العراق ، وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين .

24- عبد القيس : قبيلة من ربيعة كانت تسكن في تيماء وبصرى وبلاد البحرين ، كانت النصرانية غالبةً عليها ، ومن هذه القبيلة كان الراهب المشهور (بحيرا النسطوري).

25- عبس وذبيان : أبناء بغيض بن غطفان من قبائل مُضر ، ليس هنالك دليلٌ صريحٌ على نصرانيتها ولكن يستدل على ذلك من بعض الشواهد مثل تنصر قيس بن زهير بن جذيمة

---

(1) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(124).

العبسي سيد بني عبس في أيام داحس والغبراء ، أما ذبيان فشقيقه عبس ولا يستبعد أنها دانت بالنصرانية ، ويتضح ذلك من قول شاعرها النابغة الذبياني حيث يقول :

ظلَّـــت أقاطيــع أنعــامٍ مؤبَّلـــةٍ　　　لــدى الصليبِ على الزوراء منصوب

26- عجل : قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم أخوة بني ضيفة ، وكلهم نصارى ، وعجل إحدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار ، وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار العجلي ، ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم إلى أيام بني أمية .

27- عُقيل : بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه من غطفان ، كـــانوا يـــسكنون اليمامه وكان أهل اليمامة من أتباع النصرانية وكان قسمٌ منهم يسكنون في الجزيرة عنـــد نهر الخابور مع نصارى تغلب وبكر .

28- غسان : ورد ذكرهم سابقاً ، فلم يذكر أحد ممن عددوا القبائل المتنصرة إلا وذكر فـــي مقدمتها أو ضمنها غسان ، واشتهر منهم بنو جفنة وهم ملوك الغساسنة الذين امتـــدحهم النابغة الذبياني بقوله :

محلَّتهـــم ذات الإلـــه ودينهـــم　　　قديمٌ فما يرجون غيــر العواقــب[1]

استقروا داخل أراضي الإمبراطورية البيزنطية في نهاية القرن الخـــامس واعتنقـــوا النصرانية ووافقوا على دفع الضرائب[2].

29- فرسان : قبيلة من تغلب وإليهم تنسب جزائر فرسان وقد كانوا قديماً نصارى ولهم فـــي جزائر فرسان كنائس ، وقيل أن فرسان هو لقب عمران بن عمرو ... بن تغلب ، قيـــل لقب به لجبل في الشام اجتاز فيه وسكن ولده به ثم ارتحلوا إلـــى الـــيمن ونزلـــوا هـــذه الجزيرة فعرفت بهم .

30- قضاعة : وردت سابقاً وهي من أول من قدم الشام من العرب ، دخلوا في النـــصرانية فملكهم الروم على من ببلاد الشام من العرب[3].

---

(1) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(124-141).

(2) Encyclopedia of Islam, p(1020) .

(3) شيخو ، المرجع السابق ، ص(124-141).

ويعد عمرو بن عامر من أشهر زعمائهم وكان على النصرانية ويستدل على ذلك من شعرٍ قاله عندما حضرته الوفاة :

وأدركت روح الله عيسى بن مريم ولست لعمر الله إذ ذاك الطفلُ[1]

31- القين / بلقين : بطن من قضاعة ، يستدل على اعتناقهم الدين المسيحي أنه في معركة اليرموك حاربت جموع من العرب المتنصرة مع هوكل وكان من ضمنهم قبيلة بلقين[2].

32- كلب : وقد تحدثت عنها سابقاً ، وهي قبيلة عظيمة من قضاعة تقسم إلى عدة بطون وهم من أقدم العرب في النصرانية وأقدمهم عهداً بها[3]، كانت منهم أعداد كبيرة تسكن على شواطئ مضيق القسطنطينية[4].

33- كندة : ورد ذكرها سابقاً ، ومن أكبر دلالات اعتناقها المسيحية أن أحد كبار سادتها كان يدعى عبد المسيح ، ومنهم كذلك حُجّة بن الضرب الشاعر الذي أدرك الإسلام ومات على نصرانيته .

34- لخم : من أشهر أحياء العرب بنصرانيتها ، بقيت على نصرانيتها زمناً بعد الإسلام ، ومنهم كذلك بنو صالح الذين اختارهم جستنيان لحراسة دير طور سيناء .

35- مازن : بطن من الأزد كانوا في العراق يدينون بالنصرانية .

36- مذحج : قبيلة يمنية تنتسب إلى مذحج وهو مالك بن أزد بن أدر بن كهلان ، كانت تسكن في جهات الموصل ومنهم كان بنو الحارث بن كعب أهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني .

37- ناجية : بنو ناجية بن عقال ، يقال أنهم قوم الفرزدق ينتهي نسبهم إلى تميم ومن شواهد تنصرهم ما حدثه الطبري عن ابن طفيل عندما تحدث عن الجيش الذي أرسل إلى بني ناجية بقوله : " ... قالوا : نحن قوم نصارى لم نرد ديناً أفضل من ديننا فثبتنا عليه ".

---

(1) البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الإسلامي ، ص(40).

(2) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ، ص(36) .

(3) Trimingham, Christianity among the Arabs, p(122) .

(4) Encyclopedia of Islam, p(689) .

38- النبط : سواء عُدوا من العرب أم لا فقد اختلطوا بالعرب في أنحاء بلاد الشام وأرياف العراق وتخوم مصر ، ويدينهم بالنصرانية قديم .

39- عذرة : كانوا في منطقة وادي القرى الذي كان يخضع للإدارة البيزنطية ، وقد اعتنقت النصرانية[1].

40- النمر بن قاسط : حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب وبني بكر وقد دانوا جميعاً بالنصرانية .

41- يشكر : فرعٌ من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانية كأخوتهم من بكر ، كانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم[2].

12- المونوفيزيقية / مذهب الطبيعة الواحدة :

منذ القرن الخامس الميلادي قُسِّمت المسيحية الشرقية إلى ثلاث فرق مسيحية كبرى هي : الملكانية ، اليعاقبة ، النساطرة ، ويهمنا من هذه الفرق الثلاث اليعاقبة الذين كان لهم دورٌ هامٌ في نشر الديانة المسيحية بين عرب بلاد الشام ، وخصوصاً المذهب اليعقوبي (مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح).

وقد جاءت تسمية هذا المذهب باليعقوبي ، نسبةً إلى الراهب يعقوب البرادعي الذي كان يقيم بديره في منطقة الرها وانتشرت أخباره بين الغساسنة الذي بادر ملكهم الحارث الغساني / الخامس (ابن جبلة بالاتصال به لينقذهم من وباء كان قد حلَّ بهم ، ولم يكن اتصال الملك الغساني بهم وليد الصدفة بل نتيجةً لما وصل إلى مسامعه من مقدرته على المداواة والقضاء على البلايا[3].

وقد طلب يعقوب من الحارث أن يفرج عن أحد الرهبان الذي اعتقله جنوده حتى يتمَّ له ذلك ، ففعل فانحسر الوباء وبعد ذلك توجَّه يعقوب والراهب سرجيس إلى القسطنطينية فلقي ترحيباً من الإمبراطورة ثيودورا زوجة الإمبراطور جستنيان التي تعود اصولها الى منطقة (منبج) ، وعندما علم الحارث بذلك سافر إلى القسطنطينية حيث طلب من بعض رجال الدين

---

(1) Trimingham, Christianity among the Arabs, p(120) .

(2) شيخو ، النصرانية وآدابها عند عرب الجاهلية ، ص(124-141).

(3) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(36-37).

التوسط إلى الإمبراطورة ثيودورا ليقوموا بتنصيب أسقفين أو ثلاثة للجماعات المونوفيزيقية في سوريا التي لم يكن بها سوى ثلاثة أساقفة فقط[1]، أحدهم في جبل ماردين والآخر في بلاد فارس والثالث في الإسكندرية ، فلبّت الملكة طلبهم وطلب الحارث وتمَّ تنصيب يعقوب مطراناً للرها والآخر مطراناً لبصرى والقبائل العربية وفلسطين ما عدا أورشليم/القدس .

و في سنة (543م) تـم تأسيس أسـقفية عربيـة يعقوبيـة أُطلِـقَ عليهـا اسـم (أسقفية غسان) [2].

بعد أن تمَّ تنصيبه مطراناً للرها بدأ يعقوب بتنصيب أساقفة لمـدن سـوريا وغيرهـا كطرطوس وسلوقيا واللاذقية وقنسرين ، ثم وضع اليد على الراهب سـرجيس ورقـاه عـام (538م) إلى الرتبة البطريركية وهو ثاني بطاركة السريان الأنطـاكيين القـائلين بالطبيعـة الواحدة[3]، وقد قام يعقوب بتنصيب (89) أسقفاً وبطريركيت ومائة ألف كاهن ، وقد أصبحت قبيلة الغساسنة تتبع للمذهب اليعقوبي كاملة بل أصبحت تنفر من النصارى القـائلين بعقيـدة المجمع الخلقيدوني لدرجة أنها لم تكن ترضى أن تشاركهم في أكل الخبز[4].

فقد كان للغساسنة دوراً كبيراً في الإيمان بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح في سـوريا ، حيث أدَّت جهود ملكهم الحارث الخامس إلى إظهار الكنيسة التي كانـت تـدعو إلـى هـذه العقيدة[5]، بعد أن كانت غير معترف بها في عصر الإمبراطور الخلقيدوني (جوسـتين الأول 518م-527م)، ففي عام (540م) ونتيجةً للوساطة مـن قبـل رجـال الـدين فـي الـبلاط الإمبراطوري فقد حصل الحارث الخامس على قرارٍ إمبراطوري بتنصيب اثنين من الأساقفة الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح[6].

---

(1) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ، ص(239).
(2) العايب ، المسيحية العربية وتطورها ، ص(37).
(3) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص(239).
(4) رملة ، نصارى غسّان والسريان ، ص(382-383).
(5) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق ، ص(320،238-321).
(6) عثمان ، الحدود الإسلامية ، ص(68-69) ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(134) ؛ نولدكه ، أمـراء غسان ، ص(20-22).

وقد استمر ملوك الغساسنة الحارث وابنه المنذر في حماية هذه الكنيسة من الأعـداء الخلقيدونيين ومن الحركات الإنقسامية في الداخل (هرطقة التثليث) التي قال بها أيوجينـوس وكونون) وكذلك من الصراع على كرسي البطريركية بين أساقفة أنطاكية والاسكندرية[1].

بعد وفاة الحارث الخامس تولَّى الحكم بعده ابنه المنذر بن الحارث وفي عهـدة كـان أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة يعانون انقساماً خطيراً بين أتباع يعقـوب البردعـي وأتبـاع بولص أسقف الاسكندرية ، وقد باءت جميع محاولات المنذر لحـل النـزاع بـين الطـرفين بالفشل[2]، حيث تمّ عند ذلك إرسال وفد من القسطنطينية لحل النزاع بين الطرفين إلا أنه فشل كذلك في حل النزاع ، فتقدم عند ذلك المنذر بطلب إلى الإمبراطور يرجـوه فيـه أن يرفـع الاضطهاد وعن المونوفيزيقيين مقابل تعهده ببذل قصارى جهده في التقريب بين الطرفين[3]، ويمكن أن يكون تعهده هذا مردُّه إلى العلاقة الحسنة التي كانت بين والده الحـارث الخـامس والبطريرك بولص الأكامي بطريرك أنطاكيه[4].

(1) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ص(7127-7128).

(2) بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة ص (245).

(3) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص(136).

(4) بيغوليفسكيا ، المرجع السابق، ص(324).

الخاتمـــة

مما سبق اتضح بأن الوجود العربي في بلاد الشام لم يكـن وليـداً للفتوحـات الإسلامية التي جاءت في النصف الأول من القرن السابع الميلادي وإنما سـبق ذلـك بوقت طويل بل طويل جداً حيث قدّره البعض بالقرن (26 ق.م) وقدمه البعض الآخـر إلى القرن الثامن الميلادي ، وتدل التسميات التي أطلقها اليونان والرومان والبيزنطيون وكذلك الفرس على بعض مناطق بلاد الشام بأنه كان هنالك وجود عربي قوي بعا والا لماذا يطلق ما يدل على الوجود العربي على منطقة تخلو من العرب ؟، فقد اسـتوطنت بعض القبائل العربية في أجزاء مختلفة منها بعد أن قضت مدة طويلة في التنقل ، لتبـدأ عند ذلك تكون مرحلة جديدة من حياة القبائل خصوصا فيما يتعلق بالعلاقة مـع البيئـة التي سكنتها القبائل أو بالعلاقة مع سكان المنطقة الأصليين أو المسيطرين عليها والأمر هنا يتعلق بالعلاقة مع الفرس والرومان ثم البيزنطيين .

وفي استقرارها في مواطنها الجديدة فان القبائل تكون قد ابتعدت عن مواطنهـا الأصلية التي نشأ بها أغلب أفرادها ، وبالتالي أصبحت معرَّضةً لتأثيرات مختلفـة مـن المناطق المجاورة لها في مواطنها الجديدة ، يمكن تقسيمها إلى :

- **تأثيرات اجتماعية** : تمثلت في (الأسماء والعادات والتقاليد)التي أدت في النهايـة إلى ذوبان هذه القبائل في المجتمعات التي استقرت بينها لدرجة أنها كانت تتعـرض أحياناً للغزو من نفس فرعها الذي فضل البقاء في موطنه الأصلي بحيث لم يفرقـوا بين أبناء جلدتهم وأهل المنطقة التي أغاروا عليها .

- **تأثيرات اقتصادية** : تمثلت بالتخلي التدريجي عن الحرف الأصلية التي كان يمتهنها البدوي ، فنجد أن سكنهم في المناطق القريبة من المدن قـد جعلهـم يتعـاملوا مـع الزراعة والتجارة بشكل تدريجي لم يلبث البعض منهم بعد مدة زمنية أن تخلى عـن الرعي والغزو والترحال ليمارس الزراعة والتجارة وبعض الصناعات لأنه ليس من المعقول أن يمارس الشخص الزراعة دون أن يكون مستقراً فـي نفـس المنطقـة أو بالقرب منها .

- **تأثيرات دينية** : لقد تأثرت القبائل العربية في بلاد الشام بديانات مختلفة كان مصدرها المناطق/الحضارات المجاورة ، فدخلت إلى المنطقة أديان آلهة وطقوس دينية من تلك المناطق ، فقد دخلت عبادة الكواكب من بلاد الرافدين وجنوب الجزيرة العربية وبنيت لها المعابد أقيمت النصب والمذابح للتقرب منها.

- **تأثيرات سياسية** : وقد كان لها دور فاعل جداً في تحديد العلاقات الداخلية والخارجية للقبائل خصوصا إذا علمنا انه قد كان هنالك بعض الأحلاف العسكرية والسياسية بين بعض القبائل والدول العظمى المسيطرة في ذلك الوقت خصوصا الدولة الفارسية والدولة البيزنطية حيث تبنت الأولى إمارة المناذرة في العراق في حين تبنت الثانية إمارة الغساسنه وجعلتا منهما كيانات سياسية كبرى في ذلك الوقت الهدف منها حماية الحدود من أي هجمات قد تقوم بها القبائل البدوية القاطنة في الصحراء لأي سبب ، إضافة الهدف الأساسي الذي يتمثل بالوقوف في وجه الإمارات المنافسة أو تأديب زعماء بعض القبائل إذا تطلب الأمر ذلك وذلك مقابل مبالغ مالية سنوية كانت تدفع لزعماء القبائل الحليفة للقيام بذلك ، وقد سميت تلك الكيانات بالدول الحاجزة ، فقد منعت الدولة البيزنطية القبائل العربية من الإقامة داخل المدن الكبرى كما حصل مع الغساسنة الذين كانوا يقيمون في دمشق عندما أخرجهم منها الإمبراطور البيزنطي ليستقر بها وينتقلوا هم للإقامة في منطقة الجولان في الجزء الجنوبي من بلاد الشام .

وقد تناولت خلال فصول الرسالة الأربعة (الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام ثم استقرار القبائل فيها وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية) وقد كان لاستقرار القبائل العربية في بلاد الشام دوراً كبيراً في الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام التي بدأت في النصف الأول من القرن السابع الميلادي بحيث التحقت بطون من القبائل العربية المقيمة في الجزيرة العربي بفروعها التي كانت قد هاجرت منها في فترات سابقة .

آملاً أن أكون قد ألقيت الضوء على موضوع استقرار القبائل العربية في بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي بشيء من التفصيل في ضوء ما توفر لي من مصادر ومراجع .

والكمال لله وحده

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1. المصادر العربية المطبوعة:

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس

- ابن الأثير ، عز الدين ابن الأثير الجزري (555 –630 هـ) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، 3ج ، دار صادر ، بيروت ،1980 .

- ابن الأثير ، أبى الحسن علي (ت 630هـ) الكامل في التاريخ ،10ج ، ط2 ، تحقيق أبى الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1995 .

- الإدريسي ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن إدريس (ت 660 هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،

- الإصطخري ، أبى اسحق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ،مراجعة محمد شفيق غربال ، دار القلم ، بيروت ، 1961 .

- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت360هـ) ، تاريخ سني ملوك الأرض ، ط3 ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1961 .

- الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ،25ج ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، بيروت ، دار الثقافة ، 1955

- الأندلسي ، ابن سعيد (610 –685 ÷) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، 2ج ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، ط1 ، دار مكتبة الأقصى ، عمان ، 1982 .

- الأندلسي ، ابن حزم (384 – 456 هـ) ، جمهرة انساب العرب ،

- الأصمعي ، عبد الملك بن عريب ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد المكتبة العلمية ، 1959 .

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت 703 هـ) ، تحفة النظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار ، ط1 ، المطبعة الأزهرية / مصر ، 1928 .

- البكري ، أبى عبيد الله (ت 478هـ) معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلدان ، 4ج ،ط3 ، عالم الكتب بيروت ، 1993 .

- البغدادي ، محمد بن حبيب (ت 245 هـ) ، المحبر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد (الدكن) ، 1942 .

- البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،1978 .

- ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن احمد (1144-1217) ، د .ط ، دار صادر دار بيروت ، بيروت ، 1964 .

- أبن حبيب ، أبى جعفر محمد (ت 245هـ)
  - المحبر ، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر ، دائرة المعارف العثمانية ، ط1، 1942 .
  - مختلف القبائل ومؤتلفها ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان .

- حسان بن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت ، شرح عبدأ مهنا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

- الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، (ت665 هـ) ، معجم البلدان ، 5 ج ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1979 .

- ابن حوقل ، أبى القاسم(ت ق 4 هـ) ، صورة الأرض ، 3ج ، ط2 ، مطبعة بيرل ، ليدن . 1967

- الخزاعي ، دعبل بن علي (148-246 هـ) ، وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود ، ط1 ، تحقيق نزار اباظة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

- ابن خلدون ،عبد الرحمن (ت 808هـ) ،
  - تاريخ ابن خلدون ، 10ج ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1999 .
  - ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ،ط6 ، دار القلم ، بيروت ،لبنان ،1986.

- ابن دريد ، أبى بكر محمد بن الحسن (223-321ه) الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي مصر .

- الدينوري ، أبى حنيفة احمد بن داوود (ت282 هـ) الأخبار الطوال ، تحقيق عصام محمد الحاج علي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001 .

- السويدي ، أبى الفوز محمد أمين البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1986 .

- الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ) تاريخ الأمم والملوك ، 13ج ، دار الفكر ، . 1979

- ابن عبد البر ، أبى محمد يوسف (ت 463هـ) ، الإنباه على قبائل الرواة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي .

- ابن العديم ، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده (ت 660 هـ) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، 11 ج ، دمشق ، 1988 .

- عمرو بن كلثوم ، المعلقة ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، ط1 ، دار الاعتصام ، القاهرة ، . 1980

- أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين) ، المختصر في تاريخ البشر ، 4ج .

- ابن قتيبه ، أبي محمد عبد الله (ت 276هـ) ، المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1987 .

- القرماني ، احمد بن يوسف (ت1019 هـ) ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، 3ج ، تحقيق فهمي سعد و أحمد حطيط ، ط1 ، عالم الكتب ،بيروت ، 1992 .

- القلقشندي ، أبى العباس احمد بن علي (ت 821 هـ) ،
  - نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د ت .
  - قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري ، ط2 دار الكتاب المصري اللبناني ، 1982 .
  - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، 14ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1987 .

- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ (774ه) ن البداية والنهاية ، تحقيق محمد أبو ملحم وآخرون ، ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

- الكلبي ، محمد بن السائب (ت204 هـ) ،
  - نسب معد واليمن الكبير ، 3ج ، تحقيق محمد فردوس العظم ، دار اليقظة العربية دمشق ، د ت .
  - جمهرة النسب ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط1 ، مطبعة حكومة الكويت، 1983 .

- المبرد ، أبى العباس محمد بن يزيد (ت285 هـ) نسب عدنان وقحطان ، تحقيق عبد العزيز الميني الراجوكوي ، د ط ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، 1936 .

المقدسي ، محمد بن احمد (ت 390هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط3 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1991 .

- المقدسي المعروف بأبي شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت599 - 665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، 5 ج ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1997 .

- ابن منبه ، التيجان في ملوك حمير ، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء 1979 .

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) ،
  - لسان اللسان ، تهذيب لسان العرب ، 2 ج ، ط1 ، المكتب الثقافي لتحقيق الكتب / عبدأ مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 .
  - لسان العرب ، تنسيق وتعليق علي شيري ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي / مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، 1992 .

- المسعودي ، أبى الحسن علي بن الحسين (346 هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر 4ج تحقيق يوسف اسعد داغر ،دار الأندلس ، ط6 ، بيروت ، 1984 .

- المغيري ، عبد الرحمن بن حمد ، المنتخب في ذكر قبائل العرب ، ،تقديم علي السيد صبح المدني ، دار المدني ، جدة .
- موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، 30ج .

- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (677-733هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، 18ج .

- ابن هشام ، أبى محمد عبد الملك (ت 213هـ) ، السيرة النبوية ،4ج ، تقديم وضبط طه عبد الرؤوف سعد ن دار الجيل ، بيروت ، 1987 .

- الهمذاني ، أبى محمد الحسن بن احمد (ت 343هـ)
  - صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ،ليدن ، 198 .

  - الإكليل ، 2ج ، ط2 ،تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالي ، دار الحرية للطباعة بغداد ،1963 .

- الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207هـ)
- المغازي ، تحقيق مارسدن جونز ، 3ج ، ط3 ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1984 .

- فتوح الشام (المنسوب للواقدي) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب (ت 284هـ)
- البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، العراق .
- اليعقوبي احمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، 2 ج ، ط6 ، دار صادر بيروت ، 1995 .

2- المصادر الأجنبية المطبوعة :

- Microsoft Corporation ,Microsoft Encarta World Atlas 2000.

- The Encyclopidia Of Islam ,.

- Glare.P.G.W, Oxford Latine Dictionary ,Oxford University Press, New York ,1994.

- Hammond.N.G.L, Oxford Classical Dictionary,2nd Edition Oxford Clarendon,1979.

- Cook.J.Itt- Clark Worth,Cambridge Ancint History ,Cambridge University Press.

- Meyers .Eric.M, Oxford Encyclopidia Of Archaelogy ,5vol,New York,Oxford University Press, 1997.

- Strabo ,The Geography Of Strabo ,Translated By Horace Leonard.Jones , 3rd Edition, 8vol , Harvard University Press .

3- المراجع المطبوعة باللغة العربية :

- إسماعيل ، سعيد ، النبات والفلاحة والرعي عند العرب ، القاهرة ، دار الثقافة ،1983 .

- أمين ، احمد ، فجر الإسلام ، ط7 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1955 .

- الأنباري ، أبي بكر محمد بن قاسم ، ديوان عامر بن طفيل ، دار صـــادر / دار بيــروت ، بيروت ، 1963 .

- الالوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، 3ج ، تصحيح محمد بهجت الأميــري ، ط2 ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، 1924 .

- اسعد ، الخوري عيسى ، تاريخ حمص ، 1940 .

- بدران ، شارل جورج ، أطلس العالم ، د م ، مطابع فالاردي ،1978 .

- الجندي ، علي ، الشاعر الجاهلي طرفه بن العبد ، دار الفكر العربي .

- حاوي ، ايليا ، ديوان أمرؤ القيس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1970

- حتي ، فيليب ، تاريخ العرب ، ط7 ، دار غندور للطباعة ، بيروت ، لبنان ، 1986 .

- الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن ، 5ج ، ط1 ، منشورات المدينة ، بيروت لبنان ، 1986 .

- حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، 4ج ، ط7 ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 164 .

- حسين ، فالح صالح ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرن الأول الهجــري ، عمــان ، 1978 .

- حمارنة ، صالح ، الناس والأرض ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1991.

- الحوفي ، احمد محمد ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ، ط3، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، مصر ، 1956 .

- الحياري ، مصطفى ، الإمارة الطائية في بلاد الشام ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان الأردن ، 1977 .

- خان ، محمد عبد المعين ، الأساطير العربية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، 1937

- خريسات ، محمد عبد القادر
  - تاريخ الأردن منذ الفتح حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لجنة تاريخ الأردن ، عمان ، 1992
  - تاريخ الحضارة الإنسانية ، ط1 ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، اربد ، الأردن ، 1999 .

- الخضري بك ، الشيخ محمد ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، 2ج ، ط4 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، مصر ، 1933م /1354هـ .

- الخطيب ، محب الدين ، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1933م / 1344هـ .

- الخطيم ، أبو يزيد قيس بن الخطيم ، ديوان قيس بن الخطيم ،ط3، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ،بيروت ، 1991 .

- أبو خليل ، شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ،ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، 1416/1996 .

- الدباغ ، مصطفى مراد ، القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين ،،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1986 .

- الدبس ، يوسف ، مختصر تاريخ سوريا ، 2ج ، ط2، 1984 .

- درادكة ، صالح ، طريق الحج الشامي في العصور الإسلامية ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 1997 .

- دروزة ، محمد عزت ، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار ، 8ج المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، 1961م / 1381هـ .

- دقة ، محمد علي ، السفارة السياسية في العصر الجاهلي ، د ط ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1984 .

- رستم ، أسد ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وعلاقاتهم بالعرب ، 2ج ، دار المكشوف ، 1955 .

- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، 10ج ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، 1971 .

- زغلول ، سعد ، في محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار النهضة العربية . 1976

- زيدان ، جرجي ، العرب قبل الإسلام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

- سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

- سحاب ، فكتور ، إيلاف قريش / رحلة الشتاء والصيف ، ط1 ، كمبيونشر و المركز الثقافي العربي ، بيروت ن لبنان ، 1992 .

- السعيدي ، سمير ، اصل العائلة العربية وأنواع الزواج القديمة عند العرب ، بيروت ، دار الملتقى ،2000 .

- السندوبي ، حسن ، شرح ديوان امرؤ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام ، ط7 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1982 .

- شاكر ، علي ذو الفقار ، ديوان تأبط شراً وأخباره، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنـــان ، 1984 .

- الشايب ، احمد ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 1976 .

- شلبي ، احمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، 11ج ، ط11 ، مكتبـــة النهــضة المــصرية ، 1983 .

- شيخو ، لويس ، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ط2 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان 1984 .

- الصحاري ، سلمة بن مسلم العوتبي ، الأنساب ، 3ج ، د ط ، وزارة التراث القومي والثقافة 1984 .

- صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب ، 4ج ، ط1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان 1933 .

- ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي ، ط7 ، دار المعارف ، مصر ، 1976

- عاقل ، نبيه ،
  - النظم الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ، جامعة دمشق ، 1966/1967 .
  - تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي ، د ط ، د ت .

- العايب ، سلوى بالحاج صالح ، المسيحية العربية وتطورها من نشأتها وحتى القرن الرابـــع الهجري / العاشر الميلادي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1997 .

- عباس ، إحسان ، تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأمـــوي ، لجنـــة تاريخ بلاد الشام ، عمان ، 1990 .

- عبد الحميد ، سعد زغلول ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة كريدية أخوان بيروت ، لبنان ، 1974 .

- العبيدي ، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي حتى مطلع العصر الراشدي بغداد وزارة الثقافة والإعلام ، 1984 .

- عثمان ، فتحي ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر .

- عطوان ، حسين ، الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، ط1 ، د الجيل ، بيروت ، 1987 .

- عطوي ، فوزي ، ديوان حاتم الطائي ، دار صعب ، بيروت ، لبنان ، 1980 .

- أبو علي ، محمد توفيق ، صور العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن (6 – 9هـ / 12 – 15م) ، بيروت ، شركة المطبوعات ، 1999 .

- علي ، احمد إسماعيل ، تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الأموي ، ط1 ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ، 1984 .

- علي ، جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، 10ج ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة بغداد ، ط1 ، بيروت ، 1970 ،ط2 ، 1976 .

- علي ، محمد كرد ،
  - خطط الشام ، 2ج ، ط3 ، مكتبة النوري ، دمشق
  - غوطة دمشق ، ط2 ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، 1952 .

- عمارة ، إخلاص ، الشعر الجاهلي بين القبيلة والذاتية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، 1991

- فروخ ، عمر ، تاريخ الجاهلية ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984 .

- أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، محمد ، أيام العرب في الجاهلية ، دار الفكر .

- الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط2، دار الفكر ، دمشق ، 1960 .

- فروخ ، عمر ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ط 2، دار العلم للملايين ، بيـــروت ، 1972 .

- الفيومي ، محمد ابراهيم ، في الفكر الديني الجاهلي ، ط2 ، دار المعارف ، مصر، 1982.

- القطب ، سمير عبد الرزاق ، انساب العرب ، ط1 ، دار مكتبة الحياة ، بيــروت ، لبنـــان ، 1968 .

- كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، 5ج ، د ط ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، 1949 .

- المدني ، زياد عبد العزيز ، مدينة القدس وجوارها خـلال فتـرة (1800-1830) ،ط1 ،منشورات بنك الأعمال ، 1996 .

- المعلوف ، عيسى اسكندر ، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف ، ط1 ، المطبعة العثمانية بعبدا ، لبنان ، 1907 .

- يحيى ، لطفي عبد الوهاب ،العرب في العصور القديمـــة، ط2 ، دار المعرفـــة الجامعيـــة ، الإسكندرية ،مصر ، 1986 .

4- المراجع الأجنبية :

- Browning ,Robert ,Justinian And Theodora ,New Yourk,Praeger,,1971.

- Kazhdan , Alexander ,The Oxford Dictionary Of Byzantium, 3vol ,New York ,Oxford University Press,1991.

- Smith ,George Adam,The Historical Geography Of The Holy Land ,13th Edition , Jerusalem Ariel Publishing House,Armstrong , 1907.

- Bouchier,E.S , Syria As Aroman Province, Longmans Green And Co, Newyork, B.H,Blackwell, Oxford .

- Shahied .Irfan,Rome And The Arabs ,Dumbarton Oaks,Washington ,Dc ,1984.

- Trimingham.J.Spencer ,Christianity Among The Araabs In The Pre-Islamic Times ,Longmans London,1979.

- David J. Johnson, 'Nabataean Trade: Intensification And Culture Change', Diss. University Of Utah.1987 .

- Shahide.Irfan ,Byzantium And The Araabs In The 5^{th} Century ,Dumbarto Oaaks, Washington Dc ,1989 .

- Kaegi.Walter,Byzantium And The Early Islamic Conquests,Cambridge University Press,1992.

- Stratos .Andreas.N, Byzantum In The 7^{th} Century ,Translated By Morce Oglivie –Grant,Amestrdam,Hakkert,1968.

- Segal.J.B, Arabs In The Syriac Leterature Befor The Rise Of Islam ,Jerusalem Studies.Vol4 ,1984.

- Parker.Thomas,The Roman Frontier In Central Jordan ,3vol,Bar International Series 340, 1987 .

- Cameron , Averil . The Cambridge Ancient History , Vol 13,Cambridge University Press .

- Ameer Ali,Syed,Ashort History Of Saracens,New Delhi Kitab,Bhawan,1977.

- Shahide .Irfan ,Byzantium And The Arabs In The 6^{th} Century, 2 Vol ,Dumbarton Oaks ,Washington Dc,1994.

- Shahide .Irfan ,Byzantium And The Arabs In The 4^{th} Century ,Dumbarton Oaks ,Washington Dc,1984.

- Bury.J.B. History Of The Later Roman Empire,1^{st} Edition ,2vol,Dover Publication Inc,New York,1958.

- Procopius, History Of The Wars,4^{th} ,7 Vol, William Heinemann Ltd,Harvard University Press,1964.

- Tado.Umesao,Significance Of Silk Road In History Of Human Civilizations,National Museum Of Ethnology,Osaka,Japan ,1992 .

- Miller.James ,Spice Tradeof The Roman Empire(29bc-641ad), Oxford Clarendon ,1969.

- Kennedy .David ,The Roman Army In Jordan , The Council For Britsh Research In The Levant , The Britsh Acadimy ,2000.

- Kennedy .David ,The Roman Army In The East,Ann Arbor ,Mi, 1996 .

- Kammerer: Petra.

- Parker. S.Thomas, The Roman Frontier In Central Jordan , 3vol, Bar Intrenational Series,1987.

- Gibbon.Edward , The Dicline And Fall Of The Roman Empire,,The Modern Library ,New York .

- Haussig. H.W,Ahistory Of Byzantine Civilization ,Translatedby J.M.Hussey ,Thames & Hudson,1971.

- Mommsen .Theodor, The Province Of The Roman Empire From Csesar To Diocletian , Translated By William P.Dickson,Charles Scribners Sons .

- Jones .A.H.M, The Cities Of The Eastern Roman Provinces ,2nd Edition , Michael Avi-Yonait And Others ,Clarendon Press,1971.

- Pollard .Nigel, Soldiers Cities And Civilians In Roman Syria,The University Of Michigan Press.2000 .

5- المراجع الأجنبية المعربة:-

- أوليري ، دي لاسي ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى علي الغول ، ط 1 ،منشورات وزارة الثقافة ، عمان ، 1990 .

- بروكلمان ، كارل ، ناريخ الشعوب الاسلامية ،

- بيغوليفسكيا ، نينا ، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب .

- جونز ، أ. هـ . م ، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية ، ترجمة إحسان عباس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987 .

- رانسيمان ، ستيفن ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، د ط، مكتبة النهضة المصرية ، 1993 .

- رستوفنزف ، م ، تاريخ الامبراطورية الرومانية (الاجتماعي و الاقتصادي) ، ترجمة زكي علي ، محمد سليم سالم ، مكتبة النهظة المصرية ،القاهرة ، 1957 .

- فرانك ، أيرين ديفيد براونستون ، طريق الحرير ، ترجمة احمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 1997 .

- فوست ، س .ب، جغرافية الحدود(القواعد والسياسات التي تراعى في تعيينها) ، تعريب محمد سيد نصر ، ط1، مكتبة النهضة المصرية .

- نولدكة ، ثيودور ، أمراء غسان من بني جفنه ، ترجمة بندلي جوزي و قسطنطين زريق المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، 1933 .

<u>6- الرسائل الجامعية :-</u>

- محمد فاضل الخطاطبة ، الجبهة الشرقية الرومانية في الأردن من القرن 2 الميلادي وحتى الفتح الإسلامي (106م – 634م) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ،اربد – الأردن ، 1999.

- وداد عوض الدرايسة ،الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، رسالة ماجستير جامعة اليرموك ، اربد – الأردن ، 1994 .

- حقي إسماعيل إبراهيم العاني ، أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الإسلام ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1990 .

- خالد احمد سلمي ، التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول ، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية ، عمان - الأردن ، 1992 .

- عبد اللطيف عبد الرزاق العاني ، إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي ، 1968 .

- عامر نجيب موسى ، استقرار القبائل العربية في بلاد الشام في صدر الإسلام ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان - الأردن ، 1994 .

- الجبوري ، جاسم محمد عيسى ، قبيلة كلب ودورها في التاريخ ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، 1989 .

7- مقالات منشورة :

- اصفر ، سليم أفندي ، الزراعة في سوريا ، مجلة المشرق ، مجلد 2 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1899.

- توفيق فهد ، ماوية وضجعم أو العرب والرومان في أواخر القرن الرابع ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد 22 ، اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العراق ، 1982 .

- الصيرفي ، حسن كامل ، ديوان عمرو بن قميئة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج11، معهد المخطوطات العربية / جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1965 .

- الخوري اسحق رملة ، نصارى غسان والسريان ، مجلة المشرق ، السنة 58 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1964 .

- صالح احمد العلي ، القبائل العربية في بلا الشام زمن الخلفاء الراشدين ، مجلة دراسات ، المجلد 14 ، العدد 4 ، الجامعة الأردنية ، عمان - الأردن ، 1987 .

- صالح حمارنه ،دور جذام في الفتوح الإسلامية ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ،الجامعة الأردنية / جامعة اليرموك ، عمان - الأردن ، 1985 .

- صبري العبادي ، كتابات صفوية من جبل قرمة ، مجلة دراسات ، المجلد 14 ، العـدد 10 ، الجامعة الأردنية ، عمان – الأردن ، تشرين أول 1987 .

- عبد العزيز الدوري ، العرب والأرض ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، ط1 ، الجامعـة الأردنية ، عمان – الأردن ، الدار المتحدة للنشر ، 1974 .

- فرانسيس بيترز ، بيزنطة وعرب الشام ، الحوليات الأثرية العربية السورة ، المجلدان 27 / 28 ،المديرية العامة للآثار والمتاحف ،دمشق ،1978/1977 .

- محمد ضيف الله البطاينة ، القبائل العربية في بلاد الشام و موقفها من حركة الفتح الإسلامي ، مجلة دراسات تاريخية ، عدد (19 /20) ، 1985 .

- محمد ضيف الله البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفـتح الإسـلامي ، مجلـة المؤرخ العربي ، العدد (37) ، اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ،

- محمود أبو طالب ، أرض الجادور ، مجلة دراسـات ، عـدد 12 ، مجلـد 13 ، الجامعـة الأردنية ، عمان – الأردن ، كانون/1 1986 .

- محمد عبد القادر خريسات ، البلقاء منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالـث الهجـري ، مجلة دراسات تاريخية ، عدد (21 –22) ، 1986 .

- النعيمات ، سلامة صالح، الوأد عند العرب، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنيـة ، عمـان – الأردن ، عدد 26 ، 1999 .

- نقولا زيادة ،
  - التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، المؤتمر الدولي الرابـع لتـاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية /جامعة اليرموك ، 1986 .
  - جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري ، المؤتمر الدولي الرابع لتـاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، الدار

- نبيه عاقل ، موقف سكان بلاد الشام من الفتح ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد 3 ، الجامعة الأردنية / جامعة اليرموك ، 1987 .

- نعيم فرح ، أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (15-16) ،1984 .

- الهاشمي ، رضا جواد ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد (22) ،1978 .

8- البحوث والمقالات المنشورة على شبكة الإنترنت :

- " **الموروث التشريعي** للجزيرة العربية قبل الإسلام " بحث على شبكة الإنترنت ، .www.arabia.com

- Internet Medieval History Source Book,Silk Industry. .www.yahoo.com

Abstract

The settlement of Arab tribes in belad al-sham in the pre-Islamic period (3rd- 7th CE AD)

By
Mamdouh A. Al-Kharabsheh

Supervisor
Prof. Mohamad A. Khraisat

This research deals with The settlement of Arab tribes in belad al-sham in the pre-Islamic period (3rd-7th CE AD),were the Arab presence in this area is an aspect the Arab's has been settled in this area long times before the Islamic conquest that starts in the 1st half of the 7th century .

This research divided into four chapters (1st deals with the geographical history of belad al-sham , 2nd deals with the arab presence in belad al- sham , 3rd deals with the social ans economical life of the arab tribes in belad al-sham ,4th deals wit the religious life of the arab tribes in belad al-sham).

1st chapter deals with the geographical history of belad al-asham as mintioned by the arabs and non arabs historians, this chapter divided into the borders of the area as mintioned by arab historians and greek, roman and byzantine historians, the area and its administrative units as aroman province.

2nd chapter deals with the Arab presence in belad al-sham before the Islamic conquest, we find that there were astrong presence in many areas of belad al-sham such as the southern parts (badyat al-sham) and south of Palestine were the Arab tribes made many allides with the Romans in order

to protect the borders of the roman and byzantiume empire aginest the Arab attacks that comes from the desert.

3rd chapter deals with social and economical life's of the arab tribes in belad al-sham, this chapter gave many information's about the social hapits of the Arab tribes such as (riders, bravery, women respect) and many other hapits, for the economical life we know about the trade between belad al-sham and northern Arabia, the Mediterranean sea ports ann the most important trade routes ,and the agricultural life of the tribes.

4th chapter deals with the religious life of the Arab tribes in belad al-sham beginning from the idols till the rise and sprid of Christianity between the Arab tribes in the area.